No 10 Jan - 1993



جامعـــة القـــاهرة

كليـــة الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري
دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد العاشر
ينـــاير ١٩٩٣

محتـــوى العـــــدد

الصفحة

ثانيا : القســم الأجنبى :

قواعـــد النشـــر

* ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحـــاث والدراسات الأصـــيلة ذات المستوى الأكاديمى الجاد بعد التحكيم ، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة .

* تقبـــل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضـــارية المكتوبة باللغتين العربية والانجليزية على ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن ٣٠ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة على ورق حجم كوارتر بما فى ذلك الهـــوامش والجـــداول وقائمة المراجـــع .

* المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر ، وتقوم رئاسة التحرير باخطار المؤلفين باجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم .

* تحتفظ المؤرخ المصرى لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أيا كان قرار هيئة التحكيم .

* النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربيـــة والأجنبيـــة وســـائر المهتمين بالدراســـات التاريخيـــة .

* الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها .

افتتاحيــة العـــــدد

يســـعدنا أن نقدم العـــدد العاشر من المؤرخ المصرى وقـــد حفـــل هذا العدد بعدة مقالات تاريخية متنوعة •

ولقد ســـعدنا أن أوربيين ومستشرقين بدأوا يهتمـــون بالمؤرخ المصرى ؛ ويتقدمون لنا للنشر بأبحاثهم فى الدراسات التاريخية الشرق أوســـطية • ونقدم فى هذا العدد مقالين الأثنين منهما ونأمل فى نشـــر باقى أبحاث هؤلاء الأوربيين والأمريكيين فى الأعـــداد القـــادمة • إلى جانب ذلك فإن المؤرخ المصرى أصبحت المجلة التاريخيـــة لكل العرب • كما أن العلم والمعرفة ليس لهما وطن ولا حـــدود • وإذا كنا قد تأخرنا قليلا عن إصدار هذا العدد فالسبب راجع الى التدقيق فى اختيار البحوث ؛ لأننا لا نقبل إلا الجديد منها والمبتكر • ونحن فخورين بأن المؤرخ المصرى أصبحت ثقة اللجـــان العلمية فى مصـــر والعـــالم العربى • وهى ثقة كسبناها بعد كفاح ومثابرة • وإن كنا نعـــانى أحيانا من مشكلة التمويل وارتفاع أسعار الورق والأحبار •

لكننا على ثقة بأن محبى العلم كثيرون ولن يترددوا فى مـــد يد العـــون إلينا •

والله من وراء العبـــد ما دام العبد فى عون أخيه •

أ٠ د٠ سيد أحمد على الناصرى

رئيس التحرير



العــدد العــاشر **ينــاير ١٩٩٣**

المراســلات :

ترسل البحــوث والمقالات باســم السيد الاستاذ الدكتــور / **ســيد أحمد الناصرى** رئيس التحرير على العنوان التالى :

كلية الآداب ــ جامعة القاهرة (قسم التاريخ)

بريد الأورمان ــ جيزة

البحـــوث والدراســـات

شحنة غـلال مصـرية

الى الكلار السـلطانى باستانبول ١٧٦٣ م

حمزة عبد العزيز بـدر
جامعة أسيوط ــ آداب سوهاج ــ مصر
دانيـال كرسيليوس
جامعة كاليفورنيا ــ لوس انجلوس

تتناول هذه الدراسة خمس وثائق سجلت فى المحكمة الشرعية برشيد ــ أحد موانىء البحر المتوسط المصرية ــ تلقى الضوء على الامدادات السنوية الى السلطنة العثمانية وتسمى مؤن ومواد من الخزينة الارسالية الى المطابخ العامرة والكلار السلطانى باستانبول ، وهى وثائق تؤكد على ما أورده ستانفورد شو عن هذه الامدادات فى دراسته الكلاسيكية عن الادارة العثمانية فى مصر[١] . والمعـلومات القيمة التى تتضمنها تلك الوثائق ضرورية وهامة فى اعطاء وصف موجز للاجراءات التى كانت تتبعها السلطات المصرية فى شحن تلك الارساليات السنوية الى استانبول لاستخدامها فى الكلار والمطبخ السلطانى .

فبالاضافة إلى الارسالية السنوية من الضرائب التى كان على مصر أن تقدمها رسميا الى الخزينة السلطانية باستانبول وأيضا ارسال جند (٣٠٠٠ فى المعتاد) كانت مصر تساهم بهم فى الحروب التى تخوضها السلطنة العثمانية ضد الأعداء من الاوربيين والفرس . فقد كانت السلطة المحلية الحاكمة فى مصر مسئولة عن ارسال كميات

---

(١) انظر :

Shaw, The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt, 1517 — 1798 [Princeton : 1962].

انظر أيضا : ليلى عبد اللطيف ، الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص

معينة من المنتجات الزراعية المصرية الى الحجاز واستانبول كجزء من إلتزامها نحو السلطنة • والنظـــام المعقد الخاص بالالتزامات المالية من نقود وخدمات وما شابه ذلك خضع لتغييرات عديدة وتطــور بشكل كبير منذ وضع أسسه الفتح العثمانى لمصر فى أوائل القـــرن السادس عشر الميلادى وحتى الحملة الفرنسية على مصر ســـــنة ١٧٩٨ م • وبعض المنتجات الزراعية التى تميزت بها مصر عن ولايات السلطنة العثمانية الأخرى مثل الأرز والسكر كانت ضرورية لكل من الحجاز واستانبول ومن ثم كانت تمثل جزءا هاما من الخزينـــة الارسالية التى ترسلها مصر إلى تلك الجهات[٢] ، ومسئولية تجميع الضرائب والسلع ــ بما فيها المنتجات الزراعية ــ لارسالها سنويا الى الحرمين الشريفين كانت من اختصاص أمير الحاج ويقوم بتنفيذها حشد من مرؤسيه • ومسئولية إيصـــال قافلة الحاج آمنة إلى مكة بما تحمله من أموال وغلال مرسلة الى ساكنى الحرمين الشريفين كانت دائما واحدة من أهم مسئوليات السلطة الحاكمة فى مصر ، ويخصص لهذا الغرض جانبا من ايرادات الدولة ذو مغزى هام[٣] •

أما عن تجميع وإرسال المنتجات الزراعية المطلوبة من مصــر للمطبخ السلطانى والكلار العامرة فقد كانت من اختصاص موظــف

---

(٢) البن أحد المواد الهامة التى كانت تصدر من مصر الى استانبول ، ومن المعروف أنه لا يزرع فى مصر غير أنه كان يشحن اليها من اليمن . انظـــر :

André Raymond, Artisans et commercants au Caire au XVIII siecle [Damascus : 1973]. Vol. I, 131, 174.

(٣) انظر شو : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ــ ٢٧١ ، وقد نشـــر شو أيضا ميزانية كاملة لمصر لسنة ١٠٠٥ ــ ١٠٠٦ هـ/١٥٩٦ ــ ١٥٩٧ م ، وتشمل مصروفات أجور مقدارها ٩٥٨ر٣٦٢ و ٤ بارة ، و ٢٥٣ و ٧٣١ و ١ بارة لنفقات الحج . انظر :

Shaw, Organization 239 — 271.

The Budget of Ottoman Egypt, 1005 — 1006/1596 — 1597 [The Hague — Paris : 1968], pp. 122 — 131, 154 — 168.

يسمى وكيل الخرج السلطانى • وهو موظف كان يرسل فى القرن السادس عشر من استانبول رأسا ، ومع حلول القرن الثامن عشر كانت هذه الوظيفة — مع غيرها من الوظائف ضمن نظام بيروقراطى لبكوات المماليك يتولاها أحد أمراء المماليك هو فى العادة متولى وظيفة الدفتردار(٤) • ويقوم الوكيل المذكور بتجميع المنتجات الزراعية مثل الأرز العدس أو السكر كضرائب على الأراضى الزراعية من المنتجين مباشرة أو يقوم بشرائها بتمويل من الخزينة المصرية أو من ميزانية الخزينة الارسالية • وفى النهاية فان هذه المنتجات الزراعة تكون قد مرت بعمليات من التنظيف والتنقية ، وفى رحلة تلك المنتجات الى البحر تشحن فى النيل ثم تفرغ فى مينائى رشيد ودمياط فى الشون السلطانية حيث تشحن من هناك الى استانبول(٥) • وبينما

---

(٤) انظر : شـو ، المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٥) انظر : شـو ، المرجع السابق ، ص ٢٧٢ ، وقد لاحظ شـو أنه فى القرنين السادس عشر والسابع عشر قام أسطول من الغليونات السلطانية يتراوح عدده من ١٥ الى ٢٠ غليون بنقل الغلال الى استانبول ، ولكن فى القرن الثامن عشر أصبح النقل يقوم به تجار يستأجرهم وكيل الخرج . وقد كان وراء ذلك التغيير تلك الخسارة الكبيرة التى لحقت بالاسطول العثمانى فى المعارك المستمرة مع القوى الاوربية . وفى أوقات متفرقة من القرن الثامن عشر أصبحت الاتصالات البحرية بين مصر واستانبول محفوفة بالمخاطر ، اذ كثيرا ما تعترض السفن أو تغرق . مما يدفع الحكومة الى ارسال الخزينة الارسالية وسائر ما تدفعه مصر الى استانبول برا عن طريق الشام مرورا بدمشق . وفى أكثر الاوقات صعوبة كانت تستأجر السفن الاوربية ، وبخاصة الفرنسية لنقل الغلال من الموانى المصرية الى استانبول ،انظر :

Archives Nationales (Paris) Affaires Etrangeres, B 1 Alexandrie [1788 — 1791] ff. 55 — 56, 25 June, 1788; Quai d'Orsay (Paris), Correspondence Politiquie, Turquie Vol. 179 [January — June, 1789] f. 29.

وقد بذلت كلا من انجلترا وفرنسا محاولات نشطة لاكتساب حق نقل الغلال الى استانبول ، انظر :

تستطيع السفن حمل الغلال من ميناء دمياط مباشرة الى استانبول فان الغلال المشونة فى الشون السلطانية برشيد تنقل الى الاسكندرية حيث ترسو الغليونات الكبيرة التى ستحملها الى استانبول[٦] .

وهناك ثلاثة منتجات مصرية رئيسية تقع على عاتق حاكم مصر

=

Public Record Office (London) Foreign Office 78, 179 [January-June, 1789], f. 29.

وقد فقدت سفينة انجليزية تحمل شحنة من الدقيق مرسلة كهدية لحاكم مصر وقد فقدت تلك السفينة عند مدخل ميناء بروبنتس ، انظر :

Bashbakanlik Devlet Arshivi [Istanbul], Cevdet Iktisat, Item 126, 1185 AH.

ونذكر أيضا أن سفينة فرنسية كانت تحمل شحنة من البن والأرز متجهة من مصر الى رودس لم تستطع مواصلة الابحار بسبب أعطال أصابتها ، انظر :

Cevdet Iktisat, Item 656, 1205 AH.

وقد وردت بتلك السجلات أيضا أن تاجرا مصريا هو الحاج أحمد قبودان قد أستأجر سفينة فينيسية ، وكانت تلك السفينة تحمل بن وأرز ، وأرست فى ميناء أزمير ، انظر :

Cevdet Iktisat, Item 124, 1185 AH.

(٦) كلا من دمياط ورشيد كانتا فى حماية من البحر لوقوعهما فى الجزء الداخلى من فرعى النيل الشرقى والغربى ، وبينما كانت كلتاهما فى حماية أيضا من العواصف التى كانت كثيرا ما تدمر السفن فى ميناء الاسكندرية ، التى لم يكن لها ما يحميها من البحر فان كلا من دمياط ورشيد لم يكونا مؤهلين لاستقبال السفن الكبيرة بسبب حاجز الرمال المتراكمة عند مصبى النيل . وعلى سبيل المثال فان عمق مياه النيل عند مصب دمياط كان يبلغ من ١٠ الى ١٢ قدم ، وينخفض من الى ٨ قدم عند انخفاض النل ، وقد كان التراكم الرملى عند مصب رشيد أكثر خطوة على السفن مما يضطر السفن الكبيرة الى الرسو فى الاسكندرية ، وأيضا خارج الميناء ، وتفرغ حمولتها فى مراكب شراعية صغيرة تسمى أشاكيف ، انظر :

Le Pere, "Memoire sur la communication de la mer des Indès a la Mediterranee, Par la mer Rouge et l'isthme de Soueys", Description de l'Egypte, Etat Moderne [1822 edition], II, 236 — 37.

مسئولية ارسالها للاستخدام الشخصى للسلطان وهى الأرز والعدس والسكر . الارز وهو محصول يزرع بوفرة فى مصر السفلى خاصة فى تلك المناطق الواقعة ما بين دمياط ورشيد ، وكان الأرز سلعة التصدير الرئيسية فى ميناء دمياط فى القرن الثامن عشر . ومع ضعف السلطة العثمانية فى مصر فى النصف الثانى من هذا القرن فان الأرز كان يصدر أيضا الى أوربا[٧] .

ومع نهاية القرن السادس عشر طلبت حكومة السلطان العثمانى ٣٠٠٠ أردب من الأرز سنويا[٨] . أحضرت ٢٠٠٠ أردب منها من فارسكور (بالقرب من دمياط) أو ١٠٠٠ أردب من منطقة دمياط نفسها وقد ظلت هذه الكمية المطلوبة ثابتة حتى نهاية القرن الثامن عشر[٩] وقد كانت الحكومة تخصص لشراء ذلك الأرز مبلغا وقدره

---

(٧) لعقود طويلة كان القباطنة الفرنسيون يعملون خارج قواعد الغرفة التجارية بمرسليا ، يبيعون الاقمشة فى دمياط مما يضعف تجارة التجار الفرنسيين المستقرين فى الاسكندرية ورشيد والقاهرة ، كما كانوا يحملون الأرز لنقله الى الموانىء العثمانية . وقد كان ذلك شرعيا عندما كانت السفن ذات امتيازات صحيحة ، أو ذات تراخيص أوربية وهو ما كانت تحظره الحكومة العثمانية المركزية ، انظر :

Archives Nationales (Paris) Affaires Etrangeres, Bl, Le Caire (1776 — 1781), ff. 24 — 25, 15 April, 1776.

وهى وثيقة خاصة بسفينة تحمل أرز من ميناء دمياط .

(٨) الأردب وحدة كيل مصرية تختلف حسب المكان أو المادة المزمع حسابها ، وينقسم الأردب الى ٢٤ وحدة تسمى ربعة أو ١٣٠ أقة وذلك فى أوائل القرن الثامن عشر ، والأردب يعادل ست كيلات استانبولى انظر :

Shaw, Organization 7gn; Raymond, Artisans et commercants, vol. I, LVII. Shaw, Budget of Ottoman Egypte, 194 — 195.

وقد خصص فى هذه الميزانية مبلغ ٤٩٢,٠٠٠ الف بارة لشراء ٣٠٠٠ أردب من الأرز .

(٩) انظر : شـــو ، المرجع السابق ، ص ٢٧٤ ، وقد ذكر شو أن الكمية المطلوبة كانت ٣٠٠٠ أردب من الارز المصرى ، اى ما يعادل

=

٤٩٢,٠٠٠ بارة سنويا ، واستمر ذلك حتى تعديل سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ — ١٦٩٦ م ، وبعد ذلك انخفض ثمن الأردب وبالتالى المبلغ المخصص لهذا الغرض الى ٤٨٠,٠٠٠ بارة . وقد لاحظ شو أن هناك مبالغ اضافية قدرها ١٤٤,٠٠٠ بارة وضعت كميزانية خاصة باستئجار سفن لنقل الأرز من رشيد الى استانبول ، ٢١,٠٠٠ بارة خصصت لشراء سلال وأوانى لحفظه أثناء الشحن(١١) . أما السكر المخصص لاستانبول فيصنع من قصب السكر المزروع فى مصر العليا ، ويجمع السكر المذكور أمين شكار (أمين السكر) كضريبة على الأراضى الزراعية ، وقد كان أمين السكر المذكور مسئول عن شحنه الى بولاق الميناء القاهرى على النيل ، حيث يكرر ثم ينقل بعد ذلك الى رشيد . وحتى عام ١٥٨٦ م كانت كمية السكر التى تطلبها استانبول يبلغ مقدارها ٨٠٠ قنطار سنويا ، وهو ما يساوى ٢٨ ألف أقة سنويا بحساب استانبول ، ولكن فى ذلك العام ارتفعت الكمية المطلوبة الى ١٤٠٠ قنطار أو ٤٢,٦٠٠ أقة ، وفى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ — ١٧٨٦ م ازدادت الى ٦٨,٦٨٠ أقة سنوية(١٢) .

=

٣٦ الف كيلة استانبولى ، وقد شحن من هذه الكمية ٢٠٠٠ أردب من ميناء رشيد و ١٠٠٠ أردب من ميناء دمياط . ومعادلة شو للثلاثة آلاف أردب بستة وثلاثين الف كيلة لا تتفق مع عبارته السابقة بأن الأردب يعادل ستة كيلات فى استانبول . انظر :

Shaw, Organization, 274.

(١٠) البارة يسميها المصريون نصف فضة ، وهى عملة فضية صغيرة ، استخدمت كوحدة مالية رسمية فى حسابات الادارة العثمانية ، انظر : Shaw, Organization, 65n.; ft. 8.

(١١) انظر : Shaw, Organization 274.

(١٢) انظر :

Organization, 273. Raymond, Artisans et Commercants, Shaw, vol. I, LVII.

ويلاحظ أن القنطار (٤٤,٣٣ كجم) قد قسم الى ٣٦ اقة ، أو ١٠٠ رطل .

وفى تعديل سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ — ١٦٧٢ م حدد أمين السكر الكمية المطلوبة بمبلغ ٧٨٠ر٩٤٥ بارة خصصت لشراء سكر ، ومبلغ ١٦٠ر٤٥ ألف بارة خصصت لنقل ٣٨٨ برميل سكر من رشيد الى استانبول و ٠٠٠ر٧٦ ألف بارة لشراء صناديق وجلود يشحن فيها السكر المذكور ، و٠٣٤ر٥٠ ألف بارة لدفع الرسوم الجمركية التى يطلبها ملتزم الانكشارية بدار الكمارك بالاسكندرية[13] . أما فيما يتعلق بالكمية المطلوبة من العدس فانها لم تتغير فى الفترة من بداية القرن السادس عشر حتى سنة ١٧٩٨ م ، حيث كان يتم شراء كمية من العدس قدرها ٥٠٠ أردب أى ما يساوى ٢٥٠٠ كيلة مصرية فى ذلك الوقت[14] وذلك بمبلغ قدره ١٥٠٠ بارة (٣٠ بارة للأردب) ، هذا بالاضافة الى مبلغ ٩٧٦ر١٠ بارة للتعبئة والشحن[15] . هذا بالاضافة الى بعض المواد الأخرى مثل مكونات الأشربة والقهوة والصقور ، وبعض المنتجات الزراعية الأخرى التى يتم شراؤها

---

(١٣) انظر :
Shaw, Organization 273.

(١٤) الكيلة : وحدة مكاييل اجنبة استخدمت فى استانبول ، وتساوى الست كيلات أردب مصرى فى استانبول ، غير أنه فى القاهرة فى ذلك الوقت حسب الأردب على أساس أنه يساوى خمس كيلات ، انظر :
Shaw, Organization, 79n.

وقد استخدم شو أيضا نسبة ١/١٢ عندما ذكر أن ٣٠٠٠ أردب تساوى ٣٦ الف كيلة استانبولى ، اى أن الأردب يساوى ١٢ كيلة وهى النسبة المستخدمة فى مصر حتى الآن ، انظر :
Shaw, Organization, 274.

وقد خصص فى ميزانية ١٥٩٦ — ١٥٩٧ م مبلغ ١١٧ر٤٣ بارة لشراء ٥٠٠ أردب حمص لسنة ١٠٠٥ هـ ، ومبلغ ٧٥٠ر٢٩ بارة لشراء ٣٥٠ أردب من متأخرات سنة ١٠٠٤ هـ ، انظر :
Shaw, Budget of Ottoman Egypte, 196 — 197.

(١٥) انظر :
Shaw, Organization, 274.

للمطبخ والكلار السلطانى ، مع استثناء القهوة التى كانت تطلب بكميات صغيرة ، كما أنها من مسئوليات موظف آخر[١٦] .

وفى ميزانية مصر لسنة ١٠٠٤ ه / ١٥٩٥ — ١٥٩٦ م سجلت انفاقات للمطبخ السلطانى والكلار العامرة قدرها ٣٫٥٧٣٫٢٢٧ مليون بارة ولكن مع ازدياد قبضة المماليك على ادارة مصر وايرادتها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر أصبحوا قادرين على زيادة الانفاقات فى الميزانيات المختلفة (الميزانية السلطانية لمصر أو ميزاينة الارسالية السلطانية) مثل الأجور ورواتب التقاعد والوظائف (مثل مرافقة القافلة المتجهة الى الأراضى المقدسة) التى تسند الى الدوائر المختلفة التى تشكلت فى بيروقراطة واضحة ، بينما فى نفس الوقت كانوا يقومون بتخفيض الانفاقات المخصصة للاحتياجات السلطانية ويتم ذلك بالرغم من تضخم الأسعار . ففى سنة ١١٥٦ ه / ١٦٩٤ — ١٦٩٥ م أنفق مبلغ ٢٫٤٣٥٫٥٧٥ مليون بارة فقط فى تلك الاحتياجات . وفى اصلاح سنة ١١٠٧ ه / ١٦٩٥ — ١٦٩٦ م خصص مبلغ ١٫٨١٦٫٨٩٣ مليون بارة فقط من الخزينة لشراء الأرز والعدس[١٧] .

وفى ضوء هذه الاصلاحات أو التعديلات ونتيجة لتوجهات أخرى مثل التضخم وارتفاع الأسعار أصبح المبلغ الاجمالى المخصص فى الميزانية غير كاف لشراء الكميات المطلوبة وعندما تخصص الخزينة للعمرة مبلغا يمكن به فقط شراء حصة من الكميات المطلوبة يتم تعديل الانفاقات فى الخزينة الارسالية كما حدث فى وثائق محكمة رشيد التى سنتناولها بالدراسة فى هذا البحث ، ويبدو أن هذا كان يحدث

---

(١٦) انظـر :

Shaw, Organization, 275 — 76.

(١٧) وقد لاحظ شو أن ٦١٨٫٦٨٣ بارة أسقطت من الخزينة السلطانية لشراء مواد أخرى ، ونقل ذلك المبلغ الى موازنة الخزينة الارسالية التى أعطيت قرى وقف تنتج هذا المبلغ .

Shaw, Organization 276.

مرارا وتكرارا حيث نجو فى تعديل ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ — ١٧٨٦ م تخصيص مبلغ ٩٤٥ر٧٨٠ ألف بارة لشراء سكر ، ومبلغ ٠١٦ر٤٥ ألف بارة لنقله الى استانبول ثم تحويلهما من ميزانية الخزينة العامرة الى ميزانية الخزينة الارسالية[١٨] .

فى غاة شهر جمادى الأولى سنة ١١٧٧ هـ الموافق السادس من ديسمبر سنة ١٧٦٣ م مثل أمام القاضى الشرعى بمحكمة رشيد خمسة من مسئولى الشحن (يازجية) على خمسة غليونات عثمانية ترسو فى ميناء الاسكندرية ، وشهدوا بأنهم تسلموا من الشون السلطانية برشيد كميات من الغلال لنقلها من رشيد الى استانبول لحساب الكلار السلطانية العامرة[١٩] . وقد شهدوا جميعهم بأنهم تسلموا الحبوب المذكورة فى حالة جيدة من الحاج محمد ارنؤط وكيل أمير اللواء الشريف السلطانى خليل بيك الدفتردار وأمين الخرج بالقاهرة[٢٠] . وفى كل من الخمس شهادات نجد اليازجى يشهد بأن الحبوب وزنت وضبطت على يد الشيخ زين الدين حسين القبانى العدل بالشون السلطانية برشيد ، وأن ذلك بمباشرة وشهادة الحاج أحمد ارنؤط

---

(١٨) وقد ازدادت الكمية المطلوبة من السكر من ٦٠٠ر٤٢ أقة الى ٦٨٠ر٦٨ أقة ، بينما بقيت الكميات المطلوبة من الارز والعدس كما هى . وقد خصص للبندين الاخيرين ٠٩٣ر٧٧٤ بارة أفردت من ميزانية الخزينة الارسالية .

Shaw, Oraganization 276 — 77.

(١٩) هذه الوثائق الخمس وجدت معا فى سجل غير مرقم بمحكمة رشيد الشرعية ، وجميعها مؤرخة فى آخر أيام جمادى الأولى سنة ١١٧٧ هـ وأرقامها من ٢٩٩ — ٣٠٣ فى السجل .

(٢٠) أصبح خليل بيك دفتردارا فى أيام على بيك الغزاوى ، وعندما خرج الغزاوى الى الأراضى المقدسة أميرا على الحاج أصبح خليل بيك وكيله شيخا للبلد ، وقد اشترك مع خليل بيك وأسر فى طنطا ، وقد أخذه رجال على بيك الى الاسكندرية حيث قتلوه سنة ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م ، انظر عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، طبع بيروت (بدون) ج ١ ، ص ٣٧١ .

مباشر الشون السلطانية • وقد أقر كل يازجى منهم بمسئوليته عن تحميل الحبوب المذكورة فى الغليون بميناء الاسكندرية ، وأيضا بمسئوليته عن توصيل شحنته سالمة الى استانبول حيث تسلم الى الموظف المختص بتسلمها فى المطابخ السلطانية ، كما أقر كل يازجى منهم بأنه قد تسلم تكاليف شحن ذلك ضمن ميزانية الخزينة الارسالية لعام ١١٧٥ هـ[٢١] • وعندئذ أعطى القاضى لكل منهم حجة شرعية بشهادته المذكورة •

وفى الوثيقة الأولى رقم (٢٩٩) نجد مصطفى خوجا ابن على الغلطيلى اليازجى بغليون القبطان محمد قبودان ابن عبد الله المعروف (••••) شهد بأنه تسلم فى حالة جيدة ألف زنبيل[٢٢] من الأرز الأبيض يبلغ مقدارها وزنا ٩٦٫٣٠٨ ألف أقة ، وهو ما يساوى بالكيل السلطانى ٦٤٨ أرد بوثمانى ربعات[٢٣] •

و فىالوثيقة الثانية رقم (٣٠٠) نجد على خوجا ابن المرحوم حمزة الاستانكولى ، اليازجى بغليون حسن قبودان المعروف بالتنباكلى يشهد بأنه استلم من الحاج محمد ارنؤط كمية من الأرز الأبيض مقدارها ١١٣٠ زنبيل ، يبلغ وزنها بالتحديد ١١١٫١٩٦ أقة ، أى ما يساوى ٧٤١ أردب وربعتان • وتسلم أيضا كمية من العدس مقدارها ٢٠٠ زنبيل تزن على وجه التحديد ١٨٫٧٠٠ ألف أقة ، أى

---

(٢١) هذه الشحنة ربما كانت متأخرة سنتان ، حيث نجد بكل وثيقة منها اقرارا بقبض كامل النولون فى ارسالية سنة ١١٧٥ هـ ، انظر :
Bashbakanlik Devlet Arshivi, Bash Muhasebe Kalemi, Item 3545, 1172 AH.

حيث نجد السلطة المركزية فى استانبول تطلب من على بيك (الغزاوى) وخليل بيك ارسال مؤن الكلار السلطانى .

(٢٢) الزنبيل فى التركية عبارة عن سلة تنسج من السمار . انظر :
Redhouse, Turkce — Inqilizce Sozluk (Istanbul : 1990).

(٢٣) كل أردب مقسم الى ٢٤ ربعة .

ما يساوى ١٢٤ أردب وثمانى ربعات ، كما استلم أيضا ٣٥ صندوق خشبى مغلف بالجلد مملؤة بالسكر التبع (الخام) ، و٤٤ صندوق خشبى مغلف بالجلد مملؤةبالسكر المنعاد (المكرر) •

وفى الوثيقة الثالثة رقم (٣٠١) يشهد عثمان خوجا ابن حسن الاسلامبولى اليازجى بغليون محمود قبودان المعروف بالالايلى بأنه تسلم كمية مقدارها ٥٥٠ زنبيل من الأرز الأبيض ٥٣٫٨٠٨ أقة ، أى ما يساوى ٣٥٥ أردب وأربع ربعات • كما تسلم ١٧٥ زنبيل من العدس تزن ١٦٫٣٩٩ أقة ، أى ما يساوى بالكيل السلطانى ١٠٩ أردب وأربع ربعات • وتسلم أيضا ٦٤ صندوق خشبى مغلف بالجلد من السكر التبع وستة صناديق من السكر المنعاد •

وفى الوثيقة الرابعة رقم (٣٠٢) يشهد مصطفى خوجا (كلمة غير مقرؤوة) ابن محمد ارنؤط اليازجى بغليون حسين قبودان المعروف بالرودسلى بانه تسلم ٣٩٥ زنبيل من الأرز الأبيض ، وهو ما يساوى وزنا ٣٨٫٢٣٢ ألف أقة ، ومقدار ذلك بالأردب ٢٥٤ أردب وعشر ربعات ، كما تسلم ٢٢٥ زنبيل من العدس ووزن ذلك ٢٠٫٨٦٥ ألف أقة وهو ما يساوى بالأردب ١٣٥ أردبا و٩ ربعات ، وتسلم أيضا ٢٤ صندوق خشبى مغلف بالجلد من السكر المنعاد ، وستة صناديق خشبية مغلفة بالجلد من السكر التبع •

وفى الوثيقة الخامسة رقم (٣٠٣) نجد حسين خوجا ابن حسين الاسلامبولى اليازجى بغليون الحاج حسين ابن عبد الله المعروف بالطويل يشهد بأنه تسلم بالتحديد ١٦ صندوقا من الخشب المغلف بالجلد مملوءة بالسكر المنعاد ، و ٣٤ صندوقا من الخشب المغلف بالجلد مملؤة بالسكر التبع ، واجمالى الكمية المرسلة التى تسلمها اليازجية الخمسة تأتى على النحو التالى :

الصنف	أقة		أردب		ربعة	
أرز	٩٦ر٣٠٨	أقة	٦٤٨	أردب	٨	ربعة
	١١١ر١٩٦	أقة	٧٤١	أردب	٢	ربعة
	٥٣ر٣٠٨	أقة	٣٥٥	أردب	٤	ربعة
	٣٨ر٢٣٢	أقة	٢٥٤	أردب	١٠	ربعة
	٢٩٩ر٠٤٤	أقة	١٩٩٨	أردب	٢٤	ربعة
عـــدس	١٨ر٧٠٠	أقة	١٢٤	أردب	٨	ربعة
	١٦ر٣٩٩	أقة	١٠٩	أردب	٤	ربعة
	٢٠ر٨٦٥	أقة	١٣٥	أردب	٩	ربعة
	٥٥ر٨٩٦٤	أقة	٣٦٨	أردب	٢١	ربعة

ســـكر	سكر تبع	سكر تبع
	٣٥ صندوق	٤٤ صندوق
	٦٤ صندوق	٦ صندوق
	٦ صندوق	٢٤ صندوق
	٣٤ صندوق	١٦ صندوق
	١٣٩ صندوق	٩٠ صندوق

ويتضح من هذه الأرقام أن اغليونات الخمسة قد أتت لكى تجمع من الشون السلطانية برشيد تلك الحصة من الكمية التى كان على أمين الخرج أن يرسلها سنويا من رشيد الى الكلار السلطانى باستانبول • وفى هذه الحالة فان الكمية التى شحنت فى الغليونات الخمسة تشـــكل ثلثى الكمية المطلوبة بينما شحن الثلث الآخر من ميناء دمياط • وتتفق الأرقام الواردة بهذه الوثائق مع تلك التى أوردها شو ، كما أنها تؤكد على صحة ما لاحظه شو بأنه مع حلول القرن الثامن عشر فان مثل هذه الامدادات كانت تنقل فى غليونات خاصة بالتجار وأن وظيفـــة أمين الخرج كانت تسند عادة إلى من يشغل منصب الدفتردار من بكوات

المماليك • وان تكلفة ذلك كانت تقتطع فى الغالب من ميزانية الخزينة الارسالية •

كما تكشف هذه الوثائق أيضا عن حضور ألبانى قوى فيما يتعلق بتخزين وشحن تلك المواد المزمع استخدامها فى الكلار السلطانى ، وفى الواقع فان تجميع الحبوب فى رشيد وارسالها سالمة الى استانبول لم يكن أبدا أمرا هينا ، اذ أن انتشار الطاعون أو قصور النيل وأيضا الاضطرابات السياسية كثيرا ما تجعل من الصعوبة بمكان على أمين الخرج أن يجمع الغلال من الريف ويرسلها الى الشون السلطانية فى دمياط ورشيد • وعلى سبيل المثال فقد كان حدثا مألوفا أن يقوم بكوات المماليك المارقين أو بدو الهوارة — سادة الصعيد فى ذلك الوقت — بمنع السفن من الابحار فى النيل كوسيلة لإحداث القلاقل للحاكمين فى القاهرة ، ومن ثم يصعب على معاونى أمين الخورج أن يقوموا بتجميع واعداد وتخزين الغلال[٢٤] • أما ارسال هذه الغلال الى استانبول فقد كان يتأخر غالبا كما يبدو فى حالة هذه الشحنة •

---

(٢٤) كانت حركة الغلال فى صعيد مصر تسجل رسميا فى سجلات المحكمة الشرعية وعلى سبيل المثال نجد فى سجلات محكمة اسنا الشرعية ثلاث شهادات لرؤساء ثلاثة مراكب شراعية ، فى الأولى نجد الرايس بدرى خليفة رماح تابع شيخ العرب الشيخ ابراهيم عيسى أحمد همام يشهد بأن مركبه يحمل ٢٥٠ أردب مصرى من القمح من بصيلة ، قام بشحنها المعلم جرجس بن منقريوس للشيخ همام . وقد سمح لريس المركب بأن يقتطع لنفسه أردبان ونصف أردب (ربيع الآخر سنة ١١٧٠ هـ) ، وفى الوثيقة الثانية نجد الرايس الحاج على حسين القناوى والرايس الحاج اسماعيل ابن المرحوم حسين السيد القناوى يشهدا بأنهما تسلما من المعلم جرجس منقريوس ٣٠٠ أردب من القمح لتوصيلها من البوصيلة الى شيخ العرب الشيخ عيسى أحمد همام فى اسنا ، وقد سمح لهما بأن يقتطعا لنفسيهما أردب واحد فقط (١٠ جمادى الاولى سنة ١١٧٠ هـ) ، وفى الوثيقة الثالثة نجد الرايس عبد الفتاح ابن أحمد تابع الشيخ عبد الله عمر ، والرايس عوض ابن ابراهيم الدفراوى يشهدا بأنهما تسلما ٤٧٠ أردب من القمح لنقله فى سفينتيهما للشيخ مهام . وقد حمل الأول منهما ٢٣٠ =

ونجد فى هذه الوثائق اليازجية وقد أخذوا على عاتقهم مسئوليات كبيرة ، فقد شهدوا بأنهم مسؤلين عن نقل هـذه الغلال سالمة من رشيد وكذلك شحنها فى السفن من ميناء الاسكندرية • ونشير الى أن هياج البحر يهدد نقل مثل هذه الشحنات لو اتخذ اليازجى مركبا ساحليا صغيرا (جرم) بين الميناءين (الاسكندرية ورشيد) ، كما أن البدو قد يهاجمون القافلة المحملة بمثل هذه الشحنات لو اتخذت طريقا بريا بين رشيد والاسكندرية ، وهى رحلة تستغرق أربع عشرة ساعة[٢٥] • ويبدو من سجلات محكمة رشيد الشرعية أن الغلال كانت تنقل عادة فيما بين رشيد والاسكندرية باتخاذ الطريق الساحلى الرئيسى المعروف بدرب الاسكندرية[٣٦] • كما أن الرحلة من رشيد الى الاسكندرية لم تكن تخلو من المخاطر على تلك الشحنات فكثيرا ما تضيع السفن فى العواصف[٢٧] ، أو يعتدى عليها سواء من القراصنة

=

أردب ، تسلم ٢١٠ منها من المعلم بولس العشرى ، و٢٠ أردب تسلمها من المعلم جرجس ، وقد أخذا نصف أردب فقط لخبزهما ، (جمادى الاول ١١٧٠ هـ) ، انظر دار الوثائق القومية بالقاهرة ، سجلات محكمة اسنا ، سجل رقم واحد لسنة ١١٧٠ هـ ، صفحات ٤٨ ، ٦٣ ، ٦٤ .

(٢٥) فى حادث برى تعرضت قافلة تحمل سكر وتسلك الطريق البرى بين رشيد والاسكندرية الى الخوض فى المياه مما تسبب فى اتلاف حمولة السكر على ظهور الجمال (راجع سجلات محكمة رشيد الشرعية ، سجل رقم ٧ ، ص ١٨٤ ، وثيقة رقم ٧٦٢ سنة ٩٨٣ هـ) .

(٢٦) ينتهى هذا الطريق عند باب رشيد بالسور الشرقى من اسوار الاسكندرية ، وقد رسم كثير من الرحالة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هذا الباب ، نذكر منهم فرنسوا كاساس . وقد ظل هذا الباب قائما حتى سنة ١٨٨٢ م انظر :

عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٣٣٧ ، لوحة ٢٢ ، ص ٤٤٥ .

(٢٧) على سبيل المثال استأجرت سنة ١٧٨٩ م سفينة انلجيزية تحمل الدقيق والبسكويت كهدية من الباشا حاكم مصر الى الحكومة

=

أو السفن الحربية لدول فى حالة حرب مع الدولة العثمانية[٣٨] • أو تفقد فى البحر لأسباب تتعلق بكفاءة وصلاحية السفن نفسـها[٣٩] • كما حدث أيضا أن تعرضت الغلال للديدان والهوام ، أو لظروف سيئة مما أفسدها وهى فى عرض البحر •

ولذلك فان هذه الوثائق الخمس تذكرنا بالاجراءات الادارية المعقدة التى أدخلها العثمانيون الى مصر ، والصعوبات الجمة التى كان عليهم التغلب عليها لتجميع وارسال تلك الغـلال سـالمة الى استانبول •

=

المركزية باستانبول ، غير أن هذه السفينة فقدت عند مدخل بروبنتس ، انظـر :

Public Record Office (London), F. O. 78, vol 10 (1789), 28 July, 1789.

(٣٨) فى أوقات الحروب بصفة خاصة وعندما تتعرض السـفن العثامنية للخطر كانت الحكومة تقوم بالتعاقد مع تجار أجانب لنقل التجارة والأغذية بين مصر واستانبول ، راجع على سبيل المثال :

Archives Nationales (Paris), Affaires Etrangeres, Bl, 114 (Alexandrie), 1788 — 1791, ff. 55 — 56, June, 1788,

حيث نجد وثيقة تشير الى قيام الفرنسيين بحمل بضائع عثمانية فى وقت الحرب أنذاك ، انظر أيضا :

Quai d'Orsay (Paris), Correspondence Politique, vol. 179 (January — June, 1789). f. 29.

حيث نجد نشاطا انجليزيا وفرنسيا للحصول على حق نقل الغلال الى استانبول ، وبالفعل نجد الفرنسيون بصفة خاصة ينقلون الأرز بين دمياط والموانى العثمانية لسنوات دعيدة ، انظر :

Etrangeres, Bl, 336 (Le Caire), 1776 — 1791, ff. 24 — 25 Affaires 15 April, 1776.

(٣٩) انظر أرشيف الدولة العثمانية :

Bashbakanlik Devlet Arshivi, cevdet Iktisat, Item 126, 1185 AH.

حيث نجد تقريرا عن سفينة فرنسية تحمل البن والأرز من مصر الى تركيا توقفت فى رودس لعطب أصابها .

الخطط والحياة الاقتصادية فى حارة اليهود بالقاهرة
فى العصـــر العثمانى

د. محمـــــد عفيـــفى
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

هناك العديد من العوامل وراء الاهتمام بدراسة الخطط والاقتصاد فى حارة اليهود بالقاهرة فى العصر العثمانى ، قد يأتى على رأسها قلة الاهتمام بدراسة المدن والأحياء السكنية فى هذا العصر ، فما بالنا بدراسة الأحياء الخاصة بالأقليات سواء الدينية أو العرقية آنذاك ، وهو لون من الدراسات لم يهتم به المؤرخون كثيرا ، بينما يهتم الأثريون بدراسة الجوانب المعمارية فيه ، دون التطرق الى علاقة ذلك بالتاريخ الاقتصادى والاجتماعى .

وثمة عامل آخر وراء دراسة خطط حارة اليهود ، ينبع من محاولة متواضعة من جانبنا لاختبار مفهوم « الجيتو » اليهودى التقليدى ، مع وضعية حارة اليهود فى القاهرة آنذاك من حيث إنغلاق تلك الحارة على نفسها أو إنفتاحها النسبى أو الايجابى على الأحياء المجاورة . وقد أخترنا أن تكون الاجابة على ذلك من خلال الشواهد المعمارية والخطط فى حارة اليهود ، أكثر من اعتمادنا على مظاهـــر العلاقات الانسانية بها .

ومرجع ذلك فى رأينا الى مصداقية تلك الشواهد المعمارية الجامدة فى التعبير عن العلاقات الانسانية ، مع الاهتمام بدراسة النشـــاط الاقتصادى بها وتتبع العوامل الدينية والاقتصادية والجغرافية وراء نشأة تلك المظاهر الاقتصادية فى حارة من حارات الأقليات كحارة اليهـــود .

ورغم أهمية الاعتبارات السابقة فى دراسة حارة اليهود ، إلا أنه

من الجدير بالملاحظة عدم وجود أية دراسة عن حارة اليهود بالقاهرة سواء فى الأدبيات العربية أو الأجنبية الحديثة ، هذا على الرغم من وجود العديد من الدراسات الخاصة بحارات اليهود فى المغرب العربى وأوربا .

ولعل أهم الأسباب فى عدم وجود أية دراسة عن حارة اليهود بالقاهرة يرجع إلى ضآلة المادة العلمية التى تقدمها المصادر الأدبية التاريخية عن الحارة بحيث لا تتعدى أسطرا قليلة[١] . من هنا كان إعتمادنا الرئيسى على وثائق المحاكم الشرعية ووثائق الأوقاف فى محاولة لإزالة الغموض الذى يكتنف حارة اليهود .

وتذكر المصادر العربية أن إقامة اليهود بالقاهرة فى البداية كانت فى حارة الجودرية ، واستمر الأمر كذلك الى عصر الحاكم بأمر الله الفاطمى ، الذى أمر بإحراق حارة الجودرية ، لما وصل الى سمعه من أن اليهود يغنون بها أشعارا تسخر من الإسلام ومن الرسول . ثم نقل اليهود بعد ذلك الى حارة زويلة[٢] ، واستمروا بها .

ولا تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات مهمة عن حارة اليهود فى عصر المماليك ، بينما تقدم لنا الوثائق فى العصر العثمانى معلومات مستفيضة عنها . إلا أن هذه المعلومات يشوبها الكثير من الملاحظات الأولية المنهجية ، لعل فى مقدمتها مشكلة تضارب مفاهيم مصطلحات الخطط بها مما يعيق الباحث عن إعداد تصور دقيق للحارة ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بمصطلحات « الخط » و « الحارة » .

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، طبعة بيروت ، ج ١ ص ٦٣٩ ، ج ٢ ص ٥ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١ ص ٢٣٢ ، ج ٣ ص ٧٣ جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، ترجمة أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٢٠٣ ، كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، القاهرة ١٩٨٢ ج ٢ ، ص ٨٤ ، ج ٣ ص ١٣٧ .

(٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ج ٢ ص ٤ ، ص ٤٧٠ نقلا عن قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٣٨ .

فمن المعروف أن حارة اليهود تمثل جزءا من حارة زويلة ، إذا فمفهوم كلمة « حارة » هنا يعنى « منطقة » إذا أطلق على حارة زويلة ، ويعنى أيضا « حيا » إذا أطلق على حارة اليهود • يؤكد ذلك أن حارة زويلة تضم حارة أخرى للنصارى مجاورة تماما لحارة اليهود •

إلا أن كلمة « حارة » تأتى لتأخذ بعدا آخر ، إذ نجد داخل حارة اليهود حارة لليهود القرائين ، وحارة أخرى لليهود السامرة • ولا ينبغى أن نفهم من كلمة « حارة » هنا — عند إطلاقها على حارة اليهود القرائين أو السامرة — مفهومها الحديث لكلمة حارة أو حتى شارع • إذ أن الأقرب فى رأينا أنه أقرب الى مفهوم الـ « حى » ، ولكنه فى هذه المرة « الحى الصغير » • يؤيد ذلك أن تلك الحارة كانت تضم بعض الدروب مثل درب « المدور » بحارة اليهود القرائين[٣] ، ودرب « العرب » بحارة اليهود السامرة[٤] ، فضلا عن العديد من الأزقة ، مما يؤكد تعددية مفهوم الحارة هنا بالنسبة للحارة الأم « حارة زويلة » ثم « حارة اليهود » ، وأيضا الحارات الفرعية « القرائين والسامرة » •

ولا تقف تعددية « المصطلح » عند مفهوم كلمة « حارة » فحسب بل تمتد لتشمل مفهوم كلمة « خط » ، ففى بعض الأحيان تذكر الوثائق « خط حارة زويلة » ، وأحيانا تكتفى بـ « حارة زويلة » فقط • ثم تعود الوثيقة لتطلق كلمة « خط » على جزء صغير داخل « حارة زويلة » ، وداخل حارة اليهود نفسها « خط درب العرب بحارة اليهود

---

(٣) أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة ، محكمة الصالحية النجمية ، سجل ٤٤٧ ، صفحة ٤١٣ ، مادة ١٥٤٠ ، ٥ ربيع أول ٩٦٧ هـ / ٥ ديسمبر ١٥٩٩ م . وسيكتفى بعد ذلك بالاشارة الى محكمة الصالحية النجمية برمز ص ن ، ثم يذكر رقم السجل ، الصفحة ، المادة ، التاريخ .

(٤) دار الوثائق القومية ، وثيقة وقف السلطان سليم الثانى رقم ٣٣٩ أوقاف ، ص ١٨ ، ١٩ .

السامرة » • ثم يعود التداخل ليظهر من جديد بين مصطلحى حارة وخط « خط رأس حارة السامرة » أى خط أول حارة اليهود السامرة[٥] •

وهكذا يتبين لنا أن مصطلح « خط » قد أطلق على الحارة الكبرى « حارة زويلة » ثم أطلق على جزء من حارة اليهود التى تضمها حارة زويلة « خط رأس حارة السامرة » ؛ ثم على جزء من حارة اليهود السامرة « خط درب العرب » • ومن الصعب القول بأن هذا الخلط فى المصطلحات يأتى عفوا من جانب كتاب الوثائق والأقرب أنه تعبير عن تعددية وليس أحادية مفاهيم مصطلحات الخطط آنذاك • مما يضع صعوبات جديدة أمام الباحث عند إعداد تصور عام لخطط حارة اليهود فى العصر العثمانى •

الملاحظة الثانية بالنسبة لخطط حارة اليهود هى إنسحاب اسم الجزء ليصير علما على الكل ، وهو ما نلاحظه بالنسبة لحارة اليهود • وقد سبقت الاشارة الى أن الحارة كانت تمثل جزءا من حارة زويلة ؛ إلا أننا فى بعض الفترات ، نجد أن سمة أو طابع هذا الجزء تطغى على الكل وتتغير المسميات • فتذكر الوثائق « حارة زويلة المعروفة الآن بحارة اليهود »[٦] • وهكذا تكاد حارة اليهود تطغى بشهرتها وباسمها على الحارة الأم « حارة زويلة » مع الأخذ فى الاعتبار أن حارة زويلة كانت تضم أيضا حارة للنصارى •

ولا يمكن تصور أن كاتب الوثيقة قد دون ذلك من أجل رفع قدر اليهود آنذاك • فالوثيقة هنا محايدة تماما ، إذ أنها وثيقة من وثائق المحكمة الشرعية ترجع إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر • وربما يرجع شيوع اسم « حارة اليهود » على « حارة زويلة » الى ارتفاع مكانة اليهود آنذاك •

---

(٥) نفس الوثيقة ص ١٨ .

إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا إذ سرعان ما تفقد حارة اليهود شهرتها السابقة وامتداد اسـمها الذى صار علما على الحارة الأم « حارة زويلة » • إذ يحدثنا على مبارك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عن حارة زويلة قائلا أنها أصبحت مشهورة بحارة النصارى نظرا لسكنى كثير من النصارى بها[٧] •

وفى رأينا أن هذا لا يعتبر تعليلا كافيا لتغير الاسم والزوال النسبى للطابع اليهودى — مع بقاء حارة اليهود — وغلبه الطـابع المسيحى على « حارة زويلة » ، إذ أن سكنى المسيحيين فى حارة زويلة سابق على القرن التاسع عشر ، وملحوظ فى العصر العثمانى[٨] ، وربما يرجع شيوع إطلاق اسم حارة النصارى على حارة زويلة الى ازدياد أعداد المسيحيين فى الحارة فى القرن التاسع عشر ، فضلا عن الارتفاع الملحوظ لمكانة الأقباط فى القرن التاسع عشر •

ومن النقاط المهمة الاخرى بالنسبة لخطط حارة اليهود ، والتى قد تبدو شكلية ولكنها فى الحقيقة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لدراسة التاريخ الاجتماعى : مسألة مسميات طرق ودروب حارة اليهود • فمن الملاحظ إنعكاس الخصوصية الدينية عليها الى حد كبير • ويظهر أثر ذلك واضحا فى إطلاق أسماء الفرق الدينية اليهودية على الحارات الفرعية لحارة اليهود • فنجد حارة اليهود القرائين ، وحارة اليهود السامرة • كما انعكس ذلك على « الأزقة » الصغيرة ، فنجد « زقاق السامرة »[٩] الذى يقع بداخل حارة السامرة ، وأيضا « خوخة القرائين » فى حارة اليهود القرائين[١٠] •

---

(٧) على مبارك : المصدر السابق جـ ٣ ص ٧٣

(٨) أنظر بهذا الشأن :

محمد عفيفى : الأقباط فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٩٢ .

(٩) وثيقة وقف السلطان سليم الثانى ص ١٩ .

(١٠) Richards, D. S., Arabic documents from the Karaites Community in Cairo. JESHO. 15.1972. p. 146.

وفى بعض الأحيان أطلقت أسماء بعض الشخصيات اليهودية على بعض الدروب فنجد على سبيل المثال « درب عطية كوهان » ولعله أحد الشخصيات اليهودية المهمة فى الدرب ، ثم أصبح اسمه علما عليه • كما تنبع أسماء بعض الدروب من الخصوصية الدينية لليهود كأهل ذمة فى المجتمع المصرى • ودليل ذلك وجود درب فى حارة اليهود يطلق عليه « درب الهالك »(١١) • والهالك هذا مصطلح يرتبط بوضعية اليهـود كأهل ذمة إذ كان يطلق على أموات أهـل الذمة كناية عن تحقيرهم ، وأن مأواهم بعد الموت الى الهلاك ، أى النار وليسـت الجنة • وهى الفكرة السائدة فى الوجدان الاسلامى فى تلك العصور نتيجة سيادة مفاهيم دينية معينة •

ولم تقتصر الخصوصية اليهودية فى أسماء الطرق والدروب على البعد الدينى فحسب بل امتدت لتشمل البعد الاقتصادى وارتباطه بالخصوصية اليهودية • لذا لم يكن غريبا أن نجد داخل حارة اليهود « درب قاعة الفضة » و « دار الصاغة » و « قاعة الصاغة » و « قاعة تصفية الذهب »(١٢) • ويبدو أن درب قاعة الفضة كان من الدروب المهمة فى حارة اليهود إذ يقع به بعض المعابد اليهودية(١٣) •

والى جانب هذا وذاك توجد أسماء بعض الدروب التى لا نجد لها تفسيرا معينا • فنجد دربا يسمى بدرب « الكورانى » ، ويوجد بنفس الدرب دار تدعى بدار الكورانى • ويبدو أن الاسم يعود الى شخصية ما لأن الوثيقة تحدثنا أيضا عن « وقف الكورانى » ، ولكننا لا نملك أية تفاصيل حول ماهية هذا الاسم •

---

(١١) وثيقة السلطان سليم الثانى ص ١٨

(١٢) محكمة الباب العالى ، ٥١ ، ٦ ، ٢٨ ، ٢ صفر ٩٩٣ وأيضا وثيقة السلطان سليم ص ١٥ .

(١٣) ص ن ، ٥١٦ ، ٣٤١ ، ٨٣٥ ، ٢٠ شوال ١١٤٥/٧/٤/ ١٧٣٣ م •

ومن أسماء الدروب التى لا نجد تفسيرا لمسمياتها درب « العرب » بحارة اليهود السامرة ودرب « المدور » بحارة القرائين ، فضلا عن « درب بيتار » ودرب « اللؤلؤة » ودرب « المبلط »[١٤] •

وفى بعض الأحيان لا تذكر الوثيقة اسم الدرب وإنما تكتفى بالاشارة إليه من خلال بعض المعالم الأثرية به مثل « الدرب المتوصل منه لسوق السمك وللمسجد المعروف بالقريطة »[١٥] • وهو مسجد كان يقع داخل حارة اليهود •

ومن النقاط التى تتعلق بخطط حارة اليهود ، عوامل التواصل أو الانقطاع مع أو عن الاخر ، أو بمعنى أدق هل كانت حارة اليهود « جيتو » ؟ والاجابة عن هذا السؤال لن تأتى من خـــلال دراسة الحياة الاجتماعية داخل الحارة ، بقدر ما تأتى من خلال دراسة الخطط والحياة الاقتصادية بها •

وأولى الأفكار المسبقة التى تتبادر إلى الذهن عن حارة اليهود ، أنها حارة ضيقة يتكدس بها اليهود ، ولها باب كبير يغلقونه على أنفسهم وينعزلون خلفه عن الاخر • والواقع أن الشواهد المعمارية لا تتفق مع هذا الى حد كبير • إذ تذكر لنا إحدى الوثائق التى تعود الى النصف الثانى من القرن السادس عشر وجود خمسة أبواب بحارة اليهود آنذاك • وترجع أهمية ذلك الى بيان تعددية وليس أحادية منافذ الاتصال مع الأخر • والأكثر من ذلك أن اليهود ليسوا هم الذين يغلقون هذه الأبواب على أنفسهم ، وإنما هناك « خفر » من جانب الدولة يوكل إليهم أمر هذه الأبواب من قبل الشرطة ، كما أن « مفاتيح هذه الأبواب مع البوابين الخفرا من جانب الصوباشى »[١٦] • وكانت

---

(١٤) وثيقة السلطان سليم ص ١٨ ، ١٩ •

(١٥) ص ن ٥١٦ ، ٢٦٠ ، ٦٢٠ ، ١١ ربيع ١١٤٥/١/١٠/ ١٧٣٢ •

(١٦) الباب العالى ٥١ ، ٦ ، ٢٨ ، ٢ صفر ٩٩٣/٣/٢/١٥٨٥ •

حارة اليهود تفتح نهارا ، وتغلق ليلا خشية اللصوص • كما تغلق هذه الأبواب أحيانا فى أوقات الاضطرابات السياسية ، وهذا ما ينطبق الى حد ما على غالبية الحارات الاخرى التى تضمها القاهرة •

ولم تكن أبواب حارة اليهود هى المنافذ الوحيدة للاتصال أو حتى الانقطاع عن الآخر ، إذ توجد العديد من الشواهد المعمارية الاخرى الدالة على انفتاح حارة اليهود على الأخر ، ولا سيما الأخر المسيحى ، ونقصد بهم سكان حارة النصارى المجاورة لحارة اليهود • إذ تذكر وثيقة من وثائق المحكمة الشرعية استئجار المعلم مردخاى بن عمران بن موسى اليهودى الربان من القاضى زين الدين عبد الوهاب « جميع المكان الكاين بحارة زويلة بالقرب من حارة النصارى المتوصل إليها من خوجة الاوز ، المعروف ذلك بسكن داود بن موسى كوهان ذات البابين أحدهما من حارة النصارى والثانى من حارة اليهود » أى أن المنزل ذو بابين أحدهما يفتح على حارة النصارى بحارة زويلة والآخر على حارة اليهود[١٧] ، مما يوضح تعددية منافذ الاتصال مع الأخر •

ومن ناحية أخرى لا تخلو حارة اليهود من وجود طابع إسلامى واضح بها • فمن الملاحظات التى استرعت إنتباه علماء الحملة الفرنسية وجود مسجد بحارة اليهود ، إذ يذكر جومار أن « من الأشياء الجديرة بالملاحظة أنه فى وسط هذا التجمع الكبير — حارة اليهود — يوجد مسجد »[١٨] ، وتؤكد وثائق المحكمة الشرعية قدم هذا المسجد عن عصر الحملة الفرنسية ، إذ تذكر وثيقة ترجع الى النصف الأول من القرن الثامن عشر وجود مسجد فى حارة اليهود يعرف بمسجد « القريطة »[١٩] • بينما تذكر بعض الوثائق الخاصة باليهود القرائين



---

(١٧) ص ن ٤٧٤ ، ١١٨ ، ٤٣٨ ، ٣٠ ذو القعدة ١٠٠٥/١٥/٧/ ١٥٩٧ .

(١٨) جومار : وصف مدينة القاهرة ص ٢٠٣ .

(١٩) ص ن ٥٢٦ ، ٣٦٠ ، ٦٢٠ ، ١١ ربيع ١١٤٥/١/١٧٣٢١٠

سابقة على القرن الثامن عشر وجود مسجد بحارة اليهود[٢٠] .

ولا يقتصر الطابع الاسلامى على وجود مسجد بحارة اليهود ، ولكنه يتعـــدى ذلك كثيرا . إذ تشير معظم الوثائق التى تعود إلى العصر العثمانى الى أن معظم عقارات حارة اليهود كانت جارية فى أوقاف إسلامية ، ولم يكن لليهود سوى حق الخلو والايجار والسكنى بها . حتى أن كنيس اليهود الفرنج البنادقة بحارة اليهود كانت جارية فى وقف إسلامى هو وقف الجمالى يوسف ناظر الخاص ولم يكن لليهود سوى حق الايجار والخلو من الوقف مع إقامة الشـــعائر الدينية بها[٢١] .

وتشير المصادر التاريخية المعاصرة الى بعض مظـــاهر الطابع الاسلامى على خطط حارة اليهود ، حيث تذكر وجود بعض البيوت الخاصة بكبار العسكريين على أطراف حارة اليهود « رأس حارة اليهود »[٢٢] . كل هذه الشواهد من الخطط توضح مدى تواصل حارة اليهود مع الآخر وعدم انغلاقها على الذات أو تحولها الى « جيتو » .

وعلى الرغم من وجود العديد من الأسواق التجارية فى حارة اليهود — وهو ما سندرسه بعد ذلك مع مظاهر الحياة الاقتصادية — إلا أن الوثائق لا تمدنا بالكثير من التفاصيل حول وصف خطط هذه الاسواق . وأهم وصف فى هذا الشأن هو ما قدمته وثيقة السلطان سليم الثانى لأحد الأسواق فى حارة اليهود القرائين[٢٣] . والملاحظة الأولى على هذا الوصف أن الوثيقة لم توضح طبيعة النشاط التجارى لهذا السوق ؛ وهل هو سوق متخصص فى سلعة ما ، أم سوق عام

---

(٢٠) Richards, Op. cit., p. 146, 147.

(٢١) ص ن ٥١٦ ، ٣٤١ ، ٨٣٥ ، ٢٠ شوال ١٧٣٣/٤/٧/١١٤٥

(٢٢) الأمير أحمد الدمرداش : كتاب الدرة المصانة ، تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٥٤ ، ٢١١

(٢٣) وثيقة وقف السلطان سليم الثانى ص ١٧

يضم العديد من ألوان النشاط التجارى • الملاحظة الثانية هى أن السوق يقع فى الشارع الرئيسى فى حارة القرائين ؛ إلا أنه لا يقتصر على الشارع الرئيسى فحسب ، بل يمتد نشاطه الى الطرقات الفرعية أيضا حتى ولو كانت أزقة غير نافذة (مسدودة) ؛ حيث يوجد بهذه الأزقة العديد من الحوانيت التى توصف بإنها إمتداد للسوق • إلا أن هذا لا ينفى حقيقة أن معظم الدوانيت فى هذا السوق وأهمها كان يقع على الطريق الرئيسى • أو على حد تعبير الوثيقـــة « الطريق المسلوك » والذى يعتبر قلب السوق النابض •

وتعتبر المعابد اليهودية من أهم مظاهر خطط حارة اليهود لأنها تعطى للحارة طابعها الدينى الخاص بها • وأولى ملاحظاتنا على المعابد اليهودية تدور حول أعداد هذه المعابد ، وتضارب المصادر التاريخية فى تقدير أعدادها • ويعتبر وصف القاهرة لعلماء الحملة الفرنسية هو مصدرنا الأساسى فى تقدير عدد هذه المعابد فى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، إذ يقدر جومار عدد المعابد فى حارة اليهود بعشرة معابد[٢٤] • وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر تقدرها بعض المصادر الثانوية مثل إدوار وليم لين وكلوت بك[٣٥] بثمانية معابد • إلا أن على مبارك ــ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ــ يذكر أن عدد المعابد فى حارة اليهود عشرة معابد[٢٦] •

وهكذا تتفق المصادر الأساسية متمثلة فى جومار وعلى مبارك فى تقدير عدد المعابد بعشرة ؛ بينما تختلف معهما المصادر الثانوية متمثلة فى لين وكلوت بك • والأرجح أن عدد المعابد اليهودية كان حوالى عشرة معابد ، وليس لدينا دليل على إغلاق بعض المعابد فى

---

(٢٤) جومار : المصدر السابق ص ٢٠٣

(٢٥) ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، ترجمة عدلى طاهر نور ، ص ٥٦٩ ، وأيضا كلوت بك : المصدر السابق ج ٢ ص ٨٤ .

(٢٦) على مبارك : الخطط ج ١ ص ٢٣٢ .

النصف الأول من القرن التاسع عشر حتى نؤكد انخفاض عدد المعابد الى ثمانية .

الملاحظة الثانية حول المعابد اليهودية توضحها لنا خريطة القاهرة التى وضعها علماء الحملة الفرنسية ، فإن نظرة متأنية على هـذه الخريطة توضح لنا تركز معظم المعابد اليهودية فى منطقة الوسط من حارة اليهود ، وليس على أطرافها .

الملاحظة الثالثة حول وصف المعابد اليهودية ، ويصف جومار المعابد اليهودية قائلا « من الخارج لا يوجد أى شىء يميز أبوابها — المعابد — عن المنازل الاخرى ، أما من الداخل فهى حسنة ومزينة بأعمدة من الرخام »[٢٧] . وتقدم لنا وثيقة من وثائق المحكمة الشرعية ترجع الى النصف الأول من القرن الثامن عشر[٢٨] وصفا لا بأس به لأحد معابد اليهود ، وهو الكنيس الذى عرف آنذاك بكنيس مرزوق ، ويقع فى درب قاعة الفضة ، والذى عرف بعد ذلك بكنيس « البرتكيز » وهو خاص باليهود البنادقة بحارة اليهود[٢٩] .

وتذكر الوثيقة أن أصل هذا المعبد جار فى وقف أحد المسلمين وهو وقف الجمالى يوسف ناظر الخواص ، بينما لليهود حق الخلو والايجار والاذن « بالعمارة والمرمة والانشاء والتجديد بالكنيس » وتقدر الوثيقة قيمة مبلغ الخلو بحوالى ١١٥٨٦ نصف فضة ، ومدة التواجر ثلاثون سنة ، وقيمة الايجار الشهرى ١٥ نصف فضة .

وتصف الوثيقة المعبد بأن له بابا مربعا يعلوه شباك ، ويدخل من الباب الى دهليز ، يتوصل منه الى « فسحة » بها دكك خشب ، وأرضية الفسحة من البلاط الكدان ، ويحيط بها بعض المصاطب ، ويوجـد

---

(٢٧) جومار : المصدر السابق ص ٢٠٣ .
(٢٨) ص ن ٥١٦ ، ٣٤١ ، ٨٣٥ ، ٢٠ شوال ١١٤٥/٧/٤/١٧٣٣
(٢٩) محكمة القسمة العربية ، ١٠١ ، ٢٩٨ ، ٦٧٢ ، ١٧ صفر ١١٥٢/٢٦/٥/١٧٣٩ .

بالفسحة باب يؤدى الى حاصل خاص بوقاد الكنيس ، ويجاور ذلك بعض الخزائن المعدة لحفظ الكتب الدينية ، ثم درجتين سلم عليهما إيوان ودكة من الخشب مخصصة لجلوس الحاخام • كما يوجد بالكنيس بئر للماء صالح للشرب ، ومرحاض • ويعلو الــدور الأرضى بعض الطباق المخصصة للاقامة فى الدور الأول • ويربط الدور الأرضى بالدور الأول سلم « مطلع » له باب خاص • ويستخلص من هــذا الوصف أن المعبد كان متواضعا الى حد ما ، ولم يكن به الكثــير من مظاهر الترف آنذاك •

ومن ناحية أخرى ليست لدينا معلومات دقيقة عن الكثافة السكانية وخطط حارة اليهود وتوزيع نسب هذه الكثافة على أجزاء الحارة ، وهل تتميز بعض أماكنها بارتفاع نسبى فى الكثافة السكانية عن غيرها داخل الحارة ؟

يقدر علماء الحملة الفرنسية عدد اليهود فى الحارة بحــوالى ثلاثة آلاف نسمة[٣٠] • كما نجد بعض الاشارات فى المصادر الأدبية التاريخية توضح ارتفاع الكثافة السكانية داخل الحارة • فيصف جومار الحارة بأنها « واسعة جدا ومكتظة بالسكان »[٣١] • كما يصف كلوت بك منازل الحارة بأنها « متلاحمة ومتراكنة الى بعضها »[٣٢] •

وفى رأينا أنه إذا كنا نفتقر الى معلومات دقيقــة حــول الكثافة السكانية داخل حارة اليهود ، فإن هناك بعض الظواهر المعمارية التى تشير الى ارتفاع الكثافة السكانية فى الحارة ، ولعل أهم هذه الظواهر على الاطلاق وجود « الربع » داخل الحارة •

والربع فى واقع الأمر ظاهرة معمارية تكاد تنفرد بها مصر ، وهو

---

(٣٠) جومار : المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٣١) نفسه ص ٢٠٣ .

(٣٢) كلوت بك : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٣٧ .

محاولة لحل المعادلة الصعبة بين الارض والاقتصاد والسكان ، أو بمعنى أدق أهمية استثمار الأرض فى بناء وسائل النشاط التجارى من حوانيت ومخازن ووكالات تجارية وأسواق وغيره دون التضحية بأهمية توفير المسكن الذى يستوعب أكبر قدر ممكن من الكثافة السكانية التى كانت تزداد آنذاك فى المناطق التجارية المهمة • من هنا تم استثمار الأرض فى بناء وسائل النشاط الاقتصادى المختلفة ، ثم بناء الرباع فوقهـا •

وفى نفس الوقت يعتبر الربع[٣٣] فى حد ذاته محاولة لاستيعاب أكبر قدر ممكن من الكثافة السكانية فى حيز ضيق نسبيا ، وهو نمط من أنماط السكن المشترك مختلف عن نمط المسكن الخاص الذى يفضله الذوق العصرى •

من هنا عرفت حارة اليهود ظاهرة « الربع » وكان بها العديد من الرباع[٣٤] ، كما عرفت أيضا ظاهرة تحول العديد من الأدوار الأرضية للمساكن الخاصة فى الحارة الى حوانيت للوفاء بمتطلبات النشاط الاقتصادى الذى عرفته الحارة والذى سيأتى ذكره عند معالجة الحياة الاقتصادية داخلها •

ولا يفوتنا أن نرى الوجه الآخر لهذه الظواهر المعمارية التى تشير الى ارتفاع الكثافة السكانية والرواج التجارى بحارة اليهود ، فإذا كنا قد نظرنا الى وجود الرباع داخل الحارة على أنه دليل على

---

(٣٣) للمزيد من الايضـــاح فان الربع اقرب ما يكون الى نمط « العمارة » السكنية التى نعرفها فى وقتنا الحاضر ، والتى تعتبر من أنماط السكن المشترك ، اذ أنها تضم العديد من السكان فى بناية واحدة . كما أنها تستفيد من حيز الارتفاع فى تعدد الطوابق « الأدوار » بينما المسكن الخاص غالبا ما يضم أسرة واحدة فى حيز متسع من الارض ، ولا يستفيد من حيز الارتفاع عن الرباع . أنظر محمد عفيفى : الرباع فى العصر العثمانى ، ضمن كتاب « المنشآت ذات العائد فى مصر » ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، تحت الطبع .

(٣٤) ص ن ٤٨٤ ، ٣٢ ، ١٧٠ وأيضا ص ن ٥٠٢ ، ٩٨ ، ٣٠٤ .

ارتفاع الكثافة السكانية بها ، فإن هناك بعض التحفظات التى قد توجه الى ذلك منها أن الربع بصفة عامة هو النمط المعمارى السائد ليس فى حارة اليهود فحسب ، بل فى منطقة شارع المعز وضواحيه • كما أن هناك علاقة مهمة بين الرباع وظروف النشأة التاريخية لها ، إذا أن معظم هذه الرباع ترجع حيازتها الى بعض الأوقاف الكبرى ، وبالتالى فهناك علامات استفهام حول علاقة النشأة التاريخية لها بكثافة السكان ، وهل أنشئت هذه الرباع لعلاج مسألة الكثافة السكانية فى منطقة ما ، أم أن نشأتها التاريخية ترجع الى رغبة أحد الواقفين فى تعمير المنطقة بإنشاء الرباع باعتبارها النمط المعمارى السائد فى المنطقـــة •

وعلى أية حال قد يبدو هذا التساؤل نظريا الى حد كبير ولكنه فى الواقع على درجة كبيرة من الأهمية فى دراسة الخطط فى العصر العثمـــانى •

ولا تقتصر علامات الاستفهام حول الكثافة السكانية والخطط فى حارة اليهود على الرباع والحوانيت والوكالات التجارية ، إذ توجد بعض الظواهر التى تشكك فى مصداقية الاحتمال القائل بارتفاع نسبة الكثافة السكانية فى حارة اليهود ، وأهم هذه الظواهر هو وجود أرض فضاء داخل حارة اليهود نتجت عن انهيار بعض المساكن وعدم إعادة بنائها من جديد ، وهو ما كان يسمى آنذاك « خربة » •

ولا يقتصر وجود الخرائب على منطقة بعينها فى حارة اليهود ، بل تنتشر فى عدة نواحى داخل الحارة • إذ تذكر لنا إحدى وثائق الوقف وجود خربة بحارة اليهود القرائين ، وثانية فى درب الصقالبة ، وثالثة فى حارة اليهود السامرة • ولا يقتصر وجود الخرائب على أطلال المساكن أو الأراضى الفضاء فحسب إذ نجد بعض الحوانيت « الخربة » مثلما وجدنا فى حارة السامرة[٣٥] •

---

(٣٥) وثيقة وقف السلطان سليم ص ١٩ ، ٢٠ .

وقد يبدو وجود الخرائب فى المساكن والحوانيت والأراضى الفضاء فى الحارة دليلا على عدم وجود كثافة سكانية مرتفعة أو نشاط تجارى كبير يخلق الحاجة المثلى لاستثمار الأراضى للوفاء بالمتطلبات السكانية والتجارية ، كما أن وجود الخرائب فى حد ذاته يتعارض مع وجود الرباع ومحاولة الاستغلال الأمثل للارض .

وفى رأينا أن وجود الخرائب فى حارة اليهود لا يعد دليلا على إنخفاض الكثافة السكانية فى الحارة أو حتى ركود النشاط التجارى بها . وينبغى — بحكم ظروف العصر — النظر الى وجود الخرائب فى حارة اليهود على أنها حالات ملكية فردية ترتبط بظروف وقف ما أو أو مالك معين وعدم قدرته على تجديد المساكن أو الحوانيت أو حتى التصرف فيها بالبيع ، وهو ما ينطبق بصفة خاصة على الأوقاف نظرا للقيود العديدة التى تفرضها الشريعة على بيـــع العقارات الخربة الموقوفة أو حتى استبدالها بأخرى أو بأموال . وربما يرجع وجود الخرائب الى حدوث نزاعات وبخاصة على الميراث بين أصحاب هذه الخرائب مما يعرقل امكانية استغلالها .

هكذا نرى أن وجود مساكن وحوانيت « خربة » داخل حارة اليهود لا يعد دليلا على إنخفاض الكثافة السكانية وركود النشاط التجارى بها ، ولكن من الممكن الاستناد إليه كدليل على عدم القدرة على الاستغلال الأمثل للأراضى داخل حارة اليهود فى بعض الفترات الزمنية فى العصر العثمانى .

الحياة الاقتصادية فى حارة اليهـــود :

من الامور التى تسترعى الانتباه عند دراسة حارة اليهـــود فى العصر العثمانى مظاهر النشاط الاقتصادى داخل الحارة نفسها . وأول التساؤلات التى تتبادر الى الذهن عند التعرض لهذا الموضوع هو طبيعة العلاقة بين الدين والاقتصاد داخل الحارة ، أو بمعنى أدق الرابطة بين مظاهر النشاط الاقتصادى داخل الحارة وبين الحارة ذاتها كإطار يضم أقلية دينية ؟

لكن طرح التساؤل بشكله السابق ومحاولة الربط بين الدين والاقتصاد يفتح الباب فى نفس الوقت لطرح النقيض ، أى عدم الربط بين الدين والاقتصاد ، ومحاولة الربط بين النشاط الاقتصادى والموقع الجغرافى من خلال درسة مدى تأثر حارة اليهود بالأحياء المجاورة • من هنا يظهر أثر العامل الجغرافى عند طرح الاحتمال الثانى وهو أن تكون مظاهر النشاط الاقتصادى فى الحارة هى فى حد ذاتها امتدادا طبيعيا لمراكز النشاط الاقتصادى المحيط بها ، لاسيما وأن الحارة ليست بعيدة عن الشارع الأعظم — شارع المعز — ومراكز النشاط التجارى فى الصاغة وسر البيمارستان •

وبعيدا عن إبراز أهمية العامل الجغرافى ، يطرح الاحتمال الثالث نفسه فى محاولة تفسير مظاهر النشاط التجارى فى حارة اليهود ، حيث يربط هذا الاحتمال بين النشاط الاقتصادى فى الحارة وبين طبيعة وروح العصر ، وإنتفاء عامل الخصوصية عن حارة اليهود والتركيز على عامل العمومية ، من هنا نطرح احتمال ألا تكون مظاهر النشاط التجارى فى الحارة مختلفة كثيرا عن مثيلتها فى حارات الأقليات الاخرى ، أو حتى فى أى حارة مصرية أخرى آنذاك ، مما يضعف من أهمية العامل الدينى ، ويبرز أهمية طبيعة العصر ومظاهر الحياة اليومية العادية •

ويوضح أندريه ريمون طبيعة العلاقة بين النشاط الاقتصادى والطابع الدينى لحارة اليهود ، فيقدم العديد من الأدلة والبراهين القوية على صحة هذا الفرض ، مثل وجود مذابح (سلخانات) للحوم فى الحارة مخصصة لليهود فقط • ويرجع ذلك الى أسباب خاصة بالشعائر الدينية اليهودية وطقوس الذبح • واعتمادا على الرحالة التركى أوليا جلبى الذى زار مصر فى القرن السابع عشر ، يقدر ريمون أعداد القصابين فى حارة اليهود بحوالى ثلاثين قصابا يهوديا • والأكثر من ذلك يبرز ريمون تأثير الاختلاف المذهبى بين اليهود على النشاط الاقتصادى داخل الحارة ، إذ عرفت الحارة وجود قصابين مختصين

ببعض الطوائف اليهودية دون غيرها ، مثلما يظهر فى حالة طائفة اليهود القرائين • وعلى نفس المنوال يعلل ريمون وجود سوق للسمك داخل حارة اليهود تعليلا دينيا مثله مثل وجود السلخانات ، نظرا لوجود علاقة بين السمك وأنواعه وحاجات الطقوس والتقاليد الدينية الغذائية الخاصة باليهود(٣٦) •

يضاف إلى ذلك — مع مراعاة الفارق — خمارات حارة اليهود ، والتى سمحت الادارة بإقامتها فى بعض حارات الأقليات الدينية ، وإن كان أشهرها خمارات حارة اليهود ، والتى كثيرا ما لجأ بعض الحكام الى إغلاقها كإعلان عن تقواهم وبدء سياسة جديدة فى عهدهم(٣٧) •

عامل آخر يمكن إضافته الى البعد الدينى وإن كان ثقافيا ، ونقصد به لغة الصكوك المتعامل بها فى الأنشطة الاقتصادية بحارة اليهود • فمن المعلوم أن العربية أصبحت منذ فترة طويلة لغة التخاطب بين اليهود ، وتراجعت العبرية ، ثم ظهرت العربية المكتوبة بأحرف عبرية •

وتلقى وثائق المحكمة الشرعية الضوء على هذا الأمر ، فعلى سبيل المثال كان للمعلم خضر بن نسيم اليهودى الربان حق « الخلو » فى مكان بحارة اليهود القرائين ، وكان هذا المنزل جاريا فى الأصل فى وقف مسلم وهو وقف « فرحان العجمى » ، أما حق الخلو ففى يد المعلم خضر اليهودى والمستند الدال على ذلك « مكتوب بالخط العبرى » ويحتفظ به المعلم خضر(٣٨) •

---

(٣٦) Raymond, A. Artisans et Comercants au Caire au XVIIIe siecle, Damas, 1973, p. 312, 313.

(٣٧) الجبرتى : ج ٢ ص ٥ وأيضا أحمد كتخدا عزبان : المصدر السابق ص ٦٧

(٣٨) ص ن ٥٠٢ ، ١٢٧ ، ٣٩٦ ، ١١ جمادى الأول ١٠٨٢/١٥/ ١٦٧١/٩ •

كما تقدم وثائق المحكمة الشرعية وثيقة أخرى تتضمن معاملات اقتصادية بين بعض اليهود فى الحارة وصلت قيمتها الى ٢٠٠ ألف نصف فضة • وتذكر الوثيقة أن المستند الضامن لهذه المعاملة كتب بالخط العبرى ، وأنه تم رهن العديد من المساكن فى حارة اليهود مقابل الوفاء بالمبلغ السابق(٣٩) •

وبطبيعة الحال فإن الأمثلة السابقة صادقة ومهمة الى حد كبير فى إبراز مدى ارتباط الطقوس الدينية والعادات الخاصة والثقافة بالنشاط الاقتصادى فى الحارة • إلا أنه لا ينبغى — فى رأينا — إهمال طبيعة علاقة « المكان » بين حارة اليهود وأهم المراكز التجارية فى القاهرة آنذاك • ففى ذلك الوقت لم تكن حارة اليهود بعيدة عن مراكز التجارة فى القاهرة • وكانت هناك العديد من العلاقات التجارية الواضحة بينها وبين مراكز النشاط التجارى المحيطة بها •

وعلى سبيل المثال ترصد وثائق المحاكم الشرعية بعض المعاملات التجارية بين المعلم يوسف بن صدقة بن يحيى الربان اليهودى المتسبب (تاجر قطاعى) بحى الصاغة كطرف أول و « المعلم شموال بن باروخ المروسانى ومسعود بن ناثان بن مسعود وموسى بن يهود الربان كل منهم المتسببين بحارة اليهود » كطرف ثانى على أن يمد الطرف الأول الطرف الثانى بالبضاعة ، ويصبح ثمنها دينا يقومون بسداده بعد ذلك(٤٠) • وهو أسلوب من أساليب المعاملات الاقتصادية الشائعة بين التجار الكبار والصغار — بصرف النظر عن الديانة — لتسويق البضائع ثم سداد الثمن بعد ذلك • ويبرز المثال السابق العلاقة بين التجار اليهود فى حى الصاغة والتجار بحارة اليهود •

وفى مطلع العصر العثمانى يذكر لنا إبن إياس حادثة تلاعب بعض

---

(٣٩) ص ن ٥٠٢ ، ٤٦ ، ١٢٧ ، ٢٢ صفر ١٠٨٢/٣٠/٦/١٦٧١

(٤٠) ص ن ٤٨٤ ، ١٢ ، ٧١ ، ٢٧ ربيع الثانى ١٠٢٠/٩/٧/١٦١١ •

الصاغة اليهود فى أوزان الذهب وقيمته ، وكيف أقتحمت الشرطة منزل اليهودى بحارة اليهود ، ووجدت عنده المعدات التى يستخدمها فى تلاعبه ، وعليه « خوزقوا » الصائغ اليهودى على باب الصاغة الذى لا يبعد عن حارة اليهود[٤١] . ونستفيد من هذه القصة وجود علاقات وثيقة بين حى الصاغة وحارة اليهود منذ مطلع العصر العثمانى . يؤيد ذلك ما تذكره وثائق المحكمة الشرعية من وجود صياغ يهود يزاولون الحرفة داخل حارة اليهود « داود بن حبيب اليهودى الربان الصائغ بخط حارة اليهود » كما تذكر الوثائق أيضا وجود حوانيت داخل الحارة معدة لمزاولة حرفة الصياغة « جميع العدة المعدة لصناعة الصياغة الموضوعة بالحانوت الكائنة بحارة اليهود[٤٢] .

تدل كل هذه الشواهد على أن النشاط الاقتصادى فى حارة اليهود قد تأثر الى حد كبير بالنشاط التجارى المحيط به ، لاسيما إذا أخذنا فى الاعتبار شهرة اليهود فى مهنتى الصاغة والصرافة ، بحيث كان من الطبيعى أن يمتد نشاطهم فى هذه الحرف الى داخل حارتهم ذاتها مع بقاء الصلات بين الحارة وحى الصاغة .

ومما يؤكد على أهمية الاحتمال السابق من حيث تأثر حارة اليهود بالقرب من مراكز النشاط التجارى المحيطة بها ، ووجود مصنع للسكر « مطبخ معد لطبخ السكر » فى حارة اليهود . وهذا النشاط التجارى يتفق مع وجود مراكز صناعة وتسويق السكر بالقرب من الحارة وبصفة خاصة فى ضواحى الشارع الأعظم — شارع المعز — . يعزز هــذا الفرض أن المصنع القائم فى حارة اليهود يعــود الى أحد الأوقاف الاسلامية ، وهو وقف « أحمد أفندى شعبان » ويطرح سنويا حق

---

(٤١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ٥ ، ص ٤٤٥

(٤٢) ص ن ٥٠٢ ، ١٥٣ ، ٤٩٢ ، ٣٠ جمادى الأول ١٠٨٢/٤/١٠/١٦٧١ .

الايجار والاستغلال اللذين كانا دائما فى أيدى المسلمين أيضا[٤٣] .

ويؤكد هذا الرأى ما تذكره الوثائق من وجود ثلاثة تجار من المسلمين فى تجارة النقل فى حارة اليهود « الحاج محفوظ بن الحاج صالح ، والحاج شحادة بن الشيخ عبد ربه والمحترم عيسى بن الحاج صالح النقلى كل منهم بخط حارة اليهود »[٤٤] . ويقدم لنا النص السابق صورة واضحة عن مشاركة المسلمين فى النشاط الاقتصادى فى الحارة ، وأنه لا توجد تفرقة فى ممارسة النشاط التجارى تقوم على أساس دينى الى حد كبير ، حتى فى داخل حارة من حارات الأقليات كحارة اليهود . وأن الحارة سوق مفتوح الى حد ما للتجار والمستهلكين دون تفرقة دينية .

ومع ما تؤكده لنا الأمثلة السابقة من أهميـــة العوامل الدينية والثقافية والجغرافية للنشاط الاقتصادى فى حارة اليهود ، إلا أننا نرى أنها لم تكن العوامل الوحيدة وراء ذلك النشاط الاقتصادى . فقد كانت هناك العديد من المظاهر الاقتصادية التى تعطينا مؤشرات مهمة على أن الحياة الاقتصادية بالحارة تشابهت الى حد ما مع مثيلاتها فى أية حارة مصرية أخرى . والتقسيم المعمارى والمنشآت المعمارية فى حارة اليهود لم تختلف كثيرا عن نظيرتها فى الحارات الاخرى . من هنا وجدنا « الحواصل » المخازن التجارية ، الحوانيت ، الأسواق ، الرباع وأيضا الحوانيت أسفل المبانى فى مختلف الحارات الفرعية لحارة اليهـــود .

كما عرفت الحارة العديد من الحرف والأنشطة الاقتصادية التى تحتاج إليها أية حارة مصرية فى العصر العثمانى ، فوجدنا فى الحارة

---

(٤٣) ص ن ٥١٦ ، ٢٦٦ ، ٦٣٨ وأيضا ص ن ٥١٦ ، ٣٠٤ ، ٧٤٠ .

(٤٤) ص ن ٥٠٢ ، ١٥٣ ، ٤٩٢ ، ٣٠ جمادى الأول ١٠٨٢/٤/ ١٦٧١/١٠ .

« زيات » يبيع الزيت ، حلوانى ، عطار ، طاحون لطحن الغلال ، فرن عام ، فضلا عن « حمام حارة اليهود »[٤٥] .

وهكذا يتضح لنا أن النشاط الاقتصادى فى حارة اليهود كانت له عدة أبعاد منها البعد الدينى والثقافى والذى يبدو واضحا فى وجود المذابح الخاصة والقصابين وسوق السمك والخمارات فضـــلا عن استخدام العبرية فى الصكوك التجارية بين اليهود . إلا أن هذا لا ينفى ما سقناه آنفا من تأثر حارة اليهود بمراكز النشاط التجارى القريبة منها ، والتى امتدت مظاهرها الى داخل الحارة ، وهو ما أشرنا اليه بالعامل الجغرافى ، ثم العامل الأخير وهو عامل العمومية ويتمثل فى عدم اختلاف العديد من مظاهر النشاط الاقتصادى فى حارة اليهود عن مثيلتها فى أية حارة مصرية أخرى . وربما نستطيع أن نوجز كل ذلك فى عبارة واحدة وهى أن حارة اليهود كانت مفتوحة على الآخر اقتصاديا مع إحتفاظها ببعض مظاهر الخصوصية .

---

(٤٥) الباب العالى ١٧٨ ، ٨٧٢ ، ٢٦٨ ، القسمة العربية ١٣٠ ، ٤٩٠ : ٣٥٦ ؛ ص ن ٥١٦ ، ٢٣١ : ٥٢٧ .

أتابك العسـاكر فى القاهرة
فى عصـر دولة المماليـك البحـرية

د. ليلى عبد الجـواد اسماعيل
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

الاتابك أو الاطابك كلمة تركية تتكون من لفظين هما : اتا أو اطا) بمعنى أب (وبك) بمعنى الامير . وعلى هذا فالاتابك كلمة تعنى الاب الامـير أو الـوالد الامـير ، وقد قلبت الطاء تاء فى الاستعمال[1] . والاتابك هو الوصى أو المربى الذى يتولى الوصاية والرعاية على سلطان أو أمير صغير قاصر ، وعندما يبلغ الصغير سن الرشد ويتخطى مرحلة الصبى يصبح عمل الاتابك عملا شرفيا وهذا ما عبر عنه القلقشندى فى قوله : « وليس له وظيفة ترجع الى حكم وأمر ونهى وغايته رفعة المحل وعلو المقام »[2] .

وأول من لقب بلقب اتابك هو نظام الملك وزير ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقى (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م) حين فوض إليه ملكشاه تدبير الدولة فى عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م ولقبه بألقاب منها هذا اللقب[3] . ويذكر ابن الاثير تحت عنوان « ذكر تفويض

---

(١) انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ١٨ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ١ ص ٨٠ ، حسن الباشا : الفنون الاسـلامية والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣ ، الألقاب ، ص ١٢٢ ،

Van Berchem, Corpus Inscriptorum Arabicarum, Premiere Partie, p. 290, note. 3.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ١٨ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٤ ص ١٨ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة حربى امين سليمان ، ص ١٤٩ .

Caudefroy Demombynes, La Syrie a L'Epoque de Mamelouk, p. LVI, note. 3.

الامور الى نظام الملك » قال السلطان : وقد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك ، فأنت الوالد ، وحلف له وأقطعه اقطاعا ... ولقبه ألقابا من جملتها ، أتابك »[٤] . وأتابك هنا تعنى المربى والوصى على العرش فقد كان نظام الملك مربيا لملكشاه فى عهد أبيه الب أرسلان ، وأكد ذلك ما جاء فى روضة الصفا من أنه بعد النصر الذى حققه الب أرسلان على الروم (البيزنطيين) فى معركة ملازجرد ، رفع السلطان من مكانة الوزير المخلص نظام الملك ، وأوكل اليه منصب (المربى للسلطان ملكشاه) ، ثم صار نظام الملك مربى الدولة عندما ارتقى ملكشاه عرش السلطنة[٥] . وهذا ما يفسر لنا عبارة ابن الاثير : فأنت الوالد .

ومنذ أيام ملكشاه صار من التقاليد المتبعة فى الدولة السلجوقية أن يعين السلطان لولده القاصر أتابكا أى وصيا ومربيا ووالدا ، فيذكر العماد الاصفهانى « أن كمشتكين صار مربيا لبركيارق — ابن ملكشاه — وأتابكه أى الوصى عليه »[٦] .

وكان الاتابك يختار فى عهد السلاجقة من كبار الامراء حتى يقوم بتدريب الامير القاصر على الحياة السياسية أو من قادة الجيش لتنشئته تنشئة عسكرية وتدريبه على فنون الحرب والقتال وضروب الشجاعة ، فيذكر العماد : « أنه بعد وفاة بركيارق صار الأمير اياز مقدم عسكره أتابك ولده ملكشاه ، فقام مقام والده »[٧] .

ومع أن مهمة الاتابك الاساسية كانت الوصاية على الامير السلجوقى وتعهد تربيته وتعليمه الا أنها شملت على مر السنين مهام

---

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٨٠ .

(٥) خواندمير : كتاب دستور الوزراء ، ص ٢٤٩ ، ٢٦٦ .

(٦) العماد الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨٢ ، وانظر أيضا :

Cahen, Atabak, In Ency. of Islam, Vol. I, p. 731.

(٧) العماد الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨٨ .

أخرى وذلك نتيجة النظام الادارى السلجوقى نفسه ، فقد مال السلاجقة الى اسناد حكم الأقاليم المختلفة فى سلطنتهم الى أبنائهم وأفراد من أسرتهم ولو كانوا صغارا ، وكان من الطبيعى أن يصاحب الاتابك الامير السلجوقى الصغير الى ولايته الجديدة باعتباره وصيا عليه ، ومن ثم كان الاتابك يتولى جميع أمور الولاية نيابة عن الامير القاصر . وفى كثير من الاحيان كان الاتابك يتزوج من أم الامير القاصر ، الذى يتولى الوصاية عليه ، فتصبح العلاقة بينهما شبه أبوية ويقوى مركزه الأدبى ، ويضمن فى ذات الوقت استمراره فى التحكم فى شئون الولاية حتى ولو بلغ الامير سن الرشد[٨] . ويصبح الاتابك بذلك واليا واسع السلطة والنفوذ .

وترتب على ذلك ان صار على رأس الولايات السلجوقية ولاة من الاتابكة ، لا يدينون للسلطان السلجوقى بأكثر من طاعة اسمية ، ويتحينون الفرصَ المناسبة للاستقلال بولاياتهم . وحرص هؤلاء الاتابكة على توريث الملك لأبنائهم فظهرت أسر من الاتابكة من أشهرها أسرة بنى زنكى فى الموصل وحلب[٩] .

وعرفت الاتابكية بمعنى الوصاية عند الايوبيين سواء فى مصر أم فى اليمن أم فى حلب ؛ إذ جرت العادة أن يولى سلاطين الايوبيين أبنائهم وأفراد أسرتهم حكم ولاياتهم ، وكانوا يلحقون بهم أتابكة أو أوصياء . فعندما تم لصلاح الدين الاستيلاء على حلب (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) ؛ رأى أن يعيد تنظيم دولته ؛ فكتب وصيته الأولى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ؛ وتتضمن ولاية ابنه الملك العزيز عثمان لمصر

---

(٨) حسن الباشا : الفنون والوظائف ، جـ ١ ص ٤ — ٥ ، الألقاب ؛ ص ١٢٣ . Cahan, Atabak, p. 731.

(٩) حسن الباشا : الفنون ، جـ ١ ص ٦ ، الألقاب ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ،

Cahen. Atabak, pp. 731 - 32, Van Berchem. Corpus Vol, I. p. 290.

بوصاية ابن عمه تقى الدين عمر ، وولاية ابنه الأفضل الشام بوصاية عمه الملك العادل صاحب حلب ، على أن تكون مدة الوصاية الوقت الذى يعلم المسلمون فيه أن أولاده قادرين على الاستقلال بالحكم ، وعلى أن يبقى للوصيين ما بأيديهما من اقطاع[١٠] .

غير أن صلاح الدين قرر فى عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م تعـديل وصيته الأولى هذه بأن يصبح ابنه العزيز عثمان سلطانا على مصر ، ويكون الملك العادل أتابكه ومربيه والقائم بتدبير أموره كلها[١١] ...

وعندما توفى العزيز عثمان فى مصر وخلفه ابنه المنصور محمد ، ولم يتجاوز العاشرة (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) اتفقت كلمة الأمراء على أن يصبح الملك الافضل أتابكا له ، ويقوم بتدبير أمور الدولة بشرط ألا يذكر اسمه فى الخطبة ، وأن تكون مدة أتابكيته سبع سنوات فقط أى حتى يبلغ المنصور رشده . وتولى الافضل أتابكية الملك المنصور ولكنه لم يعمل بشروط الامراء ، وسيطر على شئون البلاد ولم يبق للمنصور غير مجرد الاسم فقط على حد تعبير المصادر[١٢] . ولم تكد سنة تمضى على أتابكية الافضل للمنصور حتى نجح عمه العادل فى

---

(١٠) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، الطبعة الثانية ، ص ١٠٩ وانظر أيضا : نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى فى عهـد صلاح الدين ، ص ١٦٧ ، محمد محمد أمين ، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ١٢٤٠ — ١٢٤٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣ — ٤ .

(١١) أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ص ٧١ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، تحقيق الشيال ، ص ٧٢ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ١١٧ .

(١٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ص ٨٩ — ٩١ ، ابن أيبك : الدرر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، ص ١٣٨ ، ١٤٠ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٦ ص ١٣٠ .

دخول القاهرة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) وانتزاع الاتابكية منه فعرش السلطنة من المنصور[١٣] .

وفى عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م وعلى أثر وفاة الصالح أيوب ، جمعت شجر الدر الامراء وطلبت منهم أن يحلفوا للسلطان ولابنه تورانشاه من بعده ، وللامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ[١٤] بالتقدمة على العساكر والقيام بالاتابكية وتدبير المملكة[١٥] . والاتابكية هنا تعنى الوصاية على العرش وذلك لأن تورانشاه كان لا يزال فى حصن كيفا ولم يتم اعلانه سلطانا بعد ، ومن ثم فلابد من وجود وصى على العرش ، ولذا طلبت شجر الدر من الامراء أن يحلفوا للامير فخر الدين بالتقدمة على العساكر والقيام بالاتابكية وتدبير المملكة حتى يصل تورانشاه الى مصر . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يلاحظ أنه كان يعهد بالاتابكية فى العصر الأيوبى لمن تكون له الامرة على الجيش فقد كان فخر الدين بن شيخ الشيوخ القائد العام للجيش وهذا يفسر ما ذكره أبو الفدا من أنه عهد الى الامير فخر الدين بأتابكية العسكر[١٦] .

وقام الامير فخر الدين بالاتابكية وتدبير أمور البلاد حتى يحضر الملك تورانشاه من حصن كيفا وديار بكر خير قيام وذلك خلال ما يقرب من خمسة وسبعين يوما كما حددها ابن العميد[١٧] ، فأقطع البلاد

---

(١٣) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٣ ص ٩١ — ٩٢ ، ١٠٨ — ١٠٩ ؛ ص ١١١ ، الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٢ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ١٨٢ .

(١٤) انظر ترجمته : ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، م ٤ ، ص ٣٦٦ — ٣٦٨ .

(١٥) الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، تحقيق ناظم رشيد ، ص ٨١ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٣٤٣ .

(١٦) أبو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، جـ ٣ ص ٨٠ ، وانظر ايضا محمد محمد أمين ، الملك الصالح ، ص ١٣٣ .

(١٧) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ٣٧ .

بمناشيره ، وأطلق المسجونين ، وفرق الأموال والخلع على خواص الامراء ، وأطاق السكر والكتان ، وأحسن الى الناس ، وأعاد تنظيم الجند ، وصار يركب فى موكب عظيم ، وجمع الامراء فى خدمته ، ويترجلون له عند النزول . ويحضرون سماطه ، لدرجة أن نفوذه فاق نفوذ نائب السلطنة حسام الدين بن أبى على الهذبانى ، مما جعل الاخير يتخوف من أن يستقل فخر الدين بالحكم ، ويسرع باستدعاء تورانشاه من حصن كيفا(١٨) .

وعرف الايوبيون فى اليمن أيضا الاتابكية بمعنى الوصاية من ذلك أنه حدث بعد مقتل ملك اليمن المعز اسماعيل فى سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م أن خلفه أخوه الناصر أيوب ، وكان صغير السن ، فعين سيف الدين سنقر مملوك والده أتابكا له أى وصيا عليه ، وتزوج سنقر من أم الملك الناصر . وصار مدبر الدولة والمتصرف فى جميـع أمورها(١٩) . وتجدر الاشارة هنا الى أن المقريزى(٢٠) أطاق على سيف الدين سنقر اسم (أتابك العساكر) .

ويبدو أن المقريزى أطلق عليه هذه التسمية لأنها كانت شائعة فى عصره(٢١) . وبعد وفاة سنقر فى تعز عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م حل محله فى الاتابكية أحد أمراء الدولة وهو غازى بن جبريل ، وما لبث

---

(١٨) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣٨ ، المقـريزى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٤٤ — ٣٤٥ ، وانظر أيضا : حامد زيان : العلماء بين الحرب والسياسة ، ص ٦١ .

(١٩) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ٣٥ — ٣٦ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٣ .

(٢٠) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٣ .

(٢١) انظـر :

Cahen, Atabak, p. 732.

أن تزوج بأم الملك الناصر ثم تخلص منه وانفرد بحكم البلاد[٢٢] • وهكذا كان الاتابك أو الوصى يستغل أتابكيته من أجل الوصول الى العرش •

أما فى حلب فقد حدث عندما توفى الملك الظاهر غازى — صاحب حلب — (٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) أن خلفه ولده الملك العزيز ، وكان عمره عندئذ سنتين وأشهر ، فقام بأتابكيته وتدبير أمور مملكته الاتابك شهاب الدين طغريل الخادم ، فيذكر ابن واصل أن الاتابك شهاب الدين استقل فى جميع الامور ، وقام بترتيب البلاد والقلاع ، وتفريق الأموال والاقطاع[٢٣] •

وكان المتبع أنه عندما يبلغ الملك سن الرشد ، فانه ينفرد بالحكم ، وعلى الاتابك أن يسلمه مقاليد الأمور ، فيذكر ابن واصل فى حوادث سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م : « وفيها انفرد الملك العزيز بأمر الملك ••• وكان قد بلغ ثمان عشرة سنة ، وسلم اليه أتابكه شهاب الدين طغريل الخزائن ••• ونزل من القلعة »[٢٤] • مما يوضح أن الاتابك هو الوصى وأن دوره ينتهى ببلوغ السلطان رشده •

واتخذت الاتابكية منذ أواخر العصر الايوبى ومع بداية عصر دولة المماليك البحرية دلالة خاصة ، ذلك أن معظم الأتابكة خلال هذه الفترة كانوا قادة عسكريين ومن ثم أصبح كل من يتولى قيادة الجيش يطلق عليه أتابك العساكر أو أتابك الجيوش سواء ان كان الاتابك بمعنى الوصى أو لم يكن ، وسرعان ما شاعت هذه التسمية ، وانتقل لفظ الاتابك بذلك من الوصاية الى الجيش •

---

(٢٢) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ ، الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ٦١ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢١٤ ، محمد عبد العال ، الايوبيون فى اليمن ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٥١ ، وانظر ايضا ص ٢٣٩ ، ٢٤١ .

(٢٤) ابن واصل : نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٣٠٩ .

ويعد الامير عز الدين أيبك أول من شغل وظيفة أتابك العساكر بهذه الدلالة ، وذلك أثناء سلطنة شجر الدر (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) إذ درج المقريزى على تسميته أحيانا مقدم العساكر ، وأحيانا أخرى أتابك العساكر فيذكر فى حوادث ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م « واتفق الامراء على أن يكون مقدم العساكر الامير عز الدين أيبك ، ويذكر فى موضع آخر : « وصار أيبك أتابك العساكر مع شجر الدر[٢٥] ونهج العينى نهج المقريزى فأطلق على عز الدين أيبك تارة أتابك العساكر وأخرى مقدم العساكر[٢٦] . أما ابن أيبك فأطلق عليه « أتابك الجيوش »[٢٧] . مما يظهر فى وضوح تام مدى الارتباط بين مقدم العساكر (أى قائد الجيش) وبين أتابك العساكر . وأن الأول كان يعهد اليه غالبا بوظيفة أتابك العساكر ، هذا الى جانب عدم ثبات المصطلح بالنسبة للجيش فقط فى بداية العصر المملوكى . أما عن الاتابكية بمعنى الوصاية فهذا أمر مفروغ منه . فبعد أن تولى أيبك السلطنة بخمسة أيام ، اتفق الامراء على اقامة الاشرف موسى — وهو من أبناء البيت الأيوبى وكان يبلغ من العمر عشر سنوات — فى منصب السلطنة ، وعلى أن يكون المعز أيبك أتابكه والقائم بتدبير الدولة والتقدمة على العساكر وذلك فى جمادى الاولى من عام ٦٤٨ هـ / أغسطس ١٢٥٠ م[٢٨] .

وعندما توفى المعز أيبك فى ربيع الاول من عام ٦٥٥ هـ / مارس ١٢٥٧ م وخلفه ابنه المنصور على ، وكان عندئذ فى الخامسة عشر من عمره ، جعل مماليك أيبك — وعلى رأسهم قطز — الامير فارس

---

(٢٥) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢٦) العينى : عقد الجمان ، جـ ١ ، ص ٢٩ ، ٣٤ .

(٢٧) ابن أيبك : الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية ، ص ١٩ .

(٢٨) انظر العينى ، عقد الجمان ، جـ ١ ، ص ٣٥ ، ابن تغرى بردى : النجـوم ، جـ ٧ ، ص ٦ ، المنهل ، جـ ١ ص ٢٢ .

ومن الجدير بالذكر أن المقريزى ذكر صراحة أن ايبك كان شريكا للاشرف فى الحكم . انظر السلوك ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ .

الدين أقطاى المستعرب[٢٩] ، أتابكه بحكم أنه كان صبيا صغيرا[٣٠] . مما يدل على أن الأتابكة هى الوصاية وأنها ترتبط بوجود سلطان قاصر على رأس البلاد .

ولم تطل أتابكية اقطاى المستعرب للملك المنصور على وخلفه فيها الامير سيف الدين قطز إذ يذكر كل من ابن أيبك والعينى فى حوادث سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م أن « الأتابكية استقرت بعد ذلك للامير سيف الدين قطز »[٣١] . ويدلل على ذلك ما ذكره رشيد الدين الهمذانى عند ذكره رسل هولاكو فى مصر إذ يقول : « كان الحاكم رجلا من التركمان (يقصد أيبك) فلما توفى ترك بعده طفلا صغيرا ... فأجلسوه على عرش أبيه ، وكان قطزا أتابكا له »[٣٢] .

وعندما ارتقى قطز عرش السلطنة (٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م) قرب إليه الامير فارس الدين اقطاى المستعرب وأدناه — على حد تعبير ابن تغرى بردى[٣٣] — وجعله أتابك الجيش ، وبقى لا يضاهيه أحد فى الدولة ولا يعارضه فيما يفعل . وهنا يلاحظ أن الاتابكية لا تعنى الوصاية فالسلطان وهو قطز كان رجلا رشيدا بالغا ومع ذلك فقد أبقى على الأتابك اقطاى المستعرب كنوع من التكريم له بتوليه قيادة الجيش . وهذا يتنافى مع ما أورده القلقشندى من « أنه غالبا ما يكون

---

(٢٩) انظر ترجمته فى : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ — ٥٠٥ ، النجوم ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٥ .

(٣٠) انظر : أبو الفدا ، المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٩ ، ص ٤٦٠ ، ابن أيبك ، الدرة الزكية ، ص ٣٢ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٧ ، ص ٤١ — ٤٣ .

(٣١) ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ .

(٣٢) رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، جـ ١ ، م ٢ ، ص ٣١٠ .

(٣٣) المنهل الصافى ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤

بالدولة أتابك عسكر اذا كان السلطان طفلا »[٣٤] . ولذلك لابد من التفرقة بين أتابك بمعنى وصى وبين أتابك العساكر بمعنى قائد الجيش ، وهذه التفرقة ستظهر لنا تطور مصطلح الاتابك وارتباط الاتابك الوصى بقيادة الجيش أو جمعه بين الاثنين ثم بلوغ السلطان سن الرشد ، واستمرار الاتابك كقائد للجيش مع احتفاظه باللقب ، فيصبح أتابك الجيوش أو أتابك العساكر . كما حدث فى أتابكية أقطاى المستعرب لقطز .

واستمر الامير أقطاى يشغل منصب أتابك العساكر حتى بعد مقتل قطز وخلال سلطنة الظاهر بيبرس (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م) فيذكر ابن تغرى بردى « واستمر على حاله فى علوه ومنزلته . لأنه كان صاحب رأى وتدبير وخبرة ومعرفة ورئاسة ومهابة »[٣٥] . ومن ثم فان أتابكية أقطاى المستعرب لكل من قطز وبيبرس لم ترتبط بوجود سلطان قاصر على رأس البلاد ، بل كانت تعنى توليه قيادة الجيش والدليل على ذلك ما يرويه ابن تغرى بردى من أن السلطان الظاهر بيبرس تخوف من تزايد نفوذ أقطاى وعلو مكانته فأمر نائبه الامير بدر الدين بيليك[٣٦] بملازمته والاقتباس منه ، فلازمه مدة طويلة ، ثم جعله السلطان بعدها مشاركا له فى الجيش ، ثم قطع عنه رواتبه ، فمات مقهورا فى عام ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م ، ولم يعين بيبرس غيره فى منصبه[٣٧] .

---

(٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٠٨ .

(٣٥) ابن تغرى بردى : المنهل ، ج ٢ ، ص ٥٠٥

(٣٦) انظر ترجمة بدر الدين بيليك فى المنهل ، ج ٣ ، ص ٥١٢ — ٥١٣ ، ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٨٦ — ٨٧ ، ليلى عبد الجواد « نائب السلطنة فى القاهرة فى عصر دولة المماليك البحرية » بحث منشور بمجلة المؤرخ المصرى ، العدد الاول ، يناير ١٩٨٨ ، ص ١٦٣ — ١٦٤ ، حاشية ٢٤ .

(٣٧) ابن تغرى بردى : المنهل ، ج ٢ ، ص ٥٠٥

وعلى هذا فقد أصبح لقب « أتابك العساكر » يعنى الوصى على العرش وقائد الجيش ، كما يعنى قائد الجيش فقط والفيصل بين المعنيين هو وجود سلطان قاصر ، فعندما تولى العادل سلامش — ابن الظاهر بيبرس — عرش السلطنة فى ربيع الآخر ٦٧٨ هـ / أغسطس ١٢٧٩ م ، وكان فى السابعة من عمره ، اتفق الامراء على تولى الامير قلاوون أتابكيته ، وعلى أن يكون له أمر العساكر وتدبير الممالك[٣٨] . وجمع قلاوون بذلك بين الاتابك بمعنى الوصى وأتابك العساكر بمعنى قائد الجيش ، وهذا يدل على أن الاتابكية شيء وأمر العساكر شيء آخر حتى ذلك الوقت .

وشارك الاتابك قلاوون السلطان العادل سلامش خلال أتابكيته له باعتباره وصى عليه فى جميع شعائر السلطنة . فصار اسمه يذكر مع اسم العادل فى الخطبة على المنابر ، وضربت السكة على أحد الوجهين باسم الملك العادل سلامش . وعلى الوجه الآخر اسم قلاوون ، سواء كانت دنانير أم دراهم ، وأكثر من ذلك راح الامراء ورجالات الجيش يعاملون قلاوون بما يعاملون به السلطان[٣٩] ، وما لبث قلاوون أن استغل صغر سن السلطان وانتزع منه العرش بعد ثلاثة أشهر أو تزيد قليلا وذلك فى رجب من عام ٦٧٨ هـ / نوفمبر ١٢٧٩ م[٤٠] .

وشغرت الاتابكية فى عصر المنصور قلاوون (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) وخلال سلطنة ابنه الاشرف خليل (٦٨٩ —

---

(٣٨) الكتبى : عيون التواريخ ، جـ ٢١ ، ص ٢٢٢ ، المفضل بن أبى الفضائل ، النهج السديد ، ص ٤٧١ ، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م ٧ ، ص ١٤٨ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٦٥٦ — ٦٥٧ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٣٩) الكتبى : عيون التواريخ ، جـ ٢١ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ، ابن الفرات ، م ٧ ، ص ١٤٨ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦٦٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٧ ، ص ٢٨٦ .

(٤٠) انظر سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ، ص ٢٠٢

٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م) فلم يرد فى المصادر ذكر لاتابك العساكر فى عهدهما • ولكنها عادت الى الظهور ثانية أثناء سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الاولى (٦٩٣ — ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ — ١٢٩٤ م) بحكم وجود سلطان قاصر على العرش ، إذ كان عمر الناصر محمد لا يتعدى خلالها التسع سنوات ، وعهد بها الى الامير حسام الدين لاجين الرومى الاستادار[٤١] فى المحرم من عام ٦٩٣ هـ / ديسمبر ١٢٩٣ م[٤٢] • وخلفه فى أتابكية الناصر محمد الامير زين الدين كتبغا فيذكر صاحب النهج السديد : « وطلع الامير زين الدين كتبغا الى القلعة ، ونفق فى العساكر نفقة عامة ، وجلس فى النيابة والاتابكية »[٤٣] •

وما لبث كتبغا ان ارتقى عرش السلطنة فى ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ، وشعرت الاتابكية مرة أخرى فى سلطنته (٦٩٤ — ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ — ١٢٩٦ م) وفى سلطنة المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٦ — ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ — ١٢٩٨ م) من بعده •

ولكن عندما ارتقى الناصر محمد عرش السلطنة للمرة الثانية (٦٩٨ — ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ — ١٣٠٨ م) وكان خلالها لا يزال صبيا صغيرا ، فى الرابعة عشرة من عمره ، شغل الامير بيبرس الجاشنكير منصب أتابك العساكر كوصى وقائد للجيش ، ورغم تخطى الناصر محمد مرحلة الصبا خلال سلطنته الثالثة الا أنه عين فى أتابكية العساكر

---

(٤١) وهو غير حسام الدين لاجين الذى أصبح سلطانا ، وعن وظيفة الاستادار انظر ما يلى ص ٣٠ .

(٤٢) ابن ايبك : الدرة الزكية ، ص ٣٥٠ ، ابن الفرات : م ٨ ، ص ١٧٢ ، ١٧٨ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٩٤ .

(٤٣) المفضل بن ابى الفضائل : النهج السديد ، ج ٢ ، ص ٥٨١ . وانظر أيضا : الكتبى ، فوات الوفيات م ١ ، ص ٤٠٨ ، العينى : عقد الجمان ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

الامير قوصون[٤٤] فى المحرم من عام ٧٣٣ هـ / أكتوبر ١٣٣٢ م ، وظل قوصون يشغل الاتابكية بقية سلطنة الناصر محمد ، وفى عهد ابنه المنصور أبى بكر الذى ارتقى عرش السلطنة فى ذى الحجة من عام ٧٤٢ هـ / مايو ١٣٤٢ م .

ومع بداية عصر أولاد الناصر محمد بن قلاوون وأحفاده ، يصل نفوذ أتابك العساكر الى الذروة ، وتبرز شخصيته كوصى ، ويصبح هو المتحكم فى البلاد ، ويلمع اسمه ويطغى على اسم السلطان فى المصادر . ويرجع ذلك الى أن سلاطين هذا العصر كان معظمهم صغارا ضعافا . فتزايد نفوذ الاتابك قوصون ، وعظم سلطانه لدرجة أنه لم يكد يمضى شهران على تولية المنصور أبى بكر — الذى كان شابا فى العشرين من عمره — وليست له خبرة بأخلاق كبار الامراء — حتى استثار قوصون بقية الامراء ضده فاستجابوا له وعندئذ قبض على المنصور وأرسله مع بعض اخوته الى قوص حيث سجنوا بها (صفر ٧٤٢ هـ / يوليه ١٣٤١ م) ، وعين قوصون الاشرف كجك — أحد أولاد الناصر محمد — سلطانا على البلاد ، وهو طفل صغير يبلغ من العمر ست سنوات وأربعة أشهر[٤٥] . ولذلك أصبح قوصون هو صاحب الكلمة النافذة فى الدولة ، وجمع فى يده بين أتابكية العساكر ونيابة السلطنة « فتضاعفت حرمته وتزايدت عظمته وتصرف فى أمور المملكة بما يختار » على حد قول ابن اياس[٤٦] . — ولم يكن من

---

(٤٤) انظر ترجمة قوصون فى ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٤ .

(٤٥) لمزيد من التفاصيل انظر : الشجاعى ، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده ، ص ١٣٨ — ١٣٩ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، جـ ٣ ص ٢٤ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٧٠ — ٥٧١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٤٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٨٨ — ٤٨٩ ، وانظر أيضا : سعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص ١٢٣ .

(٤٦) بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٩١ . وانظر أيضا : المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٥٧٠ — ٥٧١

المنتظر أن يكون للاشرف كجك ـ ذلك الطفل الصغير ـ رأى مسموع فى ادارة شئون البلاد ، فظل فى السلطنة خمسة أشهر وعشرة أيام ، لم يكن له فيها أمر ولا نهى ، وتدبير أمور الدولة كلها فى يد قوصون ويظهر ذلك بوضوح من خلال ما يرويه كل من ابن تغرى بردى وابن اياس[٤٧] من « أنه كان اذا حضرت العلامة يأخذ الامير قوصون القلم بيده مع يد الأشرف كجك ، ويريه كيف يكتب على المراسيم والمناشير ... وبذلك كان الاشرف كجك مع قوصون كالعصفور فى يد النسور » . وطغى قوصون وتجبر وألزم المماليك السلطانية بالمشى فى خدمته ، كما لو كانوا يمشون فى خدمة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولذلك ثاروا عليه فى نهاية الامر[٤٨] .

وعندما ارتقى السلطان الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر[٤٩] عرش السلطنة فى جمادى الآخرة ٧٥٢ هـ / يوليه ١٣٥١ م وهو ابن الخامسة عشرة ، استقر الامير طاز[٥٠] أتابكا له ، وصار مدبر مملكته ، وصاحب الحل والعقد فيها ، وليس للملك الصالح فيها سوى الاسم لا غير على حد تعبير ابن تغرى بردى[٥١] .

وفى شوال من عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م خلع الامراء الملك الصالح

---

(٤٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٤٩ ، ابن اياس ، بدائع ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٩١ .

(٤٨) لمزيد من التفاصيل انظر : الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ، ص ١٤٩ ـ ١٥٩ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٧٤ ـ ٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١ ص ٣٨ ـ ٤٣ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٤ .

(٤٩) ولد فى عام ٧٣٧ هـ ، وتوفى فى ٧٦٥ هـ . انظر ترجمته فى ابن تغرى بردى : المنهل ، جـ ٦ ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٣ ، وانظر ايضا ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ ٣ ، ص ١٧٥ ، ٢٤١ .

(٥٠) انظر ترجمة الامير طاز فى : المنهل ، جـ ٦ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٥

(٥١) المنهل ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ ، جـ ٦ ص ٣٣٢ .

منتهزين فرصة سفر أتابكه طاز الى البحيرة ، وأجلسوا الناصر حسن على عرش السلطنة للمرة الثانية ، وكان حينئذ قد بلغ سن الرشد ، وباشر شئون الحكم بنفسه ، فعين الامير شيخو العمرى[٥٢] أتابكا للعساكر ، وسمى بالامير الكبير ، وهو أول من سمى بهذا الاسم[٥٣] . وأصبح شيخو صاحب الامر والنهى من غير مشارك ، وصارت الامور كلها راجعة اليه ، وصار عظيم الدولة ومدبرها ، وكثرت أموالـه ومستأجراته حتى قيل له : « قارون عصره وعزيز مصره »[٥٤] .

وظل شيخو يشغل منصب أتابك العساكر حتى توفى فى عام ٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م وحل محله فى الاتابكية الامير صرغتمش[٥٥] ، وظل يشغل هذا المنصب طيلة أربع سنوات ، عظم خلالها فى الدولة ، واستطال ، وأخذ وأعطى ، وزادت حرمته وكثرت أمواله على نحو ما يذكر ابن تغرى بردى[٥٦] . وعندما ثقلت وطأته على السلطان الناصر حسن ، قبض عليه وقيده وأرسـله الى سجن الاسـكندرية وبصحبته عدد من الأمراء الموالين له[٥٧] .

وبلغ نفوذ أتابك العساكر أقصى مداه أثناء أتابكية الامير يلبغا العمرى[٥٨] لكل من الملك المنصور صلاح الدين محمد بن حاجى

---

(٥٢) انظر ترجمة شيخو فى ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ، ابن تغرى بردى : المنهل ، ج ٦ ص ٢٥٧ — ٢٦٢

(٥٣) عن لقب الامير الكبير انظر ما يلى .

(٥٤) المنهل ، ج ٦ ، ص ٢٦٠ ، المقريزى : الخطط ، م ٢ ، ص ٣١٤ .

(٥٥) انظر ترجمة صرغتمش فى ابن حجر ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ، المنهل ، ج ٦ ص ٣٤٢ — ٣٤٤

(٥٦) المنهل ، ج ٦ ، ص ٣٤٢ وانظر ايضا : الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

(٥٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٥٧٠ — ٥٧١

(٥٨) انظر ترجمة يلبغا العمرى فى ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٢١٣ — ٢١٥ .

— الذى ارتقى عرش السلطنة فى عام ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م ، وكان عندئذ صبيا فى الرابعة عشرة من عمره — والاشرف شعبان الذى ارتقى عرش السلطنة فى ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م وهو فى العاشرة من عمره . فخلال أتابكيته للأول كان هو مدبر المملكة والمتصرف فى شئونها ، وصاحب الامر والنهى فيها ، ولم يكن للملك المنصور معه سوى الاسم فقط كما تذكر المصادر(٥٩) ، وما لبث يلبغا أن خلع المنصـــور من السلطنة بعد عامين من توليه اياها بحجة قلة كفاية السلطان ومجونه وانهماكه فى شرب الخمر وانشغاله بذلك عن أمور البلاد ، واتفـــق الاتابكى يلبغا مع الامراء على تولية الاشرف شـــعبان وهـــو ابن العاشرة(٦٠) .

وتزايد نفوذ الاتابك يلبغا خلال سلطنة الاشرف شعبان ، وتناهت اليه الرئاسة ، ولقب نظام الملك ، وصار صاحب الامر والنهى ، والحل والعقد وهو السلطان فى الباطن والاشرف بالاسم(٦١) .

واشتدت وطأة يلبغا حتى على مماليكه مثل غيرهم ، فاتفقوا مع الاشرف شعبان على التخلص منه ، ورحب الاشرف بمساعدتهم ، رغبة منه فى التخلص من يلبغا لحجره عليه ، وسلبه سلطته ، غير أن يلبغا علم بذلك ، فسلطن أنوك ابن الأمجد حسين أخى الاشرف شعبان فى ربيع الآخر ٧٦٨ هـ / ديسمبر ١٣٦٦ م رغم رفض الخليفة المتوكل وقال له : « أنا أعينه وأويده ومن الشوكة غيرى » وأجبر الخليفة

---

(٥٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٣٢ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٩٢ — ٥٩٣ .

(٦٠) لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٢٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٧ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٩٢ — ٥٩٣ .

(٦١) ابن حجر ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ٢١٣ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ ٣ ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

على أن يفوض السلطنة لانوك . وعلى أثر ذلك نشبت عدة معارك انتهت بمقتل يلبغا ، واعادة الاشرف شعبان الى السلطنة ثانية[٦٢] .

وخلال سلطنة الاشرف شعبان الثانية (٧٦٨ — ٧٧٨ هـ / ١٣٦٦ — ١٣٧٦ م) والتى تقدر بنحو عشر سنوات ، تولى أتابكية العساكر ما يقرب من سبعة من الاتابكة وهم على التوالى : اسندمر الناصرى[٦٣] ، يلبغا آص[٦٤] ، منكلى بغا الشمسى[٦٥] الذى ولى الاتابكية ما يقرب من خمس سنوات ، الجاى اليوسفى[٦٦] ايدمر الشمسى[٦٧] ، منجك اليوسفى[٦٨] ثم ارغون شاه[٦٩] كما بدأت تطرأ على منصب أتابك العساكر تغييرات وتطورات جديدة من بينها : —

أولا : قصر الفترات التى تولى فيها الامراء منصب أتابك العساكر ، فكانت تتراوح بين ثمانية أيام مثل أتابكية الامير يلبغا آص وبين بضعة أشهر مثل أتابكية كل من ايدمر الشمسى ومنجك اليوسفى

---

(٦٢) لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٣٠ — ١٣٤ ، ١٣٦ — ١٣٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٣٥ — ٤١ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٢ .

(٦٣) انظر ترجمة اسندمر فى : المنهل ، جـ ٢ ، ص ٤٤٠ — ٤٤٣ ، ابن حجر : الدرر ، جـ ١ ، ص ٤١٣ .

(٦٤) عن يلبغا آص انظر : المنهل ، جـ ٦ ، ص ٢٣٧ ، محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ، جـ ١ ص ١٥٦ — ١٥٧

(٦٥) انظر ترجمته فى ، ابن حجر : الدرر ، جـ ٥ ، ص ١٣٧ .

(٦٦) انظر ترجمته فى ، المنهل ، جـ ٣ ، ص ٤٠ — ٤٣ .

(٦٧) انظر ترجمته فى : ابن حجر : الدرر ، جـ ١ ص ٤٥٨ ، المنهل ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ — ١٧٩ .

(٦٨) عن منجك اليوسفى انظر : المقريزى ، الخطط ، م ٢ ، ص ٣٢٠ — ٣٢٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٣٣ .

(٦٩) انظر ترجمة أرغون شاه فى المنهل ، جـ ٢ ص ٣١٣ .

وذلــك باستثناء منكلى بغا الشمسى التى أمضى فى الاتابكية خمس سنوات كما سبق أن ذكرنا • ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى الصراع الدائر بين الامراء والذى تتسم به هذه الفترة •

ثانيا : شغل الاتابكية ـ خاصة خلال السنوات الأربع الاولى من سلطنة الاشرف شعبان الثانية ـ اثنان من الامراء كشريكين فى هذا المنصب أى كوصيين على السلطان الذى لم يبلغ رشده خلال هذه السنوات الأربع • فقد حدث أن استأثر الامير اسندمر الناصرى ـ خلال أتابكيته للاشرف شعبان ـ بالسلطنة والنفوذ وراح يتشبه بسلفه يلبغا فى رواحه وغدوه ، ويقدم من يشاء ويؤخر من يشاء ، ولم يقنع بذلك بل قام بمحاولة لعزل السلطان الاشرف ، وعندئذ قبض عليه الاشرف ، ولكنه ما لبث أن أطلق سراحه وعفا عنه وأبقاه فى منصبه ، وجعل الامير خليل بن قوصون[٧٠] شريكا له فى الاتابكية • وسرعان ما تآمر الشريكان على السلطان ، فقبض عليهما ، وأرسلهما الى سجن الاسكندرية فى ربيع الاول من عام ٧٦٩ هـ / أكتــوبر ١٣٦٧ م[٧١] •

وفى صفر من نفس العام عين الاشرف شعبان الامير يلبغا آص أتابكا للعساكر وأشرك معه فى الاتابكية الامــير تلكتمر المحمــدى الخازندار ، وأنعم على كل منهما بتقدمة ألف ، وأجلسهما بالايوان الذى بالقلعة[٧٢] • ولم تكد تمضى ثمانية أيام على توليتهما منصب أتابك العساكر ، حتى تطلع يلبغا آص الى خلع السلطان والجلوس

---

(٧٠) انظر ترجمته فى : المنهل ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ — ٢٨٢ .

(٧١) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١١ ، ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، المنهل ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ — ٤٤٣ ، ج ٥ ، ص ٢٨١ — ٢٨٢ ، ج ٦ ، ص ٢٣٦ ، ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٧ — ٧٠ .

(٧٢) انظر المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٥٣ ، ابن تغرى بردى : النجــوم ، ج ١١ ، ص ٤٨ — ٤٩ ، المنهل ، ج ٦ ، ص ٢٣٧ ، ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧١ .

مكانه ، غير أن الاشرف تمكن بمساعدة الامراء من القبض عليه وعلى شريكه تلكتمر المحمدى ، وقيدهما وأرسلهما الى سجن الاسكندرية[٧٣] .

وبعد أن تخلص الاشرف شعبان من يلبغا وشريكه ، استدعى الامير منكلى بغا الشمسى من حلب الى الديار المصرية : وعينه فى منصب أتابك العساكر ، وخلع عليه بالايوان ، واستمر منكلى بغا يلى الاتابكية طيلة خمسة أعوام وحتى وفاته فى عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م وكان الاشرف شعبان خلالها قد بلغ رشده[٧٤] .

ثالثا : فوض الى أتابك العساكر منذ ذلك الحين ولأول مرة نظر المارستان المنصورى[٧٥] ، وكان الامير منكلى بغا الشمسى هو أول من جمع بين أتابكية العساكر ونظر المارستان ، وأصبحت هذه عادة خلال سلطنة الاشرف شعبان الثانية وسلطنة ولده المنصور على ، فقد فوض نظر المارستان الى خليفة منكلى بغا فى الاتابكية وهو الجاى اليوسفى ، ثم من بعده للامير الاتابك ايدمر الشمسى الدوادار[٧٦] .

خلف الاشرف شعبان على عرش دولة المماليك البحـــرية ابنه

---

(٧٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ص ١٥٣ — ١٥٤ ، ١٨٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٤٩ .

(٧٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ ، ٢٠٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٤٩ ، ١٢٥ ، ابن دقماق : الجوهر ، جـ ٢ ص ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ابن اياس ، بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٧٢ ، ١١٠ .

(٧٥) الناظر هو من ينظر فى الاموال وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها للنظر فيه . أما عن نظر المارستان المنصورى (المستشفى) الذى أنشأه المنصور قلاوون فهو مرتبط بشرط الواقف وله أن يفوضه لمن يشاء ، فقد جاء فى وثيقة وقف قلاوون على هذا المارستان أن يكون النظر عليه للسلطان ثم من بعده لأولاده ، وأولاد أولاده ثم الامثل فالامثل من عتقاء السلطان المنصور ، فاذا انقرضوا كان نظر المارستان لحاكم المسلمين الشافعى المذهب بالقاهرة ومصر ... انظر ابن حبيب : تذكرة النبيه ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ ، حاشية ٣

(٧٦) انظر ما يلى ص

المنصور على ، وكان ابن ثمانية أعوام ، وخلال سلطنته (٧٧٨ — ٧٨٣ هـ / ١٣٧٦ — ١٣٨١ م) والتى تقدر بخمس سنوات ، تعاقب على أتابكيته خمسة من الاتابكة وهم تباعا : طشتمر المحمدى اللفاف[٧٧] ، قرطاى الطازى[٧٨] ، اينبك البدرى[٧٩] ، طشتمر العلائى[٨٠] ، وأخيرا برقوق العثمانى • ويرجع ذلك أيضا الى الصراع بين الأمراء واستفحال نفوذهم وما كانوا يثيرونه من فتن ومؤامرات ، ويلاحظ على أتابكية العساكر خلال هذه السنوات الخمس الملاحظات التالية :

أولا : تولى الاتابكية امراء غير أكفاء فقد قفزوا الى إمرة مائة دون التدرج فى وظائف الامراء ، ومن ثم لم يكن لهم خبرة كافية بالنواحى العسكرية والادارية فمنهم من كان جنديا أو أمير عشرة • ففى ذى القعدة من عام ٧٧٨ هـ / مارس ١٣٧٧ م خلع السلطان المنصور على على طشتمر المحمدى وهو أحد امراء العشرات ، وجعله أمير مائة مقدم ألف ، فأتابك العساكر ، وذلك دون أن يمر فى رتبة الطبلخاناة[٨١] • كذلك صار الامير قرطاى الطازى رأس نوبة النوب[٨٢] بعد ان كان أمير عشرة ، ومنها قفز الى أتابكية العساكر

---

(٧٧) انظر ترجمته فى : المنهل ، جـ ٦ ، ص ٣٦٤ .

(٧٨) عن قرطاى الطازى انظر ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

(٧٩) انظر ترجمة اينبك فى المنهل ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ — ٢٢٤ .

(٨٠) انظر ترجمة طشتمر العلائى فى المنهل ، جـ ٦ ، ص ٣٩٥ — ٣٩٦ .

(٨١) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٢٧٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٤٩ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ ، ابن اياس ، بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٨٩ . ابراهيم على طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٦٥ .

(٨٢) صاحبها أعلى رؤساء النواب ، وله الحكم على المماليك السلطانية ، والأخذ على أيديهم ، وهو السفير بينهم وبين السلطان . انظر : قنديل البقلى ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص ١٥٥ .

فى الخامس من المحرم ٧٧٩ هـ / مايو ١٣٧٧ م[٨٣] . كذلك قفز برقوق العثمانى من الجندية الى امرة طبلخاناه دون أن يمر بأمرة عشرة ، وكذلك خشداشة وزميله وشريكه بركة الجوبانى[٨٤] ، وهذا ما يعرف بطريق الطفرة فى السلم المملوكى وقد ظهر بوضوح فى عهود السلاطين الضعاف وعهود الفتن وخاصة فى أواخر عصر دولة المماليك البحرية[٨٥] .

ثانيا : فوض الى أتابك العساكر — خلال هذه الفترة — نظر المظالم[٨٦] ، وهذا لم يحدث من قبل ، ففى صفر من عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م وعلى أثر تعيين الامير اينبك فى الاتابكية ، نودى فى القاهرة ومصر « من كانت له ظلامة ، فعليه بباب الامير الكبير اينبك البدرى »[٨٧] ومن بعده نظر المظالم الاتابك طشتمر العلائى والاتابك برقوق العثمانى[٨٨] .

ثالثا : ظهر خلال سلطنة المنصور نوع من الفصل أو التمييز بين أتابك العساكر والاطابك أى الوصى والمربى أو الوالد الامير ، كما كان يعنى هذا اللفظ فى عصر السلاجقة ، وعهد بكل واحدة منها الى أمير فيذكر ابن تغرى بردى[٨٩] أن السلطان المنصور عين الامير طشتمر المحمدى أتابكا للعساكر ، وأخلع على الامير قرطاى الطازى ، واستقر

---

(٨٣) ابن تغرى بردى ، المنهل ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ .
(٨٤) انظر ترجمته فى المنهل ، جـ ٣ ، ص ٣٥١ — ٣٥٥
(٨٥) طرخان : النظم الاقطاعية ، ص ١٦٥
(٨٦) كان السلطان يقوم بنظر المظالم ولكن نظرا لانشغاله بأمور الدولة فكان يفوض نظر المظالم الى شخص آخر ، وكان يستنيب فيه أحيانا نائب السلطنة ، وهنا أسند الى أتابك العساكر فى نهاية عصر دولة المماليك البحرية . لمزيد من التفاصيل انظر : محمد قنديل البقلى ، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، ص ٣٥٠ .
(٨٧) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .
(٨٨) انظر ما يلى ص
(٨٩) النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٤٩ .

رأس نوبة وأطابك فى ذى القعدة ٧٧٨ هـ / مارس ١٣٧٧ م • وفى ذى الحجة من عام ٧٧٩ هـ / مارس ١٣٧٨ م أخلع المنصور على برقوق العثمانى ، واستقر أميرا كبيرا وأتابك العساكر ، وخلع على بركة الجوبانى رأس نوبة كبير واطابك[٩٠] • واستبد الاثنان بالامور ، وعظم أمرهما حتى لهجت العامة « برقوق وبركة نصـــبا على الدنيا شـــبكة »[٩١] •

ويبدو أن الفضل أو التمييز بين أتابك العساكر والاتابك فى أواخر عصر دولة المماليك البحرية ، كان نوعا من تقسيم السلطة العليا فى الدولة حتى لا يستأثر بها أمير واحد فيستبد بالامور •

على أية حال نجح برقوق فى التخلص من شريكه بركة ، وانفرد بتدبير أمور الدولة والوصاية على السلطان المنصور لصغر سنه • وبعد وفاة المنصور على وفى صفر ٧٨٣ هـ / ابريل ١٣٨١ م ولى برقوق أتابكية العساكر فى عهد أخيه وخليفته أمير حاج حتى تمكن من خلعه بحجة اضطراب أحوال البلاد لصغر سن السلطان ، وارتقى برقوق عرش السلطنة فى رمضان من عام ٧٨٤ هـ / نوفمبر ١٣٨٢ م[٩٣] •

مكانة اتابك العساكر بين امراء الدولة :

تمتع أتابك العساكر فى عصر دولة المماليك البحرية بمكانة كبيرة

---

(٩٠) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٦٣ •

(٩١) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٢٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٦٣ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٠ •

(٩٢) لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٧٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢١٥ ، ابن حجر : أنباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٩٢ — ٩٣ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ٩ ، ق ٢ ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ •

ونفوذ عظيم فهو أبو الامــراء وأكبر الامــراء المقدمين كما يذكــر القلقشندى[٩٣] .

وكان أتابك العساكر من امراء المئين مقدمى الالوف وعدة كل منهم مائة فارس وله التقدم على ألف فارس وهى من أعلى مراتب الامراء على نحو ما يذكر القلقشندى[٩٤] وقد تزيد عدته على مائة فارس فقد بلغ مماليك قوصون أتابك العساكر فى عهد السلطان كجك بن الناصر محمد (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) سبعمائة مملوك ، ولذلك كان يفخر ويتباهى بقوله : « ايش أبالى بالامراء وغيرهم ، وعندى سبعمائة مملوك ، ألقى بهم كل من فى الارض »[٩٥] . كذلك قيل أن مماليك يلبغا أتابك العساكر أيام السلطان الاشرف شعبان بلغ عددهم ثلاثة آلاف وخمسمائة مملوك ، وكان برقوق العثمانى من جملتهم[٩٦] .

وإذا كانت عبرة[٩٧] اقطاع الواحد من امراء المئين مقــدمو الالوف ـــ وهى رتبة الأتابكة ـــ تبلغ مائتى ألف دينار جيشية فى السنة[٩٨] فأن دخول بعض الاتابكة فاقت ذلك بكثير ، فيذكر المقريزى

---

(٩٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ١٨ ، وانظر أيضا : ابن شاهين الظاهرى ، زبدة ، ص ١١٢ ،
Ayalon, Studies, p. 59, Van Berchem, Corpus, vol. I, p. 290.

(٩٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ١٤ ، ١٨ ، ٢٠ .

(٩٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٤٠ ، وانظر ايضا : ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية ، ص ١٥٨ .

(٩٦) ابن حجر : الدرر ، جـ ٥ ، ص ٢١٣ ، ابن شاهين : زبدة ، ص ١١٢ .

(٩٧) العبرة مقدار ما يغله الاقطاع فى السنة ولمزيد من التفاصيل عنها انظر :
Hassanien Rabie, Financial System of Egypt, pp. 47 - 48.
حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٣٣ .

(٩٨) الدينار الجيشى دينار مسمى وليس حقيقة ويرى البعض أنه يساوى ربع دينار شرعى بالاضافة الى اردب من الحبوب ثلثه شعير وثلثاه
=

أن الاتابك شيخون كان يدخل كل يوم من اقطاعه وأملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر مبلغ مائتى ألف درهم وأكثر ، ورغم ما فى هذا الرقم من مبالغة فانه يكفى للدلالة على ضخامة دخل شيخون حتى أن المقريزى يعلق على ذلك بقوله : « وهذا شىء لم يسمع بمثله فى الدولة التركية »[(٩٩)] .

ومن الطبيعى أن يكون أتابك العساكر من أقرب الامراء الى السلطان مخاطبة وجلوسا وركوبا ، فانه كان مرجع السلطان وسنده ومستشاره فى كثير من الامور[(١٠٠)] . وقد حدد ابن تغرى بردى مكان جلوس أتابك العساكر فى حضرة السلطان وقت الخدمة وذلك فى قوله : « كان الجلوس رأس ميسرة السلطان إذ ذاك مختصا بأطابك أى (الاتابك) »[(١٠١)] . ويبدو أن هذا الموضع قد تغير فيما بعد إذ يذكر ابن تغرى بردى نفسه فى حوادث عام ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م أن السلطان المنصور على أخلع على الامير طشتمر المحمدى اللفاف باستقراره أتابك العساكر ، ورسم له أن يجلس بالايوان فى الميمنة »[(١٠٢)] .

=

قمح ، فى حين يرى فريق آخر ان عبرته كانت تساوى اردبا من الحبوب و ٢ أردب قمح وثلث اردب شعير .

انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ .

Hassanien Rabie, Financial System, p. 48.

صلاح البحيرى « ديوان الجيش فى الدولة الايوبية » بحث منشور فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٧٨ م ، ص ١٨١ ، طرخان : النظم الاقطاعية ، ص ١٥٩ .

(٩٩) المقريزى : الخطط ، م ٢ ، ص ٣١٤ ، وانظر أيضا : ابن تغرى بردى : المنهل ، جـ ٦ ص ٢٦٠ .

(١٠٠) الخالدى : المقصد الرفيع ، ورقة ١٢٤ .

(١٠١) النجــوم ، جـ ٧ ، ص ١٨٤ .

(١٠٢) النجــوم ، جـ ١١ ، ص ١٤٩ .

ألقــاب الاتابك :

تلقب الاتابك فى عصر دولة المماليك البحرية بعدة ألقاب منها : أتابك العساكر ، أتابك الجيوش ، الأتابكى ، والامير الكبير .

أما عن لقب أتابك العساكر فقد ورد فى المصادر بصيغ مختلفة من بينها : « أتابك العســاكر المنصــورة » وهذه هى الصــيغة الرسمية[١٠٣] . وقد حمل هذا اللقب العديد من الاتابكة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : الاتابك قلاوون الألفى خلال أتابكيته للعادل سلامش (ربيع الآخر ٦٧٨ هـ / أغسطس ١٢٧٩ م)[١٠٤] ، والاتابك الجاى اليوسفى حيث وجد هذا اللقب منقوشا على جامعه ومضافا الى بقية ألقابه[١٠٥] . أما عن الصيغة الثانية فهى « أتابك العساكر بالديار المصرية » ومن الاتابكة الذين حملوا هذا اللقب يلبغا العمرى فى سلطنة المنصور صلاح الدين بن المظفر حاجى[١٠٦] . وأخيرا صيغة « أتابك العساكر ومدبر الممالك الاسلامية بالديار المصرية » وحمله الاتابك شيخو العمرى فى سلطنة الناصر حسن الثانية (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م)[١٠٧] .

أما عن لقب « أتابك الجيوش » فقد استخدم مرادفا للقب أتابك العساكر وهو من الالقاب المركبة على لقب أتابك ، وكان فى مصطلح ديوان الانشاء فى عصر دولة المماليك أعلى الالقاب الفخرية أو الشرفية

---

(١٠٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ٤١٧ .

(١٠٤) بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية ، ص ٩٠ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٩١ .

(١٠٥) Van Berchem. Corpus, Vol. I, p. 289.

(١٠٦) انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٧ ، ص ٦٠ ، ابن اياس ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٨٠ — ٥٨١ .

(١٠٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٣٢٤ .

المضافة الى لفظ الجيوش[١٠٨] • ولقب بهذا اللقب عز الدين أيبك[١٠٩] ، وقلاوون حيث ورد فى المصادر « وخطبوا لاتابك الجيوش المنصورة الامير سيف الدين قلاوون الالفى »[١١٠] •

أما عن لقب « الاتابكى » فيذكر القلقشندى[١١١] أنه من ألقاب أمير الجيوش وهو بالاتابك أخص ، وهو لقب الاتابك مضاف اليه الياء . وقد اعتاد الكتاب فى العصر المملوكى على إضافة هذه الياء الى ألقاب الوظائف التى من أصل غير عربى • ويبدو أن هذا اللقب كان يلازم صاحبه ، ويظل علما عليه حتى ولو بعدت به الاحوال عن شئون الحكم والسلطان أو حتى وفاته[١١٢] •

وفيما يختص بلقب « الامير الكبير » فقد كان هذا اللقب يطلق فى بداية الأمر على كل قديم هجرة فى الإمرة والشيخوخة كما يذكر ابن تغرى بردى[١١٣] ولكن منذ بداية سلطنة الناصر حسن الثانية وبالتحديد فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أصبح هذا اللقب قاصرا على أتابك العساكر دون غيره من الامراء ، وأبطلت منذ ذلك الحين عادة تلقيب كبار الامراء بهذا اللقب ، وأول من لقب به هو الامير شيخو أتابك العساكر[١١٤] •

---

(١٠٨) انظر العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٦٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٦ ، ص ١١٠ ، حسن الباشا : الالقاب ، ص ١٢٤ ، الفنون الاسلامية ، جـ ١ ، ص ١٢ — ١٣ .

(١٠٩) انظر ما سبق . وانظر أيضا ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ١٩ .

(١١٠) انظر : ابن ايبك : الدرة الزكية ، ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، المنضل ابن أبى الفضائل : النهج ، جـ ٢ ص ٤٧١ .

(١١١) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٦ ، ص ٥

(١١٢) الخالدى : المقصد الرفيع ، ورقة ١٢٤ ، وانظر أيضا : حسن الباشا ، الالقاب ، ص ١٢٣ ، ١٢٥ ، محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ، ص ١٤٧ .

(١١٣) المنهل ، جـ ٣ ، ص ٤٢٩ ، النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٣ .

(١١٤) الخالدى : المقصد الرفيع ، ورقة ١٢٤ ، النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٣ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ص ٥٥٤ .

أما عن رسم المكاتبة لاتابك العساكر ، فكان يكتب له بأرفع الألقاب والأدعية مثله فى ذلك مثل النائب الكافل ، فاذا كانت المكاتبة من السلطان يأتى فيها : « أعز الله أنصار المقر الكريم »[١١٥] • واذا كانت صادرة عن نواب الشام يكتب له فيها : « المخدومى[١١٦] الاتابكى فلان الفلانى » باللقب المضاف الى لقب السلطان[١١٧] • أما اذا كانت المكاتبة من أحد الحكام مثل مكاتبة حاكم الأندلس ابن الأحمر ، والتى كتبها ابن الخطيب للاتابكى يلبغا العمرى فانها تفتح باسمه تعظيما له ، وينعت بما يليق به ثم يؤتى بالسلام[١١٨] •

مهـام أتابك العســاكر :

اتضح من خلال العرض لمنصب أتابك العساكر فى دولة المماليك البحرية أن هناك أتابك وصى وآخر قائد جيش وثالث جمع بين الاثنين معا • وكان لكل منهم مهامه وأعماله ، فكان الاتابك الوصى يقوم مقام السلطان فى جميع الامور ، ويتصرف فى شئون البلاد ويديرها كما لو كان هو السلطان نفسه ولذا كان يعين فى الامرة ويمنح لقب الامارة ، ففى شوال من عام ٧٦٨ هـ / مايو ١٣٦٦ م أنعم الاتابك اسندمر على جماعة من الامراء واستقروا مقدمى ألوف وأصحاب وظائف ، فأخلع على ازدمر العزى واستقر أمير مائة ومقدم ألف ، وأمير سلاح ، وأنعم على جركتمر السيفى بامرة مائة وتقدمه ألف وأمير مجلس ، وأنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه ومنهم بزلار العمرى ، وأرغون المحمدى ، وأرغون الارغونى ، ومحمد بن الماجارى ، ثم أنعم اسندمر على

---

(١١٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ٢١٧ .

(١١٦) المخدومى من الالقاب الخاصة بالمكاتبات ، والمراد من هو فى رتبة أن يكون مخدوما لعلو رتبته وسمو محله ، والمخدومى نسبة اليه للمبالغة . انظر القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٦ ، ص ٢٧ .

(١١٧) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ٢١٧ .

(١١٨) أنظر نص المكاتبة فى القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ٦٠ — ٦٢ .

جماعة بإمرة عشرات وهم : كزك الارغونى ، والطنبغا المحمودى ، وقرابغا الاحمدى[١١٩] .

وأنعم الاتابك اينبك البدرى — فى ربيع الاول ٧٧٩ هـ / أغسطس ١٣٧٧ م — على خشداشيته (أى زملائه) بإمريات طبلخانات وإمريات عشرات ومن هؤلاء كل من برقوق العثمانى وبركة الجوبانى[١٢٠] .

وكان الاتابك الوصى يرتب فى الوظائف فيعين من يشاء ويعزل من يشاء من أربابها فقد أخلع الاتابك قوصون على جماعة من الامراء وقررهم فى وظائف سنية ، وعزل من عزل وولى من ولى وظن أن الدهر قد صفا له[١٢١] كذلك كانت تصدر عن الاتابك اسندمر ولاية أرباب الدولة وعزلهم كما يروى المقريزى[١٢٢] .

امتدت يد الاتابك الوصى القائم مقام السلطان الى القاضى والخليفة بالولاية والعزل ففى شعبان من عام ٧٧٩ هـ / ديسمبر ١٣٧٧ م عين الاتابك طشتمر العلائى فى وظيفة قضاء القضاه شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى بعد أن استعفى منها قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة[١٢٣] . وفى ربيع الاول ٧٩٢ هـ / فبراير ١٣٨٩ م استدعى الاتابك اينبك البدرى الخليفة المتوكل على الله ، وطلب منه أن يسلطن أحمد بن يلبغا العمرى ، وعندما رفض الخليفة ذلك استدعى اينبك زكريا بن ابراهيم بن محمد ، وخلع عليه ونصبه خليفة بدلا من

---

(١١٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(١٢٠) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٥٨ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(١٢١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٥٧١ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ص ٤٩١ .

(١٢٢) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٤١ .

(١٢٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣١٩ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢١٦ .

المتوكل ولقب بالمستعصم بالله(١٢٤) .

وفوض الى هذا الاتابك فى أواخر عصر سلاطين المماليك البحرية باعتباره أيضا القائم مقام السلطان نظر المارستان المنصورى ونظر المظالم(١٢٥) . وفيما يختص بنظر المارستان يذكر القلقشندى : « ويكون نظر المارستان المنصورى بالقاهرة مع أتابك العساكر(١٢٦) ، وكان يكتب له توقيع بنظر المارستان فى قطع النصف على نحو ما يذكر الخالدى(١٢٧) . وكان الاتابك منكلى بغا الشمسى هو أول من ولى نظارة المارستان المنصورى فى عام ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م(١٢٨) وبعد وفاته فى عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م تولى الجاى اليوسفى الأتابكية ونظر المارستان المنصورى ، وان كان قد أناب عنه فى نظره الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام(١٢٩) . وبعد وفاة الجاى فى عام ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م استقر الامير ايدمر الشمسى فى الاتابكية ونظر المارستان المنصورى كذلك(١٣٠) . وفى عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م تولى الامير قرطاى الطازى الاتابكية ، واستقر فى نظر المارستان المنصورى ، ونزل اليه فى المحرم / مايو من نفس العام — بتشريفة ونظر فى أحوال

---

(١٢٤) لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٠٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ص ١٥٥ .

(١٢٥) عن نظر المارستان انظر ما سبق ، وعن نظر المظالم انظر ما سبق .

(١٢٦) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ١٨٤

(١٢٧) المقصد الرفيع ، ورقة ١٢٤ .

(١٢٨) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ص ١٥٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ١٣٧ .

(١٢٩) انظر المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٢٠٤ ، ابن حجر : أبناء الغمر ، جـ ١ ص ٣٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ص ٥٧ — ٥٨ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١١١ .

(١٣٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٢٣٨ .

المرضى وغيرهم على العادة(١٣١) . وتولى أيضا الامير اينبك — خليفة قرطاى فى الاتابكية — نظارة المارستان المنصورى فى صفر ٧٧٩ هـ / يونيه ١٣٧٧ م بعد مقتل قرطاى الطازى(١٣٢) .

أما عن نظر المظالم فقد أصبح من مهام الاتابك فى أواخر عصر دولة المماليك البحرية أيضا ، وكان الاتابك اينبك هو أول من قام بنظر المظالم ، فبعد أن عين اينبك فى الاتابكية نودى فى صفر من عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م من كان له ظلامة فعليه بباب أمير كبير اينبك البدرى »(١٣٣) . كما نودى فى جمادى الاولى من نفس العام وبعد تولى الامير طشتمر العلائى الاتابكية « من ظلم فعليه بباب الامير طشتمر العلائى الاتابك »(١٣٤) .

ومن ثم أصبح لاتابك العساكر منذ أواخر عصر دولة المماليك البحرية سلطة قضائية بحكم منصبه ، وكان عنده كاتب من كتاب الدست لتسلم القصص (أى الشكاوى والملتمسات) فاذا كان الامر فى القصة واضحا كخلاص حق أو نحوه ، كتب كاتب الدست على حاشيتها ما تقتضيه الحال فى ذلك من غير قراءتها على الاتابك . وان كان الامر فيها غير واضح كمنازعة خصمين أو نحوه ، فلابد وأن يقرأها

---

(١٣١) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٣٠٣ ، ابن حجر : انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٣٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١١ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ . وعن مهام ناظر المارستان المنصورى انظر ابن حبيب : تذكرة النبيه ، وثيقة وقف المارستان المنصورى ، نشر وتحقيق محمد محمد أمين ، ج ١ ص ٣٦٢ — ٣٦٩ ، ٣٩١ ، محمد محمد أمين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، ص ١٦٣ — ١٦٩ .

(١٣٢) ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٣

(١٣٣) النجوم ، ج ١١ ، ص ٥٤ ، ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٣ .

(١٣٤) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٣١٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١١ ، ص ١٦١ ، ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢١٣ .

كاتب الدست على الاتابك ويمتثل امره فيها ثم يكتب عليها ما برز به مرسومه • وفى كلتا الحالتين يوقع الاتابك على آخر ما يكتبه أو تحته بأشهر حرف فى اسمه • مثال ذلك ما كان يكتب عن الاتابك برقوق وهو حرف (ق) وغير ذلك[١٣٥] •

ومن القصص التى نظرها الاتابك قصة خاصة بطلب خبز أى اقطاع ، ففى عام ٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م قدم أحد المماليك السلطانية ، ويدعى قطلوخجا السلاح دار الى الاتابك شيخو العمرى قصة تتلخص فى أنه طلب منه خبزا فمنعه منه وأعطاه لغيره من جماعته فما كان من قطلوخجا الا أن ضرب شيخو بالسيف وجلس فى دار العدل بحضرة السلطان حسن[١٣٦] •

وقام الاتابك الوصى كذلك بالتصدى لحركات التمرد والعصيان التى كان يقوم بها نواب الشام بل وكان يخرج على رأس الجيش للقضاء عليها • ففى شوال من عام ٧٦٨ هـ / مايو ١٣٦٧ م قام نواب الشام وعلى رأسهم الامير طيبغا الطويل نائب حماه والامير اشقتمر نائب طرابلس بحركة تمرد وعصيان وعندئذ أرسل اليهم الاتابك اسندمر جماعة من الامراء والعسكر للقضاء على هذا التمرد[١٣٧] • كذلك استعد الاتابك اينبك البدرى فى ربيع الاول ٧٧٩ هـ / يوليه ١٣٧٧ م للخروج الى بلاد الشام لقتال نوابها وعلى رأسهم نائب دمشق الامير طشتمر بعد أن وصلته أخبار تمردهم وعصيانهم[١٣٨] •

---

(١٣٥) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٦ ، ص ٢٨ .

(١٣٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٥ ، المنهل ، جـ ٦ ، ص ٢٦١ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٦٢ .

(١٣٧) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠ .

(١٣٨) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٩ ، ٢٧٩ .

يتضح مما سبق أن الأتابكة الاوصياء على العرش أداروا شئون البلاد نيابة عن السلطان كما لو كانوا هم سلاطين البلاد فعينوا فى الامرة ومنحوا لقب الامارة ، ورتبوا فى الوظائف الجليلة وغيرها ، هذا الى جانب نظرهم المارستان المنصورى والمظالم وخروجهم للقضاء على حركات العصيان والتمرد التى قام بها نواب الشام .

أما عن مهام الاتابك قائد الجيش فكانت عسكرية فى المقام الاول ، فعندما عهد قطز بالاتابكية الى الامير فارس الدين اقطاى المستعرب « فوض اليه أمر تدبير العساكر ، واستخدام الجند ، وسائر أمور الدولة »[(١٣٩)] .

وظهر الدور العسكرى للاتابك بجلاء عندما كانت البلاد تتعرض لأى هجمات خارجية فاشترك الاتابك اقطاى المستعرب مع سلطانه قطز فى غزو التتار فى بلاد الشام فى عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ، وعرض ابن عبد الظاهر لدوره فى هذا القتال فقال : « وقف السلطان فى صدر العدو ... ورآه المسلمون .. فجسروا على العدو ، وساقوا وساق الملك المظفر والاتابك مع السناجق ، فكان ما قدره الله من النصر »[(١٤٠)] .

واستمر الاتابك اقطاى المستعرب يمارس دوره العسكرى خلال أتابكيته للسلطان الظاهر بيبرس فخرج معه فى عام ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م للاغارة على صور[(١٤١)] . كما اشترك مع السلطان فى قتال التتار عندما قصدوا الرحبة فى عام ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م . وأخذ السلطان بمشورته ، وأمر العساكر بخوض الفرات[(١٤٢)] . وعندما شرع السلطان الظاهر

---

(١٣٩) ابن العميد ، اخبار الايوبيين ، ص ٤٨ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٩ ، ص ٤٦٩ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٤١٨ .

(١٤٠) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٦٤ .

(١٤١) ابن عبد الظاهر ، نفس المصدر ، ص ٣٤٧ .

(١٤٢) انظر المفضل بن أبى الفضائل : النهج السديد ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ ، ابن عبد الظاهر : الروض ، ص ٣٤٧ ، ابن ايبك : الدرة الزكية ، ص ١٦٩ .

بيبرس فى مهاجمة طرابلس (٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م) وطلب أميرها بوهيمند السادس عقد الصلح ، أرسل اليه السلطان الظاهر الاتابك أقطاى المستعرب كرسول وبصحبته الامير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار بمقترحات لعقد الصلح(١٤٣) .

وأخيرا يأتى دور الاتابك الوصى قائد الجيش الذى جمع بين دوره كوصى فقام مقام السلطان فى كل أموره وبين دوره كقائد للجيش ، فعين فى الامرة ومنح لقب الامارة ، ففى شوال من عام ٧٦٤ هـ / يوليو ١٣٦٣ م أنعم الاتابك يلبغا على جماعة من الخاصكية بإمريات عشرة ، وفى عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م أنعم على ارغون شاه الأزقى بتقدمة ألف ، وعلى طيبغا العلائى السيفى بتقدمة ألف ، وعلى اينبك البدرى بأمرة طبلخاناه(١٤٤) . كذلك أنعم الاتابك برقوق على الامير جمال الدين بن عبد الله بأمريات طبلخاناه فى عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ، وبعد عامين أى فى ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م أنعم برقوق على جماعة بامرة طبلخانات ومنهم : أقبغا الناصرى ، وتنكز بغا السيفى ، وعلى جماعة بامرة عشرات وهم : قوصون الاشرف وبيبرس التمان(١٤٥) .

وعين هذا الاتابك أيضا فى الوظائف الجليلة كالوزارة وقضاء القضاء ونيابة السلطنة بالشام وغيرها ، ففى عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م عين الاتابك قلاوون الالفى الصاحب برهان الدين السنجارى فى الوزارة(١٤٦) . كما عين الاتابك برقوق الصاحب كريم الدين شاكر بن

---

(١٤٣) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٥٩٣ ، جمال سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ٨٤ .

(١٤٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٣٢ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦ .

(١٤٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٤١ ، ابن تغرى بردى : النجـوم ، جـ ١١ ، ص ١٨٠ .

(١٤٦) النويرى : نهاية الارب ، جـ ٣٠ ، ص ٣٩٩ .

غنام وزيرا فى ربيع الآخر من عام ٧٨٢ هـ / يوليه ١٣٨٠ م ، ثم رسم للوزير بعد ذلك ألا يتكلم فى شىء الا بعد مراجعته ، وما لبث أن قبض عليه وخلعه من الوزارة وأمر بسجنه فى العام التالى (٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م)[١٤٧] . كذلك عزل قلاوون الإلفى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين من القضاء بالديار المصرية ، وفوضه الى القاضى صدر الدين بن تاج الدين (جمادى الاولى ٦٧٨ هـ / سبتمبر ١٢٧٩ م). وعزل قلاوون أيضا القاضى شمس الدين بن شكر المالكى ، والقاضى معز الدين الحنفى عن القضاء ، وفوض قضاء الحنابلة للقاضى عز الدين المقدسى الحنبلى[١٤٨] . كذلك عين الاتابك برقوق العثمانى الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن بقضاء القضاة الشافعية وبدون راتب يتقاضاه عليها فى البداية (٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م)[١٤٩] . وعين الشيخ صدر الدين أبى عبد الله فى قضاء الحنفية فى رجب ٧٨٢ هـ / أكتوبر ١٣٨٠ م[١٥٠] ؛ كذلك عزل برقوق القاضى ابن جماعة خشية أن لا يوافقه اذا أراد أن يتسلطن ، وولى غيره من لا يخالفه فى ذلك[١٥١] .

أما فيما يتعلق بتعيين نواب الشام وعزلهم ففى ربيع الاول ٦٧٨ هـ / يوليو ١٢٧٩ م . عين الاتابك قلاوون الامير شمس الدين سنقر نائبا على دمشق بدلا من الامير جمال الدين اقش الشمسى ،

---

(١٤٧) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤١٠ — ٤١١ ، ابن حجر : أنباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢٠٩ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩١ .

(١٤٨) النويرى : نهاية الارب ، جـ ٣٠ ، ص ٣٩٩ ، ابن الفرات ، م ٧ ، ص ١٤٩ .

(١٤٩) لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٣٣ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(١٥٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٩٨ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٧٦ .

(١٥١) ابن حجر : أنباء الغمر ، جـ ١ ص ٨٩ .

ونقل الاخير الى نيابة حلب[١٥٢] . كما قام الاتابك يلبغا بعزل الامير قشتمر المنصورى نائب دمشق ، وعين الامير علاء الدين على الماردينى نائبا لها (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)[١٥٣] . وأخلع الاتابك برقوق على الامير بيدمر الخوارزمى فى المحرم ٧٨٣ هـ / مارس ١٣٨١ م ، وأقره نائبا على دمشق ، وعندما خرج على طاعته عزله وعين الامير اشقتمر الماردينى بدلا منه[١٥٤] .

وقام الاتابك برقوق أيضا بتعيين أرباب الوظائف الاخرى وعزلهم ففى المحرم من عام ٧٨٠ هـ / ابريل ١٣٧٨ م عزل القاضى تاج الدين من نظارة الجيش[١٥٥] ، وأعاد اليها القاضى تقى الدين ابن محب الدين[١٥٦] . وأخلع برقوق على جماعة من الامراء بوظائف ؛ فاستقر ايتمش البجاسى رأس نوبة كبير (٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) كما أخلع برقوق على الامير جركس الخليلى وعينه فى منصب مشير الدولة[١٥٧] .

ولعب هذا الاتابك أيضا بصفته الوصى والقائم مقام السلطان دورا هاما فى حياة البلاد الاقتصادية ، فألغى العديد من الضرائب والمكوس التى أضرت بالناس ، واشترك فى حل الأزمات الاقتصادية التى حلت بالبلاد . فحدث فى عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م أن أبطل الاتابك

---

(١٥٢) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور ، ص ٦١ ، ابن الفرات ، م ٧ ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(١٥٣) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦ .

(١٥٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٨١ ، ٢١١ .

(١٥٥) يتولاها ناظر الجيش وهو الذى يشرف على الجيوش وما يتعلق بها من جميع النواحى ، وخاصة النظر فى اقطاعات الجند وحفظ أموالهم ، ويتولاها غالبا العلماء والقضاة .

انظر : قنديل البقلى : التعريف ، ص ٣٤٢ — ٣٤٣ ، محمود نديم أحمد ، الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى ص ٦٩

(١٥٦) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٣ .

(١٥٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ص ١٨٠ ، ٢٠٩ .

يلبغا العمرى المكوس ، التى كانت تؤخذ من الحجاج فى مكة والمدينة ، من التجار القادمين من العراق وغيرها من البلاد ، ورتب عوضا عن هذه المكوس مائتى ألف وستين ألفا من بيت المال[١٥٨] وأمر الاتابك برقوق فى ذى الحجة ٧٨٢ ﻫ / فبراير ١٣٨١ م بالغاء عدة مكوس بالديار المصرية كانت قد ألحقت الضرر بالناس ومنها : ضمان قمح المؤونة بدمياط وفارسكور من اردبين الى ما دون ذلك ، وأبطل المقرر على أهل البرلس وبلطيم ومبلغه ستون ألف درهم فى السنة[١٥٩] ، كما أمر بابطال عدة ضرائب من بلاد الشام منها : ضمان الملح من عينتاب ومن الكرك ، وضمان المغانى من حماه والكرك والشوبك ، وضمان الدقيق من البيرة[١٦٠] .

أما فيما يتعلق بدور الاتابك فى حل الأزمات الاقتصادية ، فعندما توقف النيل عن الزيادة فى عام ٧٦٤ ﻫ / ١٣٦٢ م وارتفعت أسعار الغلال بالقاهرة ، قام الاتابك يلبغا بتوزيع الغلال على الفقراء وأهل العلم وغيرهم من الناس[١٦١] . كذلك أرسل يلبغا الى مكة فى عام ٧٦٦ ﻫ / ١٣٦٤ م اثنى عشر ألف أردب قمحا حينما وقع الغلاء بها فى هذا العام ، ففرقت على الفقراء والمساكين وساهمت فى حل الأزمة[١٦٢] . وحينما تعرضت مصر للغلاء فى عام ٧٨٣ ﻫ / ١٣٨١ م نتيجة لما أصدره الامير جركس الخليلى فى القاهرة ومصر من فلوس

---

(١٥٨) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٣٤ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٧ .

(١٥٩) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٠٥ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ص ١٦ — ١٧ .

(١٦٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤٠٥ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(١٦١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠ .

(١٦٢) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٩٧ . ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٦ .

جدد ، نقش عليها اسمه ورنكه ، حتى لهجت العامة : « الخليلى من عكسو ، نقش اسمو على مكسو » وترتب على ذلك أن توقف حال الناس ، كما توقفت حركة البيع والشراء ، وقل جلب البضائع من المأكل وغيرها ، وعندما علم الاتابك برقوق بذلك أمر بابطال ما أصدره الامير جركس من فلوس جدد والغائها ، واستمرار الفلوس على حالها(١٦٣) .

وعندما ارتفع سعر الغلال فى ذى القعدة من نفس العام (٧٨٣ هـ / يناير ١٣٨٢ م) حتى بلغ سعر الاردب من القمح ستين درهما ، وعز وجود الخبز فى الاسواق ، واختطف الناس الخبز من الأفران ، أمر الاتابك برقوق بفتح شون الذخيرة ، وبيع منها بسعر جيد(١٦٤) . وحينما تعرضت مصر للغلاء ثانية فى عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، وارتفع سعر القمح ارتفاعا كبيرا حتى بيع الاردب بمائة درهم ، راعى الاتابك برقوق ظروف الغلاء ، وأمر بألا يحبس أحد على دين ، وأفرج عن المحابيس(١٦٥) .

وأخيرا قام الاتابك الوصى قائد الجيش باستقبال الرسل والهدايا بل وراسله الملوك والحكام ، فعندما وصل رسل البنادقة الى مصر فى عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م جلس يلبغا لاستقبالهم ، يحيط به الامراء والحجاب ، فلما دخل عليه الرسل هالهم أمره ، وظنوا أنه السلطان ، فقبلوا الارض بين يديه ، ثم سلموا له كتاب ملكهم وقدموا هديته(١٦٦) .

---

(١٦٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٥٣ — ٤٥٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢١٠ — ٢١١ .

(١٦٤) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٧ — ٤٨ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٢٩٨ .

(١٦٥) ابن حجر : انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٨٤ .

(١٦٦) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

كما أن ملك غرناطة ابن الاحمر راسل يلبغا شخصيا مما يظهر مدى استئثاره بالسلطة والنفوذ[١٦٧] .

وعندما حضرت رسل حسين بن أويس صاحب بغداد الى مصر فى جمادى الاولى من عام ٧٨٣ هـ / أغسطس ١٣٨١ م وهم : قاضى البلد الشيخ زين الدين على بن عبد الله ، والوزير شرف الدين عطاء ابن الحسين الواسطى ، وشمس الدين محمد بن أحمد ، أحسن الاتابك برقوق استقبالهم ، ومد لهم سماطا حافلا ، وأكرمهم غاية الاكرام ، ورتب لهم رواتب كثيرة[١٦٨] .

أما عن الدور العسكرى الذى قام به الاتابك الوصى قائد الجيش فكان يظهر بجلاء عند تعرض البلاد للهجمات الخارجية فعندما هدد التتار بلاد الشام وزحف ملكهم غازان على حلب فى سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م ، خرج الاتابك بيبرس الجاشنكير على جرائد الخيل ومعه جماعة من العسكر الى حلب لقتاله[١٦٩] ، كذلك كان بيبرس الجاشنكير فى طليعة من خرجوا من القاهرة لقتال غازان عندما أغار على بلاد الشام مرة أخرى فى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م ووصل قرب حماه[١٧٠] .

وخلال سلطنة الاشرف شعبان وفى المحرم من عام ٧٦٧ هـ / سبتمبر ١٣٦٥ م هاجم بطرس لوزجنان ملك قبرس مدينة الاسكندرية ، فأعد الاتابك يلبغا العمرى الجيش وخرج على رأسه الى الاسكندرية ، وعلم فى الطريق اليها برحيل ملك قبرس عنها[١٧١] . ومع ذلك اتخذ

---

(١٦٧) انظر نص الرسالة فى القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٧ ، ص ٦٠ — ٦٢ ، وانظر ما سبق ص ، جمالى الدين سرور ، دولة بنى قلاوون ، ص ١٤٨ .

(١٦٨) ابن حجر : انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(١٦٩) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٠٣ .

(١٧٠) ابن اياس : نفس المصدر والجزء والقسم ، ص ٤١٣ .

(١٧١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الهجوم انظر : المقريزى :

=

اجراءات جادة من أهمها : أنه شرع فى عمارة الاسطول استعدادا لغزو بلاد الفرنجة ، ومن أجل ذلك نادى فى القاهرة بأن يحضر جميع البحارة والنفاطة الى بيته للعرض والنفقة ، ليسافروا فى المراكب التى يتم اعدادها ، كما أرسل الى نواب الشام بضرورة اخراج جميع النجارين لقطع الألواح ونشر الاخشاب ثم ارسالها الى مصر[١٧٢] . وفى ربيع الاول ٧٦٨ هـ / نوفمبر ١٣٦٦ م اكتملت عمارة الاسطول وشحنه الاتابك يلبغا بالعدد الحربية وجميع آلات السلاح ، وأنزل به مماليكه وألبسهم آلة الحرب استعدادا لقتال الصليبيين[١٧٣] .

وكان أتابك العساكر هذا يخرج أيضا على رأس الجيش للقضاء على حركات التمرد والعصيان التى يقوم بها نواب الشام والعربان فى مصر ، ففى شعبان ٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م قام نائب الشام الامير بيدمر الخوارزمى وأهلها بحركة تمرد وعصيان ، فخرج الاتابك يلبغا وصحبته العساكر لتأديبه ، ونجح يلبغا فى القبض على بيدمر الخوارزمى وأرسله الى سجن الاسكندرية . وبعد أن أصلح أمور الشام عاد الى مصر فى ذى القعدة من نفس العام (٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م)[١٧٤] .

= السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٠٣ — ١٠٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢٩ — ٣٠ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ ، وانظر أيضا : عفاف صبره : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٧ — ٧٨

(١٧٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٣٠ .

(١٧٣) لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١١٣ ، ١٢٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٣٥ — ٣٦ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤ ، جمال سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ١٦٠ ، ٣١٥ .

(١٧٤) ابن دقماق : الجوهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٤ — ٥ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٨٢ — ٥٨٣ .

وعندما شق عربان البحيرة عصا الطاعة وأعلنوا التمرد والعصيان فى عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م أرسل اليهم الاتابك برقوق العثمانى تجريدة بها عشرة من الامراء ، وعندما وصلت الى البحيرة فر العربان أمامهم فتعقبوهم حتى الفيوم ، وغنموا منهم غنائم كثيرة[١٧٥] . غير أن عربان البحيرة عادوا الى التمرد والعصيان ثانية ، وهاجموا دمنهور هذه المرة وعلى رأسهم بدر الدين بن سلام ، ونهبوا أسواقها وأخربوا بيوتها ، فقتلوا جماعة من أهلها ، وعندما علم الاتابك برقوق بذلك أرســـل اليهم ثمانية من الامراء المقدمين ، الى جانب الطبلخانات والعشرات فضلا عن المماليك السلطانية . وتمكن هؤلاء الأمراء من الانتصار على العربان ، ووضعوا حدا لتمردهم وعصيانهم[١٧٦] .

ديـــوان الاتابك :

كان لكل أمير ديوان ومعاونين ونظرا لأن أتابك العساكر كان أكبر الامراء فقد كان له ديوان ينسب اليه ويعرف « بالديوان الاتابكى » يتضح ذلك مما ذكره ابن عبد الظاهر من « أنه كان يحمل من الديوان الاتابكى (أى ديوان الاتابك اقطاى المستعرب) الى القلاع السلطانية معونة ما قيمته خمسمائة ألف درهم وثمانية آلاف درهم[١٧٧] .

وجرى تنظيم ديوان الاتابك على غرار دواوين كبار الامراء ، فعمل به هيئة من الموظفين تتألف من الناظر والعامل ، والكاتب ، وموقع الدست والشاهد ، والخازندار . أما الناظر فكما يدل عليه اسمه — هو الرئيس المسئول عن كل ما يجرى فى الديوان ، ويرجع اليه جميع موظفى الديوان ، فلابد من توقيعه على جميع ما يخرج من

---

(١٧٥) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٣٥ .

(١٧٦) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ؛ ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٩ ، ٢٧٩ .

(١٧٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣ ٨.

الديوان من أوراق ، كما أنه المشرف الرسمى على جميع ايرادات الديوان ومصروفاته[١٧٨] . ويذكر المقريزى فى حوادث عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م « أنه خلع على سعد الدين سعد الله بن البقرى ، واستقر فى نظر ديوان الامير الكبير برقوق »[١٧٩] . وفى صفر من عام ٧٨٣ هـ / ابريل ١٣٨١ م خلع على كريم الدين بن مكانس ، واستقر فى نظر ديوان الامير الكبير برقوق[١٨٠] .

وخلف ابن مكانس فى نظارة ديوان الاتابك برقوق الامير علم الدين بن قارورة وذلك فى ذى القعدة ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م ، ثم قبض عليه برقوق ، واخلع على شمس الدين ابراهيم — المعروف بكاتب أرلان — وجعله ناظر ديوانه[١٨١] .

أما العامل فهو الذى يقوم بعمل حسابات الديوان ويعتمدها بخطه[١٨٢] ، وتذكر المصادر أن الاتابك برقوق أخلع فى ذى القعدة من عام ٧٨٣ هـ / يناير ١٣٨٢ م على سعد الدين ابراهيم الميمونى ، واستقر به عامل ديوانه[١٨٣] .

وكان يعمل بديوان الاتابك أيضا كاتب ، ويستدل على ذلك مما ذكره ابن اياس فى حوادث عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م من أن الاتابكى

---

(١٧٨) انظر حسنين محمد ربيع : النظم المالية فى مصر ، ص ٨٤ ، محمد قنديل البقلى : التعريف ، ص ٣٤١ .

(١٧٩) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٣٦ .

(١٨٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤١١ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٨٣ .

(١٨١) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩٧ .

(١٨٢) انظر : حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٨٥ ، قنديل البقلى : التعريف ، ص ٢٤٠ .

(١٨٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ ، ابن حجر : انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩٧

بيبرس الجاشنكير كان له كاتب يدعى كريم الدين وذلك فى سلطنة الناصر محمد الثانية[١٨٤] . كذلك ذكر المقريزى فى معرض حديثه عن تعرض دار قوصون للسلب والنهب فقال : « وذكر كاتب قوصون أن الذهب المكيس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار .. »[١٨٥] .

وضم ديوان الاتابك أيضا موقعا للدست ، وهو الذى يوقع على القصص والشكاوى والملتمسات ، وكان من جملة موقعى دست الاتابك قرطاى : ابراهيم أمين اللبان ، وهرع الناس ابابه فى طلب شفاعته لهم[١٨٦] . وخلفه فى توقيع الدست شاهد مطبخ الامير اينبك ويدعى عبد العال[١٨٧] . ومن موقعى دست الاتابك برقوق ، أوحد الدين عبد الواحد اسماعيل ، فيذكر المقريزى فى حوادث عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م أنه خلع فى رمضان من هذا العام على أوحد الدين عبد الواحد — موقع الامير الكبير — كامليه حرير أخضر كمخا[١٨٨] سكندرى بفرو قاتم ، ولم يعهد من قبل متعمم يلبس مثل ذلك »[١٨٩] .

أما الشاهد فعمله الشهادة على الاوراق الرسمية مع التحقيق المبدئى من صحتها أى أنه يشهد بمتعلقات الديوان نفيا واثباتا[١٩٠] . وكان شاهد الاتابك قرطاى الطازى هو ابراهيم بن اللبان ، وما لبث أن انتقل الاخير الى توقيع الدست[١٩١] .

---

(١٨٤) ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ص ٤٢١ .
(١٨٥) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، م ٢ ، ص ٧٢ .
(١٨٦) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٩٣ .
(١٨٧) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٣٠٨ .
(١٨٨) كامليه ، جمعها كوامل وهى نـوع من الرداء الخارجى كالعباءة ، والكمخ قماش من الحرير محلى بالذهب أو الفضة . انظـر المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، حاشية ٤ ، ٥ ، ص ٤٠١ .
(١٨٩) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٣٤٧ ، ٤٠١ ، انظر أيضا : ابن حجر : انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
(١٩٠) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٦ ، قنديل البقلى : التعريف ، ص ١٩١ ، حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٨٦ .
(١٩١) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٩٣ .

ومن موظفى ديوان الاتابك أيضا الخازندار ، وكان يتولى أعمال خزانة الاتابك ، وفى عهدته ما بها من غلال[١٩٢] . وشغل هذه الوظيفة الامير ملكتمر الشيخونى ، وكان خازندار الاتابك شيخو ، والامير تمرتاش العلاى — وهو أحد الطبلخانات — وعمل خازندار للاتابك يلبغا العمرى[١٩٣] ، كما عمل آقبغا البشمقدار — خازندارا للاتابك الجاى اليوسفى ، وبعد وفاة الاخير فى المحرم من عام ٧٧٥ هـ / يونيه ١٣٧٣ م أمر السلطان الاشرف شعبان بالقبض على خازنداره هذا ، وعلى مباشرى[١٩٤] ديوانه ، وألزموا بمال كبير[١٩٥] .

وكان يعاون الاتابك فى القيام بمهامه — مثله فى ذلك مثل باقى الامراء — هيئة تتألف من كبار الموظفين يأتى على رأسهم : الاستادار والدوادار ، وكان الأول يتولى شئون دار الاتابك وحواشيه وغلمانه ومماليكه ، ويتصرف تصرفا تاما فى جميع ما يحتاجون اليه من نفقات وكساوى وغير ذلك[١٩٦] . وفى بعض الاحيان كان الاتابك يعهد الى استاداره بمهام أخرى خارج مهامه الرئيسية السابقة الذكر فقد عهد الاتابك يلبغا العمرى الى استاداره الامير طيبغا العلاى بالاشراف على بناء الاسطول بعد غزو ملك قبرس لمدينة الاسكندرية ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م[١٩٧] . كذلك عهد الاتابك برقوق الى استاداره ويدعى الامير

---

(١٩٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٦٢ — ٤٦٣ ، قنديل البقلى : التعريف ، ص ١١٣ .

(١٩٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٤٨ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٧١ .
ق ٢ ، ص ١٢١ .

(١٩٦) انظر القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٠ ، المقريزى : المواعظ ، م ٢ ، ص ٢٢٢ .

(١٩٧) انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١١٣ . انظر قنديل البقلى : التعريف ، ص ٢٩٥ .

(١٩٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٢١٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٦٠ — ٦٢ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ،
(١٩٤) وهم موظفون فى الديوان ومنهم الناظر والمستوفى والشاد .

بهادر المنجكى فى صفر ٧٨٤ هـ / ابريل ١٣٨٢ م بأن يحصـــل من دمشق المال الذىوعد به نائبها الامير بيدمر الخوارزمى[١٩٨] .

أما عن الدوادار فمهمته أنه يحمل الدواة ، ويقدم للاتابك القصص والشكايات ، ويقوم بابلاغ الرسائل عنه ، وممن تولوا هذا المنصب الامير جركس والامير طاش تمر دواداری الأتابك يلبغا العمرى[١٩٩] . ومحمد شاه دوادار الاتابك الجاى اليوسفى[٢٠٠] ، والامير ارغون دوادار الاتابك طشتمر العلائى[٢٠١] للاتابك برقوق العثمانى[٢٠٢] .

وتضم الهيئة المعاونة للاتابك أيضا (رأس نوبة) وهو الذى يحكم على مماليك الاتابك ويأخذ على أيديهم[٢٠٣] . وممن شـــغلوا وظيفة رأس نوبة لاتابكة العساكر ، الامير كمشبغا الحموى رأس نوبة الاتابك يلبغا العمرى[٢٠٤] كما كان آقبغا الناصرى رأس نوبة الاتابك برقوق ، وأنعم عليه الاخير بامرة عشرة فى رمضان من عام ٧٨١ هـ / ديســمبر ١٣٧٩ م ، وخلف آقبغا فى رأس نوبة الامير برقوق الامير قردم الحسنى ، وأنعم عليه برقوق بامرة مائة وتقدمة

---

(١٩٨) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٦٧ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٦٨ .

(١٩٩) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣ .

(٢٠٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٣٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٦٢ .

(٢٠١) انظر المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٢٣ ، ابن تغرى بردى النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٦٣ .

(٢٠٢) عن الدور الذى لعبه هذا الدوادار انظر :

المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٨٠ — ٣٨٢ ، ٣٩٦ ، ق ٢ ، ص ٤٤٠ — ٤٤٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٨٣ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٨ ، ٢٩٢ .

(٢٠٣) انظر القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ١٨ ، ٦٠ ، محمد قنديل البقلى : التعريف ، ص ١٥٥ .

(٢٠٤) انظر المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١٣٨ .

ألف فى رمضان ٧٨٣ هـ / نوفمبر ١٣٨١ م ، ويعلق المقريزى على ذلك بقوله : « وهذا لم يعهد به من قبل »[٣٠٥] • وبدون شك فان هذا الانعام كان نيابة عن السلطان وذلك باعتبار برقوق العثمانى وصى •

سكنى أتابك العساكر :

كان لاتابك العساكر بالديار المصرية دار مخصصة لسكناه فيذكر ابن تغرى بردى : « أما اصطبل[٣٠٦] قوصون فهو البيت المعد لسكن كل من صار أتابك العساكر »[٣٠٧] • وقد حدد المقريزى[٣٠٨] موقع دار قوصون أو اصطبل قوصون فذكر أنه بجوار مدرسة السلطان حسن ، وله بابان ، باب من الشارع بجوار حدرة البقرة ، وبابه الآخر تجاه باب السلسلة ، ويتوصل منه الى الاصطبل السلطانى وقلعة الجبل • ويتابع المقريزى فيذكر أن الذى أنشأه هو الامير علم الدين سنجر ، وأخذه منه الامير سيف الدين قوصون ، وصرف له ثمنه من بيت المال ، وأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل ، فبنى فيه كثيرا ، وأدخل فيه عدة عمائر ما بين دور واصطبلات ، فجاء قصرا عظيما ، وسكنه الامير قوصون فى حياة الناصر محمد • خلال أتابكيته له ولأبنائه من بعده[٣٠٩] • واحتوى هذا القصر على العديد من البسط الرومية والآمدية ، وأوانى البلور والصينى ، وأطباق

---

(٣٠٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٣٦٧ ، ٤٥٣ ، وانظر أيضا : ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٣٠٦) يقصد بالاصطبل هنا مجموعة من مبانى كان يقيمها كبار الامراء لاجل سكنى الامير هو وأسرته ومماليكه وخيوله ، فكان الاصطبل يشمل قصر السكنى وبيوتا لمماليكه واصطبلات لخيوله ومخازن لمؤنتها وحفظ سروجها . انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٩ ، حاشية ٤ ، ص ١١٠ .

(٣٠٧) النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٢١ .

(٣٠٨) المواعظ والاعتبار ، م ٢ ، ص ٧٢ .

(٣٠٩) المواعظ والاعتبار ، م ٢ ، ص ٧٢ .

الذهب والفضة ، ونهبته العامة فى عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م[٢١٠] . وفى ذلك يقول المقريزى : وتلاشى هذا القصر منذ ذلك الحين وما برح مسكنا لأكابر الامراء[٢١١] .

ولكن عندما شغل الامير شيخو العمرى منصب أتابك العساكر فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م ، مسكن دار قوصون ، فنسبت اليه . وعرفت به وأطلق عليها اسم دار شيخون أو اصطبل شيخون[٢١٢] .

ولم تكن دار قوصون هى المقر الوحيد لسكنى أتابك العساكر فقد سكن عدد من الاتابكة بمناظر الكبش ، وذكر المقريزى أنها تقع على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، وتشرف على البركة التى تعرف ببركة قارون عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون[٢١٣] . وكان السلطان الناصر محمد قد هدم مناظر الكبش فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م وأعاد بنائها وأجرى الماء اليها وزاد فى مساحتها ، وأنشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول على نحو ما يذكر المقريزى[٢١٤] .

ويعد الامير صرغتمش أول من سكن مناظر الكبش من الاتابكة وذلك فى سلطنة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، ثم سكنها من بعده الامير يلبغا العمرى حتى قتل فى عام ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ،

---

(٢١٠) لمزيد من التفاصيل عن محتويات هذا القصر ونهبه انظر : المقريزى : المواعظ ، م ٢ ، ص ٧٢ — ٧٣ ، السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٥٩١ — ٥٩٢ ، ٥٩٩ ، الشجاعى : تاريخ الناصر محمد ، ص ١٨٢ وما يليها ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ص ٤٩١ ، جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ٣١٢ — ٣١٣ .

(٢١١) المواعظ ، م ٢ ، ص ٧٣ .

(٢١٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٤ ، حاشية ٤ ، ابن قماق : الجوهر ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢١٣) المواعظ والاعتبار ، م ٢ ، ص ١٣٣ .

(٢١٤) المقريزى : المواعظ ، م ٢ ، ص ١٣٤ .

فسكنها من بعده الامير الاتابك اسندمر الناصرى ، فيذكر كل من المقريزى وابن اياس : « أن اسندمر سكن دار يلبغا العمرى بالكبش ، ومشى على نظامه »(٢١٥) • وعندما شارك الامير خليل بن قوصون اسندمر فى الاتابكية ، شاركه كذلك فى سكنه بالكبش ، فيذكر ابن تعرى بردى : « وخلع عليهما بالاتابكية ، وأن يكون خليل بن قوصون شريكا له فى سكنه بالكبش »(٢١٦) • كذلك سكنى الاتابكى يلبغا آص من بعدهما بالكبش هذا وان كانت أتابكيته لم تستغرق أكثر من ثمانية أيام(٢١٧) •

وفى ربيع الاول من عام ٧٦٩ هـ / أكتوبر ١٣٦٧ م أمر السلطان الاشرف شعبان بهدم الكبش فهدم وأصبح خرابا لا ساكن فيه ، وظل على هذه الحال حتى سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م فحكره الناس وبنوا فيه مساكن كما يروى المقريزى(٢١٨) •

وبعد هدم الكبش سكن الاتابكة الاصطبل السلطانى ، داخل أسوار القلعة بباب السلسلة ، وكان الاتابك اينبك البدرى أول من سكنه فى صفر من عام ٧٧٩ هـ / يونيه ١٣٧٧ م ، ويعلق المقريزى على ذلك بقوله : « انه لم تجر عادة من تقدموا أن أمير كبير يسكن بباب السلسلة »(٢١٩) • ومع ذلك فقد ظل الاتابك محتفظا بمقر سكناه الاول وهو دار قوصون أو دار شيخون ، فقد أسكن اينبك ولديه

---

(٢١٥) المقريزى : المواعظ ، م ٢ ، ص ١٣٤ ، السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٤١ ، ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤ ، وانظر أيضا : السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٢١٦) المنهل ، ج ٥ ، ص ٢٨١ — ٢٨٢ ، النجوم ، ج ١١ ، ص ٤٨ .

(٢١٧) ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧٢ .

(٢١٨) المواعظ ، م ٢ ، ص ١٣٤ ، وانظر أيضا : ابن إياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧٢ .

(٢١٩) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٣٠٨ وانظر أيضا : ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٤ ، Ayalon, Studies, p. 59.

أحمد وأبى بكر فى هذه الدار[٢٢٠] • كما أن الاتابك قطلقتمر العلائى الذى خلف اينبك سكن بيته بالاصطبل السلطانى ، فى حين ضرب رنكه (أى شعاره) على دار شيخون بالرميلة تجاه باب السلسلة (ربيع الاول ٧٧٩ هـ / يوليه ١٣٧٧ م)[٢٢١] •

وعندما عين طشتمر العلائى فى أتابكية العساكر فى أواخر ربيع الاول من نفس العام (٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) نزل الى بيت شيخون بالرميلة ، وسكن به ليحكم بين الناس[٢٢٢] • كذلك عندما شغل برقوق الاتابكية سكن بالاصطبل السلطانى فى حين سكن شريكه بركة الجوبانى دار شيخون تجاه باب السلسلة[٢٢٣] • وكانت أمور البلاد تدار من بيت بركة إذ يذكر المقريزى : « الا أن الولايات والعزل اذا انتظمت عند الامير بركة فى بيته كان أمضاها بين يدى الامير الكبير برقوق بالاصطبل »[٢٢٤] • مما يدل على أن الاتابكة اتخذوا من دار شيخون مقرا لممارسة مهامهم وأعمالهم •

يتضح من العرض السابق أن الاتابكية تعنى الوصاية على العرش وأن السلاجقة هم أول من أطلق على صاحبها اسم الاتابك ، واستخدمت الدول التابعة لهم نفس اللفظ للدلالة على الوصى على العرش • ولما كان الاتابك فى معظم الاحوال هو نفسه قائد الجيش فقد تطور المصطلح حتى أصبح فى عصر دولة المماليك البحرية يطلق على كل من يتولى قيادة الجيش « أتابك العساكر » سواء أكان أتابك بمعنى وصى أو لم يكن • وسرعان ما تطور المصطلح من أتابك الى أتابك

---

(٢٢٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٠٨ .

(٢٢١) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٥٨ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٢٢٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٦٠ .

(٢٢٣) ابن تغرى بردى : المنهل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٦٣ ، ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٢٢٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٢٤ .

العساكر ، وأصبحت الاخيرة تعنى أتابك بمعنى وصى وقائد جيش أو بمعنى قائد جيش فقط والفيصل هو وجود سلطان قاصر على رأس البلاد • وتزايد نفوذ الاتابك بشكل ملحـوظ فى أواخر عصر دولة المماليك الأولى واستحوذ على جميع السلطات وذلك لصغر سن سلاطين هذه الفترة •

واتضح أيضا أن الاتابك كان يحتل مكانة متميزة بين أمـراء الدولة وأن مهامه ومسئولياته تعددت فاعتباره الوصى على السلطان كان يقوم مقامه فى جميع أمور البلاد وباعتباره قائد للجيش كان يخرج على رأسه للتصدى لهجمات الاعداء وباعتباره وصى وقائد معا كان يؤدى كلا الدورين • كذلك كان لاتابك العساكر ألقابه ورسم المكاتبة له كما كان له ديوانه وهيئة معاونة من كبار الموظفين فضلا عن مسكنه أو مقره الذى كانت تدار منه أمور البلاد •

ملحق بأسماء أتابكة العساكر فى عصر

دولة المماليك البحرية

اسم الاتابك	سنة توليه الاتابكية	سنة وفاته
ـ عز الدين أيبك	٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م	٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م
ـ فارس الدين اقطاى المستعرب	٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م	٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م
ـ سيف الدين قطز	٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م	٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م
ـ فارس الدين اقطاى المستعرب (للمرة الثانية)	٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م	٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م
ـ سيف الدين قلاوون	٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م	٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م
ـ حسام الدين لاجين الرومى	٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م	
ـ زين الدين كتبغا	٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م	٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م
ـ بيبرس الجاشنكير	٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م	٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م
ـ بكتمر الساقى	٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م	٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م
ـ قوصون	٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م	٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م
ـ طاز	٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م	٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م
ـ شيخو العمرى	٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م	٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م
ـ صرغتمش	٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م	٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م
ـ يلبغا العمرى	٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م	٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م
ـ اسندمر الناصرى	٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م	٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م
ثم بالاشتراك مع خليل بن قوصون	٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م	
ـ يلبغا آص بالاشتراك مع تلكتمر المحمدى الخازندار	٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م	٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م
ـ منكلى بغا الشمسى	٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م	٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م
ـ الجاى اليوسفى	٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م	٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م
ـ ايدمر الشمسى	٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م	٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م
ـ منجك اليوسفى	٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م	٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م
ـ ارغون شاه	٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م	٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م
ـ طشتمر المحمدى	٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م	٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م
ـ قرطاى الطازى	محرم ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م	٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م
ـ اينبك البدرى	صفر ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م	٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م
ـ طشتمر العلائى	جماد اول ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م	٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م
ـ برقوق العثمانى	ذى‌الحجة ١٣٧٧/٧٧٩م	٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م

قائمة المصـــادر والمراجـــع

أولا ــ المصـــادر العربيـــة :

ــ ابن الاثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
الكامل فى التاريخ ، ١٣ مجلد ، بيروت ١٩٧٩ م

ــ ابن اياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠ / ١٥٢٣ م)
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
٥ أجزاء ، فيسبان (١٩٧٥ ــ ١٩٨٣ م)

ــ ابن أيبك الدواداری (أبو بكر بن عبد الله ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م)
كنز الـــدرر وجامع الغرر

الجزء السابع : الدرر المطلوب فى أخبار بنى أيوب
تحقيق ســعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٢ م .

الجزء الثامن : الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية
تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١ م

ــ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)
ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
١٢ جزء نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية

ــ المنهــل الصافى والمستوفى بعد الوافى
الاجزاء ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ تحقيق محمد محمد أمين ،
القاهرة ١٩٨٤ ــ ١٩٩٠ م

والاجزاء ٣ ، ٥ تحقيق نبيــل عبد العــــزيز ،
القاهرة ١٩٨٦ ، ١٩٨٨ م

— ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)

— الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة

خمسة أجزاء ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٦ م .

— إنباء الغمر بأبناء العمـــر

خمسة أجزاء ، بيروت ١٩٨٦ م .

— ابن حبيب (الحسن بن عمر بن حبيب ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)

— تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه

ثلاثة أجزاء ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٧٦ — ١٩٨٦ م

— ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)

— العبر وديوان المبتـــدأ والخـــبر

خمسة مجلدات ، بيروت ١٩٨٣ م

— ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)

— الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين

تحقيق محمد كمال عز الدين ، بيروت ١٩٨٥ م .

— ابن شاكر الكتبى (محمد بن شاكر ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)

— فوات الوفيات والذيل عليها

٤ مجلدات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٣ م

— عيون التواريخ ، ج ٢١ ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر ، العراق ١٩٨٤ م.

ــ ابن شاهين الظاهرى (غرس الدين خليل بن شاهين)

ــ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

تحقيق بولس راويس ، باريس ١٨٩٤ م .

ــ ابن عبد الظاهر (محى الدين بن عبد الظاهر ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م)

ــ الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر

تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦

ــ ابن العميـــد (المكين جرجس بن العميـــد)

ــ أخبار الايوبيين ، نشره كلودكاهن فى :

Bulletin d'Etudes Orientales, T. XV (1955 - 57) Damas 1958.

ونشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٠ م .

ــ ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المصرى ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)

ــ تاريخ ابن الفــرات

مجلد ٧ ، ٨ تحقيق قسطنطين رزيق ، بيروت ١٩٤٢

ــ ابن نظيف الحمــوى (أبو الفضائل محمد بن على)

ــ التــاريخ المنصــورى

تحقيق أبو العيد دودو ، دمشق ١٩٨٢ م

ــ ابن واصل (محمد بن سالم جمال الدين ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م)

ــ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب

جـ ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠

جـ ٤ ، ٥ تحقيق حسنين محمد ربيع ، القاهرة

١٩٧٢ ــ ١٩٧٧ م .

ــ أبو شــامة (شهاب الدين أبو محمد ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م)

ــ الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزءان فى مجلد

واحد ، القاهرة ١٨٧١ م

— أبو الفـــداء (عماد الدين اسماعيل أبى الفدا ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
— المختصر فى أخبار البشر المعروف بتاريخ أبى الفدا
٤ أجزاء فى مجلدين ، بيروت ١٩٨٣ م

— بيبرس المنصـــورى (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م)
— التحفة الملوكية فى الدولة التركية
— تاريخ دولة المماليك البحرية (٦٤٨ — ٧١١ هـ)
نشره عبد الحميد صالح حمدان ، بيروت ١٩٨٧ م

— الحـــــنبلى (أحمد بن ابراهيم نصر الله ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م)
— شـــفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب
— تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ١٩٧٨ م

— الخـــالدى (محمد بن عطف الله ت القرن ٩ هـ / ١٥ م)
— المقصد الرفيع والمنشأ الهادى لديوان الانشا
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٤٥

— الذهـــبى (الحافظ الذهبى ت ٧٤٨ هـ / ١٣١٧ م)
— العــبر فى خبر من غــبر
٤ أجزاء تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ، بيروت
١٩٨٥ م

— الســيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م
— حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة
جزءان فى مجلد واحد ، القاهرة ١٣٢١ هـ

— الشـــجاعى (شمس الدين الشجاعى)
— تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى
وأولاده
تحقيق بربارة شيفر ، فيسبادن ١٩٧٨ م

ــ العماد الاصفهانى (أبو عبد الله محمد ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

ــ تاريخ دولة آل سلجوق

بيروت ١٩٨٠ م

ــ العينى (بدر الدين محمود ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)

ــ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (عن سلاطين المماليك) ٤ أجزاء ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٧ ــ ١٩٩٢ م .

ــ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

ــ صبح الاعشى فى صناعة الانشا

١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٢ ــ ١٩٢٢ م

ــ المفضل بن أبى الفضائل :

ــ النهج السديد والدر الفريد فى تاريخ ما بعد ابن العميد . منشور فى :

Patrologia Orientalis, Vol. XII, XIV, Paris 1920, ed Par E. Blochet.

ــ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)

ــ السلوك لمعرفة دول الملوك

الاجزاء ١ ، ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٦ ــ ١٩٥٨ م

الاجزاء ٣ ، ٤ تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ م .

ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط) جزءان ، بولاق ١٢٧٠ هـ .

— النويرى (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)

— نهاية الارب فى فنون الادب

جـ ٢٩ تحقيق محمد ضياء الدين الريس ، القاهرة ١٩٩٢ م

جـ ٣٠ تحقيق محمد عبد الهادى شعيرة ، القاهرة ١٩٩٠ م

— الهمــــذانى (رشيد الدين فضــل الله)

— جامع التــواريخ ، م ٢ ، جـ ١

ترجمة محمد صادق نشأت ، محمد موسى ، فؤاد الصياد ، القاهرة ١٩٦٠ م .

ثانيا — المراجــع العــربية :

— ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية فى الشرق الاوسط فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٨ م .

— حامد زيان غانم : العلماء بين الحرب والسياسة فى العصر الايوبى (أسرة شيخ الشيوخ) ، القاهرة ١٩٧٨ م .

— حسن الباشا : الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القــاهرة ١٩٧٨ م .

— الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ١ ، القاهرة ١٩٦٥ م .

— حسنين محمد ربيع : النظم المالية فى مصر زمن الايوبيين ، القاهرة ١٩٨٨ م .

— خــوندمير : كتاب دستور الوزراء

ترجمة حرب أمين سليمان ، القاهرة ١٩٨٠ م .

— سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ م •

— الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٩٠ م •

— عفاف صبره : العلاقات بين الشرق والغرب

علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة من ١١٠٠ — ١٤٠٠ م ، القاهرة ١٩٨٣ م •

— ليلى عبد الجواد اسماعيل : « نائب السلطنة فى القاهرة فى عصر دولة المماليك البحرية » بحث منشور بمجلة المؤرخ المصرى ، العدد الاول ١٩٨٨ م ، ص ١٥٩ — ٢٢٥ •

— محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر

الحياة السياسية والاقتصادية فى عهدها بوجه خاص القاهرة بدون تاريخ •

— محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، القاهرة ١٩٨٤ م •

— محمد محمد أمين : السلطان الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠ — ١٢٤٩ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٦٨ م برقم ٦٢٩ •

— الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، القاهرة ١٩٨٠ م •

— محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى ج ١ ، القاهرة ١٩٤٧ م •

— محمود نديم أحمد : الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى ، القاهرة ١٩٨٣ م •

ثالثا ـ المراجع الاجنبية :

— Ayalon, D. Studies on the structure of Mumluk Army " In Bulletin of School of Oriental and African Studies (1954) pp. 57 - 90.

— Cahen, CL., " Atabak " In Encyclopaedia of Islam New Edition, Vol. I. Leiden - Brill 1986, pp. 731 - 732.

— Gaudefory Demombynes, La Syrie a L' Epoque de Mamelouks, Paris 1923.

— Hassanein Rabie, The Financial System of Egypt A. H. 564 - 741 / A. D. 1169 - 1341. Oxford 1972.

— Van Berchem, Corpus, Inscriptorum Arabicarum Premiere Partie Egypte, Paris, 1903.

دكتور/ جيرى ل. باكاراك
قسم التاريخ
جامعة واشنطن ــ سياتل
واشنطن ٩٨١٩٥

دكتورة/ سهام محمد المهدى
نائب مدير متحف الفن
الاسلامى والمشرف الأول
بقسم العملات الاسلامية
القاهرة ــ مصر

دراسة فى النقود الفاطمية(*)

عملة برونزية تذكارية من العصر الاخشيدى(١) من بين العديد من العملات النادرة التى تضمها المجموعة الكبيرة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة يوجد هناك عملة نحاسية تحمل أسمين لاثنتين من حكام مصر الاخشيدين وهما على بن محمد الأخشيد (٣٤٩ ــ ٣٥٥ هـ) والخصى الافريقى الشهير كافور (٣٥٥ ــ ٣٥٧)(٢) • حكم الاخشيديون مصر وفلسطين فى الفترة الممتدة من عام ٣٢٣ الى عام ٣٥٨ كما حكموا سوريا كذلك فى معظم سنوات هذه الفترة وحسب ما وصل إليه علمى فإن عدد العملات النحاسية التى ترجع الى عصر الدولة الاخشيدية لا يتجاوز الثلاث عملات • وهذه العملات هى تلك

(*) نود أن نتوجه بالشكر الى مدير عام متحف الفن الاسلامى الدكتورة/ نعمت محمد أبو بكر ، وعميد كلية آداب جامعة القاهرة أ. د. حسنين محمد ربيع لكل ما قدموه من مساعدة ومساندة ودعم بحث د. جيرى بمصر وشكرا للمكتب الاقليمى للفولبرايت الذى قام بتقديمها زمالة من مجلس تبادل الأكاديميين الدولى وكذلك منحة قام بتقديمها مركز البحوث الامريكى .

(١) رقم سجل : ٥/٦٧٢٤ عبد الرحمن فهمى موسوعة النقود العربية وعلم النميات : فجر السكة العربية . القاهرة ١٩٦٥ .

(٢) رقم سجل : ٣٠٤٥ يمكن الاطلاع على تحقيق مبدئى لأمر هذه القطع فى أعمال جيردل باكاداك ــ عملات كافور ــ الجريدة الاسبانيلية لفن المسكوكات القديمة (١٩٨٨ ــ ١٩٨٩) ٧٨ ــ ٧٩ والدراسة الأساسية عن الاخشيدين فى مؤلف الدكتور سيدة اسماعيل كاشف (مصر فى عصر الاخشيدن) القاهرة ١٩٥٠ م واعد طبعه فى القاهرة ١٩٨٩ م .

العملة الموجودة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وعملة مماثلة لها من سان بيترسبرج والتى تم التنويه عنها فى القرن التاسع عشر[٣] • وفلس ينتمى الى طراز مختلف تماما من طرز مجموعة فن المسكوكات القديمة الموجودة بتوبنجن بألمانيا : وهذا ما سنعرض إليه بالمناقشة فيما يلى :

ونبدأ هذه الدراسة بعرض توصيفى للقطعة البرونزية الموجودة بالقاهرة وعقد مقارنة بين الكتابات التى نقشت على سطح هذه القطعة وتلك الكتابات الموجودة على الدنانير والدراهم التى ترجع الى عصرى على بن محمد الاخشيد وكافور • كما تعرض الدراسة كذلك لمقارنات تعقد بين عملتى العصر الاخشيدى النحاسيتين الموجودتين بالقاهرة وسان بيتر سبرج وفلوس من العصرين الطولونى والفاطمى وكذا بينهما وبين العملة الاخشيدية الأخرى • وتبعا لقواعد علم القياس والموازين وعلم الكتابات والنقوش فان هذا الجزء من الدراسة سيخلص الى أن هاتين العملتين النحاسيتين لم يتم سكهما فى مصرأو فلسطين أو جنوب سوريا •

وأدت الخصائص التذكارية للنقوش والتفصيلات الأخرى للسك الى القول بأنه من المحتمل أن يكون قد تم سك هاتين العملتين فى النطاق الحدودى أو فى منطقة الثغور وعلى وجه التحديد فى مدينة طرسوس • ولهذا الرأى ما يؤيده من الأدلة من أقوال مورخى العصور الوسطى من العرب ، وسترد هذه الأدلة أيضا فى سياق الدراسة وستتمر فى بؤرة الاهتمام فى هذا الجزء من الدراسة على الأحداث السياسية والعسكرية المتعلقة بمدينة طرسوس وكذلك وإن كان على نطاق أضيق — أنطاكية ، وصلة هذه الأحداث بالبيزنطيين والايرانيين والحكام الاقليمين •

---

(٣) أ• ماركوف : كتالوج مفصل للعملات الاسلامة بترسبرج (١٨٩٦) ص ٣٤٧ •

إن العملة الموجودة بالقاهرة تم سكها على قطعة نحاسية تعد سمكية الى حد ما ويبلغ قطرها ٣٠ سنتيمترا ووزنها ٦٫٨٢ جراما وهو ما يعد أكثر من معدلات حجم العملات المعدنية المختلفة التى ترجع الى هذه الفترة التاريخية والنصوص المنقوشة على هذا الفلس كالآتى :





الوجـــه

الاســـتاذ

كافور الأمـــير

أبو محمـــد



الظهـــر

الأمـــير أبـــو

الحســـن على بن

الاخشـــــيد

إن كل المعلومات التى تمدنا بها هذه العملة تتســـم بالدقة فإن كافور كان معروفا بالاستاذ[٤] . وعلى الرغم من أن مؤرخ القرون الوسطى ابن تغرى بردى ذكر أن كنية كافور كانت أبو المســـك إلا أنه من الجائز أيضا أنه كان يكنى كذلك بأبى محمد[٥] وعلى أى حال ، فمن الممكن أن يكون اللقب هنا لقبا فخريا ليس الا ، حيث أن

---

(٤) لقب أستاذ اطلق فى المصطلح العباسى والفاطمى على الحصان من الغلمان حسن كان يعظم أمرهم للدلالة على بلوغ مرتبة رفيعة فى الدولة .

د. حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار . القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ، جـ ١٠ .

كافور كان خصى : وفيما يتعلق بالألقاب المطلقة على على بن الاخشيد فلا يوجد بهما ما يخالف المألوف • ومما يثير الدهشة هو امكانية تواجد هذا التوافق فى المعلومات المتوافرة عن غير ذلك • من الدنانير أو الدراهم التى صدرت فى البلاد التى حكمها الاخشيديون ابان سنوات الاخمسينات من القرن الرابع هـ فان كل الدنانير التى تم سكها باسم على بن الاخشيد تحمل اسمه واسم الخليفة المطيع لله ولكن أيا منهما لا يحمل اسم كافور أو أى لقب من الألقاب التى كانت تطلق عليه كالاستاذ مثالا[٦] وكان على بوصفه الحاكم الشرعى على هذا الجزء من أراضى الخلافة العباسية يتمتع بحق بوضع اسمه على ما يسك من العملات وكذلك ذكر اسمه فى خطبة الصلاة • وعلى الرغم من أن كافور كان يمثل القوة التى تساند العرش فإنه لم يلجأ الى اغتصاب حقوق على وانما أكتفى كافور بوضع حرف الكاف الذى أضيف نقشه الى كل الدنانير والدراهم التى سكت إبان حكم على بن محمد اخشيد • وعلى هذا فان كل من يقرأ النقوش على هذه الدنانير والدراهم يدرك أن كافور كان الحاكم الفعلى ومع ذلك لم يذكر اسمه كاملا على هذه العملات •

وبعد وفاة على فى مطلع عام ٣٥٥ هـ ولم يقم كافور باحلال عضوا آخر من العائلة الاخشيدية محله وذكر ابن تغرى بردى وما نقل عنه من مصادر هذا الأمر بصورة مباشرة وأضاف أن اسم كافور كان يذكر فى الخطبة على منابر المساجد فى مصر وبلاد الشام (سوريا وفلسطين) وأرض الحجاز (مكة والمدينة) والبقاع الحدودية

---

٦ — ان المصدر الرئيسى لدراسة العملات الاخشيدية مؤلف تول بالوج « قوائم المراجع للعملات الاخشيدية » المجلة البلجيكية « عن فن المسكوكات القديمة » ١٠٣ (١١٥٧) : ١٣٤ — ١٠٧ ويمكن أيضا الحصول على معلومات موسعة من أعمال سمير شامة « عملات الاخشيدين فى فلسطين (الابحاث) جـ ٣٣ مجلد جـ ٣ ، ٤ لسنة ١٩٧٠ ص ٢٧ — ٤٦ وكذلك النقود التى ضربت فى فلسطين ، الضفة الغربية ، ١٩٨٠ .

(الثغور) وما يشمله ذلك من مدن طرسوس والمصيصة وغيرها[٧] وأكثر الأمور المثيرة للاهتمام والتأمل هو أن أيا من مصادر العصور الوسطى لم يذكر أن كافور كان له حق وضع اسمه على ما يسك من العملات وبفحص المتاح من الدراهم والدنانير من مصر وفلسطين والتى ترجع الى سنوات حكم كافور لم يستدل على أنه نقش اسمه أو أى من ألقابه عليها[٨] والدليل الأوحد على أن هذه العملات سكت بناء على أوامر من كافور هو وجود حرف الكاف « أسفل كتابات مركز ووجه العملة » وعدم وجود أى إشارة الى عضو من أعضاء الأسرة الاخشيدية وعلى هذا فيمكن لنا أن نلخص الى القول بإنه بعد وفاة على أصبح لكافور الحق الرسمى فى أن يذكر أسمه فى خطبة الصلاة دون أن يكون له حق وضع اسمه على ما يسك من العملات من الدنانير والدراهم وبما أن العملة الجارى دراستها هى عملة برونزية لا تنطبق عليها قواعد السك هذه ، فلم يكن بمقدور كافور أن يضع اسمه عليها ؟

هناك مشكلتان تكتنفان هذا الحل فيما يتعلق بأمر تحديد أصل القطعتين الموجودتين بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وسان بيتر سبرج ، **أولا :** اذا كافور رغب فى التأكيد على سلطته ابان سنوات حكم على بن محمد الاخشيد بوضع اسمه على ما يسك محليا من عملات نحاسية فما الذى يدفعه الى اعطاء أسبقية مماثلة لعلى ؟ ثانيا : إن هذا الفلس يختلف عن العملات النحاسية من منطقة مصر وفلسطين وجنوب سوريا .

وكما هو موضح فى البداية فهناك عملة نحاسية أخرى عثر عليها من العصر الاخشيدى وهذه العملة معروضة فى غرفة ندوات فن المسكوكات الاسلامية القديمة بجامعة توبنجن بألمانيا وهى باسم على

---

(٧) ابن تغرى بردى : ٤ : ١ — ١٠ وخاصة ص ١٠ .

(٨) انظر الى رقم ٥ للحصول على المصادر الملائمة .

ابن أحمد وعليها تاريخ ٣٥٣ هـ ولكن دون أن يكون عليها ختم المسك[٩] .

فهذه العملة تتخذ شكل المربع بينما عملة القاهرة كانت مستديرة الشكل ، وهى مصنوعة من قطعة معدنية رقيقة بينما القطعة البرونزية التى نحن بصدد دراستها وفحصها عبارة عن قطعة معدنية سمكية كما أنها منقوشة بكتابات على الدنانير والدراهم التى سكت فى نفس العام أما العملة الموجودة بالقاهرة فهى تتميز بنصوص فريدة[١٠] ويبدو أن سك هذه القطعة تم على سبيكة من البرونز واستخدم فيه القوالب الخاصة بالدراهم . أما المشكلة الثانية فهى أن هذه العملة سكت على قطعة معدنية رباعية الشكل الأمر الذى قد يكون مرتبطا بالاستخدامات المخصصة لها ومن الجائز — والأمر هنا مجرد تخمين محض — أن هذه القطعة كانت للاستخدام فى الموازين وليس للتداول كعملة وحتى وقتنا هذا فليس لدينا ما يمكن توثيقه عن هذه العملة النحاسية الرباعية الشكل سوى وصفها .

وتختلف كذلك الفلوس التى تم سكها قبل حكم الاخشيدين وبعده — تختلف اختلافا بينا من حيث الشكل والوزن والسمك عن العملتين النحاسيتين الموجودتين بمصر وسوريا وفى خلال سنوات حكم الطولونين (٢٥٤ — ٢٩٢) ضربت عملة نحاسية رقيقة ذات قطر صغير الى حد ما وعليها صيغة نص دينى (أو عليها عبارات دينية) . كما كان لها تصميم متميز وكانت كذلك تحمل نقوشا على هامش ظهرها تفيد بأن هذا الفلس قد سك فى مصر عام ٢٥٨[١١] ويقتنى

---

(٩) توبنجن .

(١٠) حيث أن القطعة المعدنية مفصوصة فى الجزء الذى يجب أن ينقش فيه حرف الكاف الذى يرمز الى كافور فمن المستحيل القول باذا ما كان حرف الكاف الموجود على كل الدنانير والدارهم كان مدرجا .

(١١) أولج جرابر : عملات الطولونين (ملحوظات وصور لفن المسكوكات القديمة ١٣٩) نيويورك ، صفحات ٨ — ٩ .

متحف الفن الاسلامى فلسا باسم الخليفة الفاطمى المعز لدين الله وغيره ٣٤٢ — ٣٦٥ باسم الحاكم بأمر الله ٣٨٧ — ٤١٢ هـ[١٣] وغيرهما من الخلفاء .

والكتابات المنقوشة على هذه الفلوس اتخذت نفس الاسلوب المألوف على الدنانير والدراهم الفاطمية التى صدرت فى هذا العصر . كما يتماثل وزن هذه العملة وقطرها مع أوزان وأقطار غيرها من العملات الفاطمية وتختلف عن وزن وقطر كل من نقدى العملتين الخاصتين بعلى وكافور[١٣] . المذكورين قطع فن المسكوكات القديمة وهذان الفلسان أقرب شبها بميدالية فضية عليها اسم أبى القاسم أبو جوربن الاخشيد (٣٣٦ — ٣٥٠ هـ) الذى خلف أبيه فى حكم مصر وفلسطين ويمكن ترجمة ما كتب على وجه هذه العملة كالآتى « بركة وسرور للامير أبو القاسم أبو جور » أما ما كتب على الوجه الآخر للعملة فهو « من يتوكل على الله فهو حسبه » (القرآن : الفصل ٥٥ : ٣)[١٤] ويرجح بأن هذه القطعة تم سكها كعملة رمزية ولكن لا توجد معلومات عن الأسباب أو الملابسات التى أدت الى اصدارها[١٥] .

واعتمادا على ما قد قدم من دلائل افن المسكوكات القديمة فيمكن لنا أن نخلص الى النتائج الآتية :

إن النقوش التى تزخرف هاتين العملتين النحاسيتين تختلف اختلافا واضحا عن النقوش الموجودة على أى من الدنانير أو

---

(١٢) الوزن رقم سجل : ٣/٦٧٢٤ .

(١٣) الوزن : ٥ر٣٠ جرام ، القطر : ١٧ سم كسابقه .

(١٤) تمطان معروفات ، وجورج سكانلون حفائر البعثة الامريكية بالفسطاط الجزء الثانى (الفسطاط) تقرير مركز البحوث الامريكى فى مصر ، الجزء ١١ ونيوناليك ، ١٩٨٩ ، صفحات ٦٢ — ٦٣ . المتحف البريطانى (٢٢ ، ٣ ٦٢) .

(١٥) كسابقه .

الدراهم التى عثر عليها من العصر الاخشيدى وكذلك عن ذلك الفلس الاخشيدى الذى عثر عليه • كما إنها تختلف أيضا اختلافا واضحا عن نماذج الفلوس الطولونية والفاطمية والتى تتشابه نقوشها أكثر مع نقوش العملات فى العصرين الطولونى والفاطمى من عملات ذهبية وفضية • والعملة التذكارية الاخشيدية لا يبدو عليها أى تشابه مع غيرها من العملات من حيث النقوش وسمك القطعة المعدنية ووزنها اذا لم تكن العملات محل الفحص والدراسة قد أتت من بلاد الشام فمن أين أتت هذه العملة ؟

ويرى السيد/ ستيفن أكسبوم أحد أبرز الامريكيين من كتاب المقالات من العملات الاسلامية بأن هذه العملة قد تكون أتت من طرسوس • ولقد بنى اكبوم استنتاجه هذا على وزن وسمك العملة والنص المنقوش عليها ومن خلال خبرته الواسعة التى أتاحت له فرصة فحص آلاف العملات بصفة متخصص محترف فى فن المسكوكات الاسلامية القديمة فإن السيد/ أكبوم استشعر أن مكان هذه العملة إنما هو طرسوس أو المصيصة فى منطقة الثغور •

وللاسف فحسب بداية دكتور/ جورج سن مايز فلا يوجد عملات نحاسية مماثلة للعملة الموجودة بالقاهرة والتى عثر عليها من خلال الحفريات وفى دراسة أصول بعض من هذه العملات التى تنتمى الى بدايات القرن الرابع فى مدينة طرسوس ، وأشار دكتور س• م شتين الى أن هذه العملات يمكن أن تكون سكت باسم ثمال وهو حاكم اقليمى كان غالبا عاملا لسيف الدولة القائد الحمدانى الذى كان يتخذ مقره فى حلب[١٧] واثبات امكانية وجود رابطة بين طرسوس

---

(١٦) جورج سى مايلز : عملات اسلامية من مكتشفات حفائر طرسوس ١٩٣٥ — ١٩٣٧ • البحر الأبجى والشرق الأدنى : دراسة مقدمة الى هيتى جولدمان ، نيويورك ١٩٥٧ — ٢٩٧ — ٣١٢ — ١٧ •

(١٧) س• م شتيزن : عملات الثملى وغيره من حكام طرسوس « جريدة الجمعية الامريكية الشرقية » : ٨٠ (١٩٦٠) ٢١٧ — ٢٢٥ •

والاخشيدين فى خلال السنوات ما بين عام ٣٥٠ وعام ٣٥٤ وهى فترة ولاية على وسيطرة كافور على السلطة فمن الضرورى أن نقترب أكثر من التاريخ السياسى لطرسوس فى خلال هذه السنوات ومن حسن الحظ أن هناك معلومات مستمدة من بعض المصادر العربية مثــل مسكوية (أو ابن مسكوية) وابن العديم ودراسات بعض المتخصصين الأكاديميين المحدثين[١٨] .

فى عام ٣٥٠ كان الحاكم الاقليمى لطرسوس ابن الزيات يواجه غزوا بيزنطيا وشيكا دون أن تصل إليه الامداد العسكرى اللازم من واليه سيف الدولة فأوقف ابن الزيات ذكر اسم سيف الدولة فى الخطبة بالمساجد ثم قام ابن الزيات بإرسال جيش تحت لواء أجنة لمواجهة الامبراطور البيزنطى نقفور الذى كان قد استولى بالفعل على المصيعة ولقد قضى على قوات طرسوس .

وذكرت المصادر التاريخية أن ابن الزيات قد أصابه الجزع والحــزن الشديدين لما أتم بأجنة فقام بارتدا زى اجنة العسكرى وألقى بنفسه من شرفة منزل ليموت غرقا فى النهر[١٩] . وعلى الرغم من انتصارهم فإن البيزنطيين لم يمكثوا طويلا وأستعاد المسلمون سيطرتهم وإن كان الفضل فى هذا يعزى الى الامبراطور قنسطنطين رأصبح رشيق النسيمى حاكما لطرسوس[٢٠] ولا علم لدينا بما حدث

---

(١٨) مسكويه ، تجارب الأمم ، ابن العديم ، تاريخ حلب ، مجهول ، كتاب العيون والحلائق ، ع رمزى بخازى « عهد الحمدانيين فى ما بين النهرين وشمال سوريا » ٢٥٤ — ٤٠٤ / ٩٦٨ — ١٠١٤ رسالة دكتوراه لم يتم نشرها ، جامعة متشجان . م . كانار (تاريخ الدولة الحمدانية) فى الجزيرة وسوريا . الجزائر ١٩٥١ .

(١٩) مسكويه ١١ ، ١٩٢ . مجهول . كتاب العيون والحلائق . عمر صعيدى ١٩٧٣ . ٤ : ٥٠٦ — ٥٠٨ .

(٢٠) الكاتب المجهول لكتاب العيون والحلائق يقدم اسمه على أنه ابو الحسن بن رشيق النسيمى ومن الجائز أن تكون لفظه ابن قد أضيفت بطريق
=

فى السنوات التالية على وجه التحديد ولكن المؤرخ الحديث رمزى مازى لديه من الأسانيد ما يثبت أن علاقة بن طرسوس والاخشيدين بمواجهة العدوان البيزنطى بينما انشغل سيف الدولة القائد لحمدانى ، بمناطق أخرى ومشاكل أخرى[٢١] .

وفى عام ٣٥٤ عاد الجيش البيزنطى مرة أخرى الى الثغور وفى هذه المرة كان العتاد العسكرى لجيش الامبراطور نقفور فوكاس كان أكثر وأقوى وحسب قول مسكوية فإن رشيق النسيمى كان أحـد الرجال الذين قاموا بتسليم طرسوس الى الامبراطور[٢٢] ولقد حدد المؤرخ الفرنسى م. كنار اعتمادا على مصادر يونانيـة — تاريخ استسلام طرسوس كالخامس عشر من شعبان عام ٣٥٤[٢٣] ولقد أجبر الحاكم البيزنطى مسلم طرسوس على الهجرة وأعاد توطين المدينة بالمسيحيين وأحال المسجد الى اصطبل للخيل بعد أن حدق المنبر وأستولى على المصابيح كغنيمة حرب[٢٤] وبعد ثلاثة أيام وصلت قوة بحرية من مصر تحت لواء فتح الثملى وبأمر كافور ، بيد أن ذلك كان بعد فوات الوقت[٢٥] .

وهناك خلاف حول هوية فتح الثملى . فلم تخبرنا المصادر بأى شىء عنه حتى ظهوره فى هذه الفترة الانتقالية من التاريخ ويبدو

=

انخطأ حيث معظم المصادر أرادت اسمه على انه رشيق كتاب العيون ٢ ٤ ، ٥٠٨ .

(٢١) رمزى بخازى : الدولة الحمدانية فى ما تين النهرين وشمال سوريا (٢٥٤ ٤٠٤ / ٨٦٨ — ١٠١٤) رسالة دكتوراه لم تنشر ، جامعة ميتشجان ١٩٨١ ، صفحات ٥٨ — ٦٣ — ٤٢ — ٩١٧ .

(٢٢) مسكوية ٢١٤ ، ابن العديم ، تاريخ حلب ، ١٤٨ .

(٢٣) كانار الحمدانيين ، ص ٨٢٣ .

(٢٣) كانار الحمدانيين ، ص ٨٢٣ .

(٢٤) مسكويه جـ ٢ ، ص ٢١٠ .

(٢٥) الذهبى : تاريخ الاسلام ، كانار ص ٨٢٣ .

من خلال سبته الثملى إنه كان مملوكا من مماليك الشمال والانصاف القول بأنه كان على علم بأمر مسألة مدينة طرسوس التى حكمهـا الثملة ويقول مسكوية أن الاسطول المصرى أتى من مصر وهذه مسافة بعيدة جدا فيما يتعلق بالاستجابة ولازمة اقليمية بالطبع وفى النص العربى يقول مسكوية أن فتح الثملى عاد بعد ذلكمع عدد من مسلمى طرسوس الى انداكية وليس الى مصر[٣٦] •

ومن سخرية الأقدار أن حكم فتح الثملى لمدينة أنطاكية الذى قوبل فى بادى الأمر بالترحاب والذى تحول الى حكم قمعى أدى برشيق النسيمى والذى كان قد فشل فى الدفاع عن طرسوس الى التمكن من الاستيلاء على انطاكية[٣٧] • ولا حاجة بنا الى عناء متابعة ما آل إليه أمر رشيق الذى تمكن بعد ذلك من الاستيلاء على حلب أما فيما يتعلق بفتح الثملى فلقد فقدت المصادر أثر متابعة أحواله •

وعلى هذا فإن اصدار عملة تذكارية يمكن تفسيره بأحد أمرين لن تصميم سطح العملة وعدم وجود تاريخ سك عليها وعدم وجود نصوص دينية عند هامش العملة هى عوامل تعتبر مقدمات لما توصلنا إليه من نتيجة تقول بأن هذه القطعة لم تكن عملة نحاسية عادية بل إنها أصدرت لمناسبة خاصة والتفسير الأول وهو الأكثر احتمالا فإن هذه العملة قد تم سكها بناء على أوامر رشيق النسيمى ابان فترة حكمه لطرسوس. فمن خلال اصدار هذه العملة كان يمكن لرشـــيق

---

(٢٦) مسكويه ١١ ، ٢١٠ .

فى نص مسكويه لوصول الاسطول المصرى ذكر اسمه على أنه « ثيج » ولكن ذلك خطأ يسهل حدوثه بين فتح ، وثيج ويذكر ابن العديم نسبه على أنه الايمكى أو الثملى وعلى هذا فمن الأفضل أن نأخذ اســـمه على انه فتح الثملى ، مسكويه جـ ٢ ، ص ٢١١ ، حاشية رقم ١ . ابن العديم ، ١٤٨ .

(٢٧) مسكوية جـ ٢ ، ص ٢١١ حاشية ١ — ابن العديم جـ ١ ص ١٤٨ .

النسيمى أن يعترف بالسيادة المطلقة للولاية الاخشيدية وكل من حتى الحاكم الشرعى وكافور الذى كان يمثل السلطة المساندة للعرش • ولعل رشيق النسيمى كان يتوقع أن يجازى عن هذا الاعتراف بالسيادة ، الذى شمل سك النقود والخطبة فى المساجد للحصول على الدعـم العسكرى فى مواجهة البيزنطيين وذلك الدعم الذى وصل متأخرا جدا •

وهذا التفسير يوضح ما أقره ابن تغرى بردى وغـيره من مصادر العصور الوسطى من أن كافور كان يذكر فى الخطبة الثغور وخاصة فى طرسوس والمصيصة فى وقت لم تكن فيه هناك قوات اخشيدية تسيطر على هذه الأماكن[٣٨] وفى واقع الأمر فان هذه الأماكن كانت واقعة تحت سيطرة البيزنطيين فى الوقت الذى كان كافور يحكم فيه باسمه ولو أن المعلومات المتعلقة بذكر اسم على واسم كافور كانت وصلت مصر فى عام ٣٥٥ هـ • فمن المعقول اذن أن يقوم المؤرخون بتدوين هذه المعلومات ضمن حوادث هذا العام وفى فترة حكم كافور • ومن حيث على كان قد توفى فلعل المصادر تصورت أن اسم كافور وحده هو الذى كان يذكر أو أنه كان من غير الملائم الإشارة الى أن اسم على كان يذكر ولعل الرسل الذين كانوا يحملون الخطبة كانوا كذلك يحملون بالعملات النحاسية التذكارية التى سكت فى طرسوس عرفانا بجميل المساندة المتوقعة من على وكافور •

أما التفسير الثانى وإن كان أقل احتمالا من سابقه • لظهور هذه العملة النحاسية فهو إنما يمكن أن تكون سكت بأمر من فتح الثملى إبان حكمه لانطاكيا كجزء من برنامجه لمحاولة الحصول على معونة الاخشيدية ومساندتهم ضد البيزنطيين وكجزء أيضا من برنامجه للأنفصال عن الدولة الحمداية وتصورا لاعتراف الثملى بالسـيادة

---

(٣٨) ابن تغر بردى : ٤ ، ٩ . مجهول تاريخ دولة تنى عبـاس والطولونين والفاطميين ، باريس : المكتبة القومية : عربى ٥٧٦١ ورقة ١٦٥ ب .

المطلقة للاخشيدين من خلال سك العملة فيما يتعلق بهذه العملة النحاسية تحديدا كان يمكن لكافور أن يقوم بإمداد أو تمويل اسطول تحت لواء فتح الثملى لمساندة طرسوس ضد هجمات البيزنطيين (أو حتى للاستلاء على طرسوس من رشيق النسيمى باسم الاخشيدين وللأسف فان الوصول الى رأى أكثر تحديدا فيما يتعلق بأصـــل هذه العملة يعتمد على الحصول على مسكوكات اضافية أو مماثة لهذه القطعة أو الحصول على نصوص تمثل أدلة لأصلها •

إن التحقق من الاصول المحتملة لعملة نحاسية واحدة يعد دليلا على التعقيدات التى تكتنف محاولة تجميع الأحداث الكاملة للتاريخ الاسلامى فى العصور الوسطى ان الجمع بين الدلائل المكتــوبة فى نصوص التاريخ وتلك التى يشير إليها فى المسكوكات القديمة كان أمرا حتميا لتحديد دائرة الأماكن التى يمكن أن تكون العملة قد سكت فيها دون غيرها ولا تخلص هذه الدراسة الى نتيجة محددة ولكنها تقدم تصورا بطبيعة البحث والتحقق اللازمين للوصول الى نتيجة •



المغـــرب فى العصر الأموى

(٤٠ ـ ١٣٢ هـ)

دكتور/ راضى عبد الله عبد الحليم
كليـــة التربيـــة بالفيـــوم
جامعـــة القاهرة

بعد جهود مضنية ومستميتة بذلت من جانب العرب المسلمين ، استطاعوا خلال تلك الجهود ، أن يقهروا المقاومة البيزنطية ، وتمكن النفوذ الاسلامى من مصر ، فكانت بداية مصر الاسلامية ، وأعقبها مباشرة التطلع الى حدود البلاد الغربية نحو بلاد المغرب[١] .

بدأ عمروٍ بن العاص بعد تسليم الاسكندرية مباشرة عام ٢٢ هـ / ٦٤١ م التوغل بقـــواته صـــوب الغرب ، متعقبا القوات البيزنطية المتقهقرة ، فاخترق برقة وطرابلس وهم بمواصلة التقدم نحو بلاد افريقية وكاتب الخليفة عمر بن الخطاب بذلك التقدم الا أن الخليفة أمره بالقفول عائدا الى مصر[٢] .

ثم أعاد المسلمون الكرة مرة أخرى ، بقوات أكثر استعدادا فى عهد عبد الله بن سعد بن أبى سرح[٣] ، الذى ولى بديلا لعمرو بن

---

(١) ابن عبد الحكم ، أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٩١ ، ليدن ١٩٣٠ م .

(٢) ابن عذارى المغربى ، البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب ، جـ ١ ، ص ٨ ، تحقيق ليفى بروفنسـال ، بيروت د.ت .

(٣) عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى يكنى ابا يحيى كان يكتب الوحى للرسول (ص) ، ثم ارتد عن الاسلام ، ولحق بالمشركين بمكة ، فلما فتحت مكة ، استجار ابن أبى سرح بعثمان بن عفان ، فأخذ
=

العاص على مصر ، فجند له الخليفة عثمان بن عفان عام ٢٧ هـ / ٦٤٦ م عشرين ألفا من العرب[٤] ، فتوغل بهم فى افريقية وصاحبها بطريق يقال له جرجير وكان سلطانه من طرابلس الى طنجـة ، فاستطاعوا الانتصار على جنوده التى قدرت بحوالى مائة وعشرين ألفا وقتل جرجير فى سبيطلة ، واستولوا على الكثير من الغنائم والآلاف من الأسرى فعاهدهم ابن أبى السرح على ثلاثمائة قنطار من الذهب فى العام كجزية على أن يكف عنهم ويخرج من ديارهم ، فقبل ذلك منهم ، وخرج من بلادهم[٥] ، ويبدو أن خروجه وقبوله ذلك يرجع الى بداية الفتنة الاسلامية الكبرى فى عهد عثمان بن عفان .

الفتوح فى عهد معاوية بن أبى سفيان :

وما كادت الدولة العربية الاسلامية تفيق من متاعبها بقيام الدولة الأموية ، حتى كان الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، أسرع الناس الى معاودة النضال ، ليكسب لخلافته الناشئة تأييد كافة المسلمين[٦] ، ومن

=

له الأمان من الرسوم (ص) ، وكان ابن ابى سرح اخا لعثمان من الرضاعة .

— ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٩ ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ابى عمر يوسف بن عبد البر ، تحقيق على البخارى ، جـ ٣ ، ص ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩١٩ ، القاهرة ، د.ت .

(٤) فيهم مروان بن الحكم ، وجمع كثير من بنى امية ، وبشر كثير من بنى أسد بن عبد العزى وعبد الله بن الزبير بن العوام فى عدة من قومه ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص وبشر ابن ارطأة ، وغير هؤلاء من المهاجرين .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٢ ونلاحظ أن أبى عذارى مبالغ فى قوله .

(٦) د. حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، ص ٨٦ ، القاهرة ١٩٨٥ م .

ثم كانت محاولة معاوية بن حديج الثانية عام (٤١ هـ / ٦٦٠ م) الا أنها أخفقت كما أخفقت المحاولات السابقة[٧] .

وكان على العرب المسلمين ان أرادوا معاودة الكرة واثقين من النصر ، أن يغيروا خطتهم الحربية من أساسها ، حيث أن عدوهم كان يعتمد فى معركة المغرب على ثلاثة عناصر قوية ، أولها أسطول بحرى ضخم بقواعد راسخة فى صقلية وموانىء افريقية ، وسلسلة قوية من الحصون الساحلية القديمة ممتدة من حدود افريقية ، حتى المحيط الأطلسى ، تتعاون جميعا فى صد المعتدين وردهم على أعقابهم ، علاوة على اعتمادهم على القبائل المغربية المقيمة بالسهول الساحلية والتى كانت اعتنقت المسيحية ، وتشربت الثقافة الرومانية[٨] .

وفعلا عاد العرب الى المعركة من جديد عام (٥٠ هـ / ٦٦٩ م) بخطة جديدة لمواجهة تكتيكات العدو وخططه ، وذلك عندما اختار الخليفة معاوية بن أبى سفيان عقبة بن نافع الفهرى[٩] ووجهه الى افريقية ، وأقر معاوية بن حديج على ولاية مصر[١٠] .

---

(٧) يذكر ابن عذارى ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، وابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ أن معاوية بن حديج كانت أول غزواته افريقية ٣٤ هـ وكان معه عبد الملك بن مروان وجماعة من المهاجرين والأنصار ، واتخذ قيروانا عند جبل يقال له القرن ، وحاصر مدينة جلولاء ، وكانت له جولات أخرى فى افريقية ، أعوام ٤٠ هـ ، ٤٥ هـ — ٥٠ هـ .

(٨) د. حسن محمود ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٩) عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهد ، ولد قبل وفاة الرسول (ص) بعام واحد ، وكان من أوائل جند افريقية ، اذ دخل برقه مع عمرو بن العاص عام ٢٣ هـ وظل مرابطا هناك حوالى ربع قرن من الزمان — ابن عذارى ، ص ١٩ .

(١٠) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ ، أن خروج عقبة بن نافع الى افريقية كان عام ٤٦ هـ ومعه بسر بن أبى ارطأة ، وشريك بن شمى المرادى ، فاقبل حتى نزل بمغماس من سرت . فى حين يذكر ابن عذارى ، ص ١٩ ، ان ذلك كان عام ٥٠ هـ .

ولاية عقبـــة بن نافع الأولى :

كان أمام عقبة بن نافع ثلاثة أمور لاحراز النصر فى تلك المعركة الحاســمة .

أولا : تجنب الطريق الساحلى بأية وسيلة ، مع محاولة التقرب من أهل البلاد الأصليين من البدو الذين يكرهون الثقافة الرومانية والحكم البيزنطى ، وبذلك يطوق الثغور الساحلية من أسفل ويتجنب خطر الأسطول البيزنطى .

ثانيا : انشاء قاعدة للغزو الاسلامى لهذه البلاد ، تكون بعيدة عن البحر بالقدر الذى يحميها من خطر الأسطول البيزنطى ، وتكون قريبة من المنطقة التى تقع عند نهاية السهل الساحلى وبداية المناطق الرعوية الواقعة من خلفها ، حيث يمكن أن يتجمع فيها المقاتلة من مصر وغيرها من البلاد الاسلامية ، حيث تحشد فيها المؤن والذخائر وتتخذ قاعدة تسرب الى بلاد المغرب كله(١١) .

وكان إنشاء مدينة القيروان الذى كان من أهم الأحداث فى تاريخ الفتح الاسلامى لهذه البلاد ، فقد كان إنشاؤها معناه ، أن معالم ولاية افريقية أخذت تتضح ، حيث أصبحت مقرا للــولاة والعمال وغيرهم من ذوى السلطان ، وأصبحت مؤذنا ببدء عهد جديد فى تاريخ البلاد حيث تخرج منها جيوش الفتح للغزو ، بجانب خروج الفقهاء والعلماء منها ، لينتشروا فى البـــلاد يعلمون العربيــة وينشرون الاسلام(١٢) ، وافتتحت مدن كثيرة مثل ودان وفزان وخاوار وقفصة

---

(١١) د. حسن محمود ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(١٢) يذكر ابن عذارى ، ص ٢٠ ، وابن عبد الحكم ، ص ١٩٦ ، أن عقبة بن نافع جاء الى موقع القيروان وكان واديا كثير الشجر ، تأوى اليه الوحوش والسباع والهوام ، ثم نادى بأعلى صوته يا أهل الوادى ، ارتحلوا يرحمكم الله ، فانا نازلون ، ونادى بذلك ثلاثة ايام فلم يبق من السباع شىء وقيل أن أهل افريقية ، أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ، لم يجدوا فيها عقربا أو حية ولو التمست بألف دينار ان وجدت .

وقصطيلية[١٣] •

حملة أبو المهاجر دينار (٥٥ هـ — ٦٢ هـ / ٦٧٤ — ٦٨١ م) :

وفى عام ٥٥ هـ عزل معاوية بن أبى سفيان ، معاوية بن حديج عن مصر ، وعزل أيضا عقبة بن نافع عن افريقية ، واستعمل عليهما معا مسلمة بن مخـلد الذى بدوره اختار لافريقية مولاه أبا المهاجر دينار[١٤] الذى قدم افريقية وأساء عزل عقبة ، وكره أن ينزل الموضع الذى أخطته عقبة ، وبنى مدينة جديدة ، وأمر الناس بحرق القيروان ، وتعمير مدينته •

وعاد عقبة بن نافع منصرفا الى دمشق ، آسفا على أبى المهاجر ودعا الله عليه أن يمكنه منه فبلغت أبا المهاجر دعوته ؟ فقال : « هو عبد لا ترد دعوته » ولم يزل خائفا منه ، نادما على ما فعل معه •

وقدم عقبة بن نافع على معاوية ، فقال له : فتحت البلاد ، ودانت لى ، وبنيت المنازل ، واتخذت مسجدا للجماعة وسكنت الناس ، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلى • فاعتذر له معاوية ، وقال له : « قد عرفت مكان مسلمة من عثمان ، وتقديمه إياه ، وقيامه بدمه ، وبذله مهجته ، صابرا حسنا ، طعن أطاعه من قومه ومواليه ، وأنا أردك الى عملك » •

ولاية عقبة بن نافع الثانية (٦٢ — ٦٤ هـ / ٦٨١ — ٦٨٤ م) :

ولما مات معاوية رده يزيد بن معاوية اليها وقال له (أدركها قبل

---

(١٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٩٦ ، ١٩٧

(١٤) يذكر ابن عذارى ص ٢٢ ، وابن عبد الحكم ص ١٩٧ ، أنه قيل لمسلمة ، لو استعملت عقبة واقررته على افريقية ، فان له فضلا وسابقه ، وهو الذى بنى القيروان • فقال مسلمة « ان أبا المهاجر ، كأحدنا ، صبر علينا فى غير ولاية ، ولا كبير نيل ، فنحن نحب أن نكافيه ونصطنعه » •

أن تفسد) فرده واليا على افريقية والمغرب كله ، فكانت ولايتـــه الثانيـــة[١٦] .

رحل عقبة بن نافع من الشام ، وبصحبته خمسة وعشرون رجلا من أصحاب الرسول ﷺ وما أن وصلها عام ٦٢ هـ حتى أوثق أبا المهاجر فى الحديد ، وأمر بتخريب مدينته التى بناها ، ورد الناس الى مدينة القيروان ، وترك عليها بعض الجند ، وعليهم زهير بن قيس البلوى ، ومضى يفتح البلاد[١٧] فكان أصحابها يهربون من طريقه يمينا وشمالا ، واستطاع أن يدخل مدينتى باغايه وقرطاجنة ، وما والاهما وهزمهم ، وأخذ من سبيهم وخيلهم الكثير .

ولـــا اجتمع الروم فى مدينة باغاية حاصرهم عقبة فخرجوا اليه بجمع كبير ، فقاتلهم قتالا شديدا ، واستعد لهم بقوات أكثر عددا ، ورغم استماتة العدو فى القتال ، الا أن عقبة وأصحابه ، دخلوا عليهم الحصن الذى احتموا به ، وألحقوا بهم خسائر جسيمة ، ثم اتجه بعدها بمن معه الى مدينة المستنير ، التى تعد من أعظم مدن الروم ، فانتصر عليهم ، وأصاب منهم غنائم كثيرة ، ثم رحل عنها باتجاه الزاب والتقى بهم على وادى المسيلة .

وكان انتصاره فى تلك المنطقة ، يعنى زوال عز الروم ، بل وملكهم

---

(١٦) ابن عذارى ، ص ٢٣ .
— ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ .

(١٧) قيل ان عقبة عندما هم بترك القيروان غازيا ، ركب فى وجوه العسكر ومن معه من التابعين ودار حول المدينة وهو يدعو لها ، ويقول : يا رب املأها علما وفقها ، واملأها بالمطيعين لك واجعلها عزا لدينك وذلا على من كفر بك ، ثم دعا أولاده ، فقال لهم (انى قد بعت نفسى من الله عز وجل ، وعزمت على من كفر به ، حتى اقتل فيه ، وألحق به ، ولست أدرى ، اترونى بعد يومى هذا أم لا ، الأن أملى الموت فى سبيل الله ، وأوصاهم بما أحب) .
— ابن عذارى ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(١٨) ابن عذارى ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧

فى هذه البلاد ، وختم جولته تلك بهزيمة تجمعات للروم والبربر عند تيهرت ، فولوا أمامه منهزمين ، فأباد فرسانهم ، وفرق جمعهم .

فتـــح المغـــرب الأقصى :

لاشك أن حملة عقبة بن نافع الفهرى فى المغرب الأقصى كادت أن تكون اسطورة فى تاريخ الفتوح الاسلامية ، من حيث سرعة الزحف وعنف الهجوم والآفاق التى وصل اليها ، فقد تجاوز افريقية غربا وتوغل فى المغرب الأوسط ، ثم سار فى اقليم الساحل حتى وصل الى مدينة طنجة الحالية[١٩] ودار حول ساحل المحيط الأطلسى فى اقليم السوس الأدنى ، ثم السوس الأقصى حتى بلـــغ الحدود الجنوبية للمغرب الأقصى ، حتى وصل الى مدية أغمات وريكا التى لها تاريخ مشهود فى العلاقات بين المغرب والسودان الغربى ثم انتهى المطاف الى رأس ايغيران بط (Capcuir) على البحر المحيط[٣٠] .

وتذكر بعض الروايات[٣١] أنه توغل فى غرب افريقية حتى وصل الى بلاد غانه والتكرور وأصبحت بغانه جالية اسلامية ، علاوة على ما بنى بها من المساجد الا أن ذلك ربما يقبل بشىء من التحفظ لأن امكانيات عقبة المحدودة ، كانت لا تمكنه ادراك بلاد السودان ، ومصب السنغال ، ومنحنى النيجر ، وحيث أن ديار السودان كانت

---

(١٩) كانت طنجة دار مملكة ملوك المغرب ، وبينها وبين القيروان حوالى الفى ميل ، وهى مدينة قديمة ليس بالمغرب أقدم منها ، كان اسمها عند الرومان طنجيس Tangus وبها ولد الرحالة العربى ابن بطوطة .

ـــ عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦ القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .

ـــ ابن عذارى ، ص ٢٦ .

(٣٠) قيل أنه قال (يا رب لولا أن البحر منعنى ، لمضيت فى البلاد الى مسلك ذى القرنين مدافعا عن دينك ، مقاتلا من كفر بك) .

ـــ ابن عذارى ، ص ٢٧ .

(٣١) د. حسن محمود ، المرجع السابق ، ص ٩١.

أكثر امتدادا نحو الشمال ، فليس بعيدا أن تكون مملكة غانة الزنجية قد امتدت حتى حدود المغرب الأقصى[٢٢] .

ولكن رغم تلك الانتصارات المتلاحقة ، التى حققها عقبة بن نافع ، فما أن هم بالعودة الى افريقية ، حتى راسل الروم كسيلة بن لمزم الأوربى الذى كان فى عسكر[٢٣] عقبة وزينوا له الغدر به بعد أن تجمعت حوله قبيلة أوريه فى خمسين ألف رجل ، وعند تهوده[٢٤] استشهد عقبة بن نافع وبصحبته أبو المهاجر وهو مكبل بالحديد ، وجمع آخر من المسلمين ، ودانت افريقية والمغرب لكسيلة الذى أقام بالقيروان[٢٥] فى وقت كانت أحوال الخلافة الاسلامية مواتيه بالنسبة له ، حيث انفتحت أبواب فتنة ابن الزبير على مصراعيها ، وقضى مروان بن الحكم خلافته القصيرة فى صراع من أجل اعادة الهدوء الى مصر طريق المغرب ، كما قضى ابنه عبد الملك بن مروان ، السنوات الأولى فى محاولة السيطرة على العراق والمشرق ، مما اضطره لشراء سكوت الامبراطور البيزنطى بالمال .

وهكذا فشلت حملة عقبة بن نافع تلك ، حيث أنها لم تعتمد على أهل البلاد ، أو حتى سعت الى تحببهم فى الاسلام ، أو التقريب بينهم

---

(٢٢) د. حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٦٤ ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٢٣) قيل أن أبو المهاجر ظفر بكسيلة وعرض عليه الاسلام ، وأحسن اليه واستبقاه حيث كان من ملوك البربر ، ولما قدم عقبة وعزل أبو المهاجر ، أحاط عقبة بذلك الا أنه استخف بكسيلة الذى لم يستحكم الاسلام بقلبه ، فأضمر الشر الى أن وافته الفرصة للانقضاض على عقبة .
— ابن عذارى ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٩ ، جون جلوب ، امبراطورية العرب ، تعريب خيرى حماد ، ص ٢٠٩ .

(٢٥) أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر أمرائها ، مؤلف مجهول ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، ص ١٤ ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

وبين العرب الا أن سياسته تلك ، أصبحت دستورا لمن أعقبه من القواد والفاتحين ، لأنها كانت أكثر السياسات ملاءمة لأحوال افريقية ٠

الفتوح فى عهد عبد الملك بن مروان :

ولاية زهير بن قيس البلوى (٦٥ هـ / ٦٨٤ م) :

ما أن بدأت الأحوال تميل الى الاستقرار ، انتهز عبد الملك بن مروان فترة هدوء نسبى عندما طلب منه تخليص افريقية فاستشار فى ذلك فأجتمع الرأى على زهير بن قيس لصحبته عقبه وأعلم الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بطلب دمه ، فصدرت اليه الأوامر وهو ببرقة بالخروج لاسترداد القيروان[٣٦] وأمده الخليفة ، بالخيل والرجال والأموال ، وحشد اليه وجوه العرب ، وقدر لزهير ومن معه استعادة القيروان ، بعد انتصاره على كسيلة وقتله ومن معه من الملوك والفرسان فى وادى ملوية ، وما أن هم زهير بالعودة الى المشرق ، بلغ الروم من افريقية الى برقة ، فلحقوا به ولقى زهير ابن قيس مصرعه وأشراف من كان معه من العرب ، وعادت بقية حشوده الى دمشق فأخبروا الخليفة ما كان من أمر زهير وصحبه فعظم ذلك عليه لفضل زهير ودينه[٣٧] وفى وقت كان الخليفة ما زال يتلمس طريقا ليتخلص من منافسه عبد الله بن الزبير ، بطل وقعة سبيطلة ، وعلى ذلك لم تتمكن الخلافة من استعادة المغرب الا بعد مقتل ابن الزبير عام (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) ٠

ولاية حسان بن النعمان الغسانى (٧٣ — ٨٥ هـ / ٦٩٣ — ٧٠٤ م) :

ما أن انتهت أزمة الخلافة الثانية ، وتخلص عبد الملك بن مروان

---

(٣٦) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، أن عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر كتب الى زهير بن قيس وهو ببرقه يأمره بغزو افريقية ، ويقال ايضا أن حسان بن النعمان هو الذى كان وجه زهير بن قيس ٠

(٣٧) ابن عذارى ، ص ٣٣ ، ٣٤ ٠

من منافسه عبد الله بن الزبير ، لم يجد أحدا أصلح لافريقية كحسان ابن النعمان[٢٨] ، فأمده بجيش كثيف قيل أن عدته حوالى « أربعين ألف رجل » وأقامه مدة فى مصر حتى يجتمع رجاله ، ثم كتب اليه آمرا إياه بالنهوض الى افريقية قائلا له (انى أطلقت يدك فى أموال مصر ، فأعط من معك ، ومن ورد عليك ، واعط الناس ، وأخرج الى بلاد افريقية على بركة الله وعونه) .

وما أن نزل بطرابلس حتى انضم اليه من كان هناك من عرب افريقية وطرابلس ، وبعد أن أتم الاستعداد خرج نحو افريقية وعلى مقدمته محمد بن أبى بكر ، وهلال بن ثروان اللواتى[٢٩] ، ودخل القيروان استعدادا للغزو ولجأ حسان الى خطة عسكرية فريدة وهى محاولة مقابلة الروم والبربر كل على حدة ، فكان له ما أراد ، فدخل قرطاجنة دار ملك افريقية واستولى عليها[٣٠] ، وفر من نجا من أهلها الى صقلية والأندلس فما كان منه إلا أن خرب المدينة ، لعلمه باجتماع النصارى والبربر على المقاومة فلجأ بقية من بها من الروم الى مدينة بجاية فتحصنوا بها ، أما البربر فهربوا الى اقليم بونه وعاد حسان ابن النعمان الى القيروان استعدادا لجولة جديدة ، وهى لقاء الكاهنة[٣١] المتحصنة فى جبال أوراس ، والتى يخضع لسيطرتها الروم

---

(٢٨) حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأزد من سلالة ملوك عرب الشمال القدماء من الغساسنة ، وهو أول قائد من أهل الشام يدخل المغرب ويعهد اليه بولايتها زمن بنى أمية ، فقد كان القواد والولاة قبل ذلك من أهل مصر .
— ابن عذارى ، ص ٣٤ .

(٢٩) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، أنه كان من بينهم أيضا زهير ابن قيس ، حيث يجعل وفاته بعد ولاية حسان بن النعمان .

(٣٠) جون جلوب ، ص ٢١١ .

(٣١) الكاهنة ليس اسم المرأة ، بل هو لقب أطلق عليها ، نظرا لما لها من خبرة بأعمال السحر وما لها من فراسة فى التنبؤ بما يقع من
=

لخوفهم ، والبربر لطاعتهم اياها ، وفى أول مواجهة عسكرية بينهما ، أنهزم حسان بن النعمان ومن معه من المسلمين وأسر ثمانين رجلا من أعيان الصحابة ، وما أن علم الخليفة بذلك ، حتى دعم جيش حسان بالمزيد من الفرسان ، فى وقت كانت الكاهنة قد أصدرت أوامرها بتخريب كافة بلدان افريقية ، اعتقادا منها أن العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ، وهم لا يريدون سوى المزارع والمراعى ودانت البلاد لها عقب ذلك سنوات خمس ، حتى دارت رحى القتال فى جولة جديدة قتلت الكاهنة على أثرها(٣٢) ، وأعطى الأمان لولديها ومن استأمن اليه من البربر الذى اتخذ منهم قادة ومحاربين ، يجولون فى المغرب يقتلون الروم ومن كفر من البربر ، وفى عام (٨٣ هـ / ٧٠٢ م) انصرف حسان بن النعمان عائدا الى القيروان بعد أن استقامت له افريقية ، وبعد أن صالح أهلها على الخراج(٣٣) .

وظل حسان بن النعمان على افريقية دون منازع حتى عزل على يد عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وعاد أدراجه الى الشام فى خلافة الوليد بن عبد الملك الذى أراد رده الى افريقية من جديد الا أنه أبى ذلك(٣٤) .

=

الأحداث ، وهذا ما كان يعرف به الكهان قديما واسمها « دهيا بن ماتيه بن تيفان ملكة جبل أوراس » .

— ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ ، بيروت ١٩٥٨ م .

(٣٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١

(٣٣) جون جلوب ، ص ٢١٤

(٣٤) ابن الأثير ، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠ ، بيروت ١٩٦٥ م / ١٣٨٥ هـ .

محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

— يذكر ابن عذارى ، ص ٣٨ ، أن الذى عزله عبد العزيز بن مروان

=

ولما كانت السياسة العسكرية فى هـذا الوقت وثيقة الصـلة بالسياسة الدينية ، حيث كان الفتح هـدفه الأول نشر الاسـلام والتعريب ، فنرى أن الفضل يرجع الى حسان بن النعمان حيث أنه كان أول من أدخـل البربر بشكل جدى ومنظم فى الجيش العـربى الأفريقى ، جنبا الى جنب مع العرب بل أن من هؤلاء من كان على رأس القوات البربرية التى كانت تخدم معه خاصة أبناء الكاهنة التى سبق وأن أعطاهم الأمان .

ولما كانت الخدمة فى الجيش الاسلامى تعنى دخولهم الاسلام ، فقد عهد حسان بتعليمهم القرآن ، وأصول الاسلام « لثلاث عشر » فقيها من جلة التابعين من أصحابه ، وبطبيعة الحال كان تعليم القرآن الكريم لهؤلاء البربر وغيرهم يعنى تعليم اللغة العربية ونشر التقاليد والعادات العربية بينهم ، وبذلك سار التعريب جنبا الى جنب مع الاسلام منذ بداية الشوط[٣٥] .

وهكذا كانت السياسة الحكيمة التى وضع أساسها حسان بن النعمان قد أثمرت فى افريقية ومهدت الطريق لموسى بن نصير ، الذى جاء الى المغرب الأقصى يريد أن يترسم خطة عقبة بن نافع مع تطبيقه لمبادىء حسان بن النعمان فكتب له التوفيق فى مهمته تلك .

=

الوالى على مصر ورحل الى دمشق حتى قدم على الخليفة الوليد بن عبد الملك فشكا ما صنع به عبد العزيز ، فغضب الوليد على عمه وأراد رد حسان الى عمله الا أنه أبى ذلك .

(٣٥) د. سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ص ٢٦١ ، الاسكندرية ١٩٦٧ م .

ولاية موسى بن نصـــير (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) :

ولى موسى بن نصير[٣٦] افريقية من قبل الوليد بن عبد الملك[٣٧] ، حتى يعاود الفتح مرة أخرى ، وما أن وصل موسى اليها وتسلم مقاليد الأمور ، حتى بدأ يرنوا الى تحقيق ما سبق أن عجز عنه سابقيه ، وقيل أنه استبشر خيرا عند وصوله افريقية ، على رأس جيشه حيث أن عصفورا أتى حتى نزل على صدره ، فأخذ به وذبحه ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ، ونتف ريشه وطرحه على نفسه وقال : « هو الفتح ورب الكعبة »[٣٨] .

بدأ موسى نشاطه العسكرى ، حيث سير خمسمائة فارس الى قلعة « زغوان » وضواحيها (على مسيرة يوم من القيروان) وبها العديد من القبائل البربرية ، فتم فتحها ، وبلغ سبييهم « عشرة آلاف » وهو أول سبى دخل القيروان فى ولايته ، ثم وجه أبنيه عبد الله ومروان ، الى بعض النواحى التى ما زالت بها جيوب للمقاومة ، فأتوا بمائتى ألف رأس من السبى ، فكان الخمس يومئـــذ ستين ألفا[٣٩] ، ثم توالت انتصاراته ففتح شجومه وقتل ملوكها ، وأقر أبناء عقبة بن نافـــع

---

(٣٦) قيل أنه من لخم ، وقيل من بكر بن وائل ، وذكر ابن تشكوال فى كتاب « الصلة » أنه موسى ابن نصير بن زيد ، وكان أشهر ما قيل فيه أنه كان مولى لعبد العزيز بن مروان ، ونشأ فى وادى القرى بالحجاز ، وخدم بنى مروان بدمشق ، وكان على خراج البصرة من قبل عبد الملك ابن مروان .

— ابن عذارى ، ص ٣٩ ، ويذكر صاحب اخبار مجموعة ان اصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد فى عين التمر ، فادعوا أنهم رهن وأنهم من بكر بن وائل .

(٣٧) رغم اختلاف الروايات حول ولاية موسى بن نصير فاننا نفضل رواية ابن عذارى ، ص ٤١ أن ولايته كانت سنة ٨٦ هـ .

(٣٨) ابن قتيبة ، أبو عبد الله محمد بن مسلم ، الامامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٥٤ ، ٥٥ القاهرة ١٣٢٨ هـ .

(٣٩) ابن عذارى ، ص ٤٠

عياضا وعثمان وأبا عبيدة ، أن يأخذوا حقهم من قاتل أبيهم ، فقيل أنهم قتلوا من أهلها ستمائة رجل من كبارهم ، ثم أمرهم بالكف بعد ذلك ، ثم أغار على هوارة وزناته وكتامه وانتصر عليهم ، وبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس(٤٠) .

وهكذا استمر موسى فى اخضاع البربر التى خرجت عن طاعته وفضلت الاستماتة فى القتال ، فتقهقروا الى الغرب ، وهو يتابعهم بالقتال ، فاتحا مدائنهم وبلدانهم ، فتجاوزوا افريقية والمغرب الأوسط حتى بلغ طنجة وهى قصبة بلادهم وأهم قراهم ، والتى كانت فى ذلك الوقت تخضع للأمير الرومى « يليان » جوليان منذ أيام عقبة بن نافع ، ونجح موسى فى انتزاعها لأول مرة ، وكان بالمدينة بطون من البتر والبرانس ، لم تكن قد دخلت الطاعة بعد(٤١) واستعمل عليها وما ولاها مولاه طارق بن زياد(٤٢) فى سبعة عشر ألفا من العرب ، واثنى عشر ألفا من البربر الذين أقبلوا على الرباط على ساحلها ، بحماس لا نظير له(٤٣) استعدادا للقيام بأعظم عملية عسكرية فى المغرب وهى فتح الأندلس(٤٤) .

---

(٤٠) ابن قتيبة ، ج ٢ ، ص ٥٤ ، ٥٥

— ابن عذارى ، ص ٤١ ، محمد عبد الله عنان ، ص ٢٣ .

(٤١) أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٣ ، جون جلوب ، ص ٢١٤ .

(٤٢) طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نيرغاسن ابن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو ، فهو تفزى ، وقيل أنه من سبى البربر ، وكان مولى موسى بن نصير .

— ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٤٣) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٤ ، وعبد الواحد المراكشى ، ص ٩ ، أن موسى وضع على ساحل طنجة حامية للرباط تتكون من ألف وسبعمائة ، رجل تحت قيادة ابنه مروان ، الا أن ظروف الرباط لم تلائم مروان فانصرف تاركا القيادة من بعده لطارق بن زياد .

(٤٤) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

وهكذا دان المغرب الأقصى ، وتم فتحه الا اقليم سبته[٤٥] الذى بقى فى يد « يليان » حيث كانت السفن تأتيهم من الأندلس بالمؤنة والعتاد ، علاوة على صلابة حاميتها التى دافعت عنها ، وعن أعراض نسائها دفاعا مستميتا وبقيت الحصن الوحيد للروم فى افريقية[٤٦] .

عاد موسى بن نصير الى القيروان تاركا ابن زياد عليها ، وكتب بذلك الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وفى طريق عودته فتح مدينة مجانة على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان وترك عليها بشر بن فلان ، ففتح قلعتها ، التى كان أهالى المدينة قد تحصنوا بها فسميت قلعة بشر[٤٧] .

وهكذا وضحت علاقة المؤاخاة والتحالف بين العرب والبربر على يد موسى بن نصير ، والتى كانت امتدادا لتحالف كسيلة مع أبى المهاجر دينار ، واستخدام أبناء الكاهنة فى قيادة بعض فرق جيش حسان بن النعمان ، الا أن موسى لم يكن قائدا فحسب ، انما كان مصلحا سياسيا فى نفس الوقت ، حيث قرب هؤلاء البربر اليه ، وحببهم فى الحكومة الجديدة ، وولاهم الأعمال وأشركهم مع العرب فى ادارة دفة البلاد ، فوجدوا أن انضمامهم للعرب ومحالفتهم يتيح لهم مكاسب مادية كثيرة ، فبدأوا يقبلون على الاسلام اقبالا عظيما .

وموسى لم يكن يحب أن يكون اسلام البربر خوفا أو رهبة ، بل عن حب واقتناع ، فأخذ يعلمهم الدين ، وينشىء المساجد فى البلاد التى فتحها ، مثل مسجد أغمات هيلانه فى أقصى بلاد المغرب وتحويل

---

(٤٥) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ، ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٣٩١ ، أنه كانت تحت تصرف « يليان » أيضا الجزيرة الخضراء على الساحل الأندلسى .

(٤٦) أخبار مجموعة ، ص ١٥

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ .

دور العباده التى بناها المشركون الى القبلة ، وجعلوا المنابر فى مساجد الجماعات[٤٨] .

وبدأت الثقافة الاسلامية تنبت فى هذه البيئة الجديدة[٤٩] ، وقدر لموسى بن نصير ، وطارق بن زياد فتح بلاد الأندلس ، حيث العلاقة الوثيقة بين المغرب والأندلس ، وما أن يتم لهم ذلك حتى وافاهم رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك (٩٥ هـ / ١٨٤ م) يأمرهم بالخروج من الأندلس والقفول اليه ، ليعرف ما تم على يديهم من فتوح ، بل ليكون هناك حساب للأموال والذخائر الناتجة عن هذا الفتح .

وما أن عبر موسى البحر الى سبته استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك[٥٠] واستخلف على افريقية وعلى أعمالها ابنه الكبير عبد الله وعلى الأندلس ابنه عبد العزيز[٥١] ، وسار فى طريقه الى الشام ، حاملا ما غنم من الأندلس ، ويبدو أن موسى بن نصير قد تعرض لسخط الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك ، وتختلف الروايات عن سبب ذلك السخط[٥٢] ، ويبدو أن طارق بن زياد قد لاقى نفس المصير .

---

(٤٨) ابن عذارى ، ص ٤٣

(٤٩) د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ١٤ ، ٦٤ ، الاسلام والثقافة العربية ، ص ٩٢

(٥٠) عبد الواحد المراكشى ، ص ١٢

— ابن عذارى ، ص ٤٥ ، ٤٦

— محمد عبد الله عنان ، ص ٥٦

(٥١) ابن القوطية ، أبى بكر محمد بن عمر ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٦ ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، بيروت ، د.ت .

(٥٢) اختلفت الآراء حول الوقت الذى وصل فيه موسى بن نصير ، وطارق الى الشام ، فيذكر صاحب أخبار مجموعة ، ص ٢٧ ، أنهم وصلوا وقد مات الوليد ، ويؤكد ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٣ ، ذلك الا انه ذكر أيضا « قيل أنه قدم الشام والوليد حى ، وكان موسى قد كتب اليه بالفتح

=

ولاية محمد بن يزيد القرشى (٩٦ — ٩٨ هـ / ٧١٥ — ٧١٧ م) :

اختار الخليفة سليمان بن عبد الملك لولاية افريقية ، محمد بن يزيد القرشى[٥٣] ، بعد أن أشار عليه رجاء بن حيوة بذلك وكان اختياره عام ٩٦ هـ / ٧١٥ م وأوصاه الخليفة بتقوى الله ، وحده لا شريك له ، والقيام بالحق والعدل فيما ولاه ، ويبدو أن الوالى الجديد كان محملا أيضا بأوامر الخليفة[٥٤] ، باستئصال آل موسى حتى يؤدوا ثلاثمائة ألف دينار ، مقدار ما فرض عليهم من الغرم ، وكذلك الأخذ بعبد الله ابن موسى بن نصير ، ونفذ ابن يزيد الأمر ، وزج به فى السجن وعذبه ، ثم انتهى مصيره بالقتل على يد خالد بن أبى حبيب القرشى[٥٥] .

وما أن علم أخيه عبد العزيز بن موسى بذلك ، وهو يومئذ على الأندلس ، وهى إذ ذاك الى والى افريقية ، حتى خلع دعوة بن مروان واستبد بأمره ، وأظهر نوعا من الاستقلال ، وحق له ذلك بعدما أحل بأبيه وأخيه ، الا أنه لم ينجو هو الآخر من مؤامرة حيكت له ، وكان مصيره القتل ، وحملت رأسه الى الخليفة الذى وضعها بين يدى أبيه

=

وأمر المائدة ، ولما حضر عرض عليه ما معه ، وعرض المائدة الا أن طارق قال : أنا غنمتها فكذبه موسى ، فطلب طارق من الخليفة الوليد أن يسأله عن رجلها المفقودة ، فسأله الخليفة فلم يجبه ، فأظهرها طارق وذكر أنه احتفظ بها لهذا السبب ، فعلم الوليد صدق طارق ، أما ابن عذارى ص ٤٥ فيذكر أنهم وصلوا قبل وفاة الوليد بثلاثة أيام ، ودفعوا ما معهم الى الوليـــد .

(٥٣) يذكر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٧ أنه مولى لقريش ، أما صاحب أخبار مجموعة ، ص ٢٩ فيقول ولى على افريقية عبد الله بن يزيد لقريش ، لا أدرى لمن من قريش ، ويبدو أن المقصود من ذلك هو كنيته « أبو عبد الله » كما هى العادة بالنسبة لمن اسمه محمد ، أما الطبرى ، ج ٦ ، ص ١٦٧ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، فيقول : محمد بن يزيد مولى الأنصار .

(٥٤) ابن عذارى ، ص ٤٧ ، ابن عبد الحكيم ، ص ٢١٣ .

(٥٥) ابن عذارى ، ص ٤٧ .

موسى « الذى قال هنيئا له بالشهادة فقد قتلتموه والله كان صـواما قواما[٥٦] .

واستعمل محمد بن يزيد بديلا له على الأندلس « الحـر بن عبد الرحمن الثقفى »[٥٧] وطلب منه النظر فى شأن قتل عبد العزيز ابن موسى ، فى وقت قام ابن يزيد ببعث السرايا الى ثغور افريقية ، فما أصابه قسمه عليهم ، التزاما بتطبيق قانون المغانم ، واستمرت ولايته على افريقية حتى وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك عام ٩٩ هـ / ٧١٧ م فكانت سنتين وأشهرا[٥٨] .

ولاية اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر (١٠٠ ــ ١٠٢ هـ / ٧١٨ ــ ٧٢٠ م) :

وما أن تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز الخلافة ، حتى سارع الى عزل محمد بن يزيد القرشى واستعمل بدلا منه اسـماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم ، وولاية حفيد أبى المهاجر

---

(٥٦) يذكر ابن عذارى ، ص ٤٧ ، أن الخليفة سليمان بن عبد الملك ، ارسل الى حبيب بن أبى عبده ، ووجوه العرب يأمرهم بقتله ، فقتلوه وأرسل راسه ورأس أخيه عبد الله الى الخليفة الذى وضعها بين يدى أبيهما موسى ، فى حين يذكر صاحب أخبار مجموعة ص ٢٨ ، وابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٢٢ ، أنه تزوج امرأة الملك لذريق ، وأطاعها فى لبس التاج وهو للنصارى ، فثار الجنود عليه وقتلوه واشترك فى قتله زياد بن النابغة التميمى ، حبيب بن أبى عبيدة ، أحد حفدة عقبة بن نافع ، فدخلوا عليه وهو فى المحراب يصلى فضربوه بالسيوف ، ويضيف صاحب أخبار مجموعة ، ص ٢٩ ، أن الخليفة عندما بلغه ما حل بعبد العزيز بن موسى شق ذلك عليه ، فأمر والى افريقية عبد الله بن يزيد أن يتشدد فى ذلك ، وأن يرسل القتلة اليه ومن اشترك معهم من وجوه الناس .

(٥٧) يذكر ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٢٣ ، أن الذى عينه هو الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فى حين يذكر . ابن عذارى ، ص ٤٧ ، وصاحب أخبار مجموعة ص ٢٩ ، أن الذى عينه هو والى افريقية محمد بن يزيد .

(٥٨) ابن عذارى ص ٤٧ .

هذه تبين أن الفاتحين الأوائل كونوا أسرا قوية فى المغرب وكذلك فى مصر ، وجميع اليه الخليفة الحرب والخراج والصداقات[٥٩] ، وكانت العادة أن يفصل بين أمور السياسة والادارة ، وشئون المال ، فيكون لكل عالمها الخاص ، والتفرقة هنا بين الأموال وتقسيمها الى خراج وصدقات ، تعنى اهتمام عمر بن عبد العزيز بالناحية المالية .

كان اختيار الوالى الجديد لاعجاب الخليفـــة به قبل أن يتولى الخلافة ، لما عرف عنه من التقوى التى تبعث على الشجاعة فى تقرير الصدق وقول الحق عند مواجهة أولى الأمر[٦٠] .

وحسنت سيرة اسماعيل بن عبد الله ، فكان خير أمير وخير وال ، فعلم أهل افريقية الحلال والحرام ، وساعده على ذلك من أرسلهم الخليفة بصحبته من أهل العلم والفضل ، وكانت الخمر بافريقية حلالا حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها[٦١] .

---

(٥٩) أخبار مجموعة ، ص ٢٩ . ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ .
— ابن القوطية ، ص ٣٨ .

(٦٠) كان العادة عند ورود جبايات الأمصار والآفاق الى دمشق ، يأتيهم مع كل جباية بلد ، عشرة رجال من وجوه الناس والقادة ، وكان على هؤلاء أن يقسموا بأن كل دينار ودرهم من تلك الجباية ، أخذ بحقه ، وأنه فضل أعطيات أهل البلاد من المقاتلة والذرية ، بعد أن اخذ كل ذى حق حقه ، وأتى وفد افريقية بخراجها فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وحلف ثمانية بصحة تلك الأموال ، وامتنع اسماعيل بن عبد الله ، والسمح ابن مالك الخولانى ، فأعجب ذلك عمر بن عبد العزيز ، ووجد منهما صلاحا وفضلا ، فلما تولى الخلافة ولى اسماعيل افريقية ، والسمح بن مالك الأندلس .

— أخبار مجموعة ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

— ويجعل ابن عذارى ، ص ٤٨ ، ولاية السمح بن مالك من قبل اسماعيل بن أبى المهاجر .

(٦١) منهم عبد الرحمن بن نافع ، سعد بن مسعود التجيبى وغيرهما .
— ابن عذارى ، ص ٤٨ .

وطبقت سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز المالية التى هدفت الى وضع الأمور فى نصابها من تمييز أرض الصلح عن أرض العنوة ، وإقرار القرى فى أيدى غنامها ، بعد أخذ الخمس ، وترتب على ذلك تخفيف الأعباء المالية على المسلمين من أهل البلاد ، فاحتفظوا بأرضهم ولم يدفعوا عنها سوى الخــراج ، الى جانب الزكاة التى عرفت بالصدقة ، كما أنه لمبدأ المساواة بين المسلمين ، ألغى ما كان متبعا زمن عقبة بن نافع من بيع البنات فى الجزية ، ونفذ ما صدر اليه من أوامر الخليفة ، بأن من كانت عنده لواتية فليخطبها الى أبيها ، أو فليردها الى أهلها[٦٢] .

ولاية يزيد بن أبى مسلم (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) :

توفى الخليفة عمر بن عبد العزيز عام (١٠١ هـ / ٧١٩ م) بدير سمعان ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، وولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك ، فولى على افريقية يزيد بن أبى مسلم ، مولى الحجاج بن يوسف وصاحب شرطته ، فوصلها فى بداية العام التالى[٦٣] وبتوليه انتهى عصر الاصلاح ، وعادت الأمور الى سيرتها الأولى ، من الاستبداد بأهل الأمصار ، بل أن سياسة الحجاج العنيفة طبقت على الصعيدين الخارجى والداخلى ، فعلى الصعيد الخارجى سير حملة بقيادة محمد بن أوس الانصارى الى صقلية ، وعادت تلك الحملة محملة بالغنائم[٦٤] ، وعلى الصعيد الداخلى نراه قد وضع الجزية على

---

(٦٢) رغم أن صاحب أخبار مجموعة ص ٣٠ يذكر ان هذه التعليمات صدرت من الخليفة الى السمح ابن مالك والى الاندلس ، الا اننا لا نستبعد أن يكون ذلك ينطبق على افريقية خاصة وان والى الأندلس غالبا ما يعين من قبل والى افريقية كما ذكر ابن عذارى ص ٤٨ من تولية السمح بن مالك الخولانى على الأندلس من قبل اسماعيل بن عبد الله .

(٦٣) يذكر صاحب أخبار مجموعة ص ٣١ ، أن يزيد بن عبد الملك بدأ خلافته بتولية بشر بن صفوان اخا حنظلة بن صفوان « افريقية » فقام بشر بعزل السمح بن مالك وولى عنبسه بن سحيم الكلبى على الأندلس .

(٦٤) ابن عذارى ، ص ٤٩ .

من أسلم[٦٥] ، ومن جهة أخرى أخذ يتتبع أموال الولاة السابقين ، وبدأ بموالى موسى بن نصير من البربر فجعلهم أخماسا ، وأحصى أموالهم وأولادهم ، ثم جعلهم حرسه الخاص[٦٦] وقيل أنه قام على المنبر خطيبا فقال « انى رأيت أن أرسم اسم حرسى فى أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم فى يمين الرجل اسمه ، وفى يساره « حرسى » ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فاذا وقفوا على أحد ، أسرع لما أمرت به » فلما سمعوا ذلك منه اتفقوا على قتله ، وقالوا « جعلنا بمنزلة النصارى »[٦٧] ثم نراه قد ألقى القبض على الوالى الأسبق محمد بن يزيد القرشى ، حتى قيل أنه تعرض للتعذيب والجلد والعطش ، وحبس فى سجن ضيق أشبه ما يكون بما يسـمى الآن بالحبس الانفرادى[٦٨] ، ولما كانت النية مبيتة لاغتيال الوالى فما أن خرج من داره الى المسجد لصلاة المغرب ، هاجمه رجال حرسه وقتلوه ، وتراضوا على المغيرة بن أبى برده القرشى حليف بنى عبد الـدار ، الا أنه تمنع عن ذلك تلبية لرغبة ابنه ، حتى لا يتهم بالاشتراك فى مقتل الوالى ، وأخيرا تم الاتفاق على قائد الأسطول محمد بن أوس الأنصارى[٦٩] وكتب ابن أوس الى الخليفة يخبره بما حدث ، فما كان

---

(٦٥) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٦١٧ .

(٦٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ .

(٦٧) ابن عذارى ، ص ٤٨ .

(٦٨) سعد زغلول عبد الحميد ، ص ٢٦٧ .

(٦٩) يذكر الطبرى ، ج ٦ ، ص ٦١٧ ، أنه أرسل الى الخليفة كتابا قيل فيه (انا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن مسلم ، سامنا مالا يرضى الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك) فكتب اليهم الخليفة يزيد ، انى لم أرض ما صنع يزيد بن مسلم ، وأقر محمد بن يزيد مولى الأنصار على افريقية ، ويؤيده فى ذلك ابن الأثير فى أحداث عام ١٠٢ هـ — ٧٢٠ م .

— الطبرى : محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

من الخليفة الا أن تقبل الأمر الواقع فعفا عن قتلة الوالى ولم ينتقم منهم[٧٠] .

ولاية بشر بن صفوان (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) :

رأى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، أنه من الأصلح اختيار شخص عريق النسب ، فوقع اختياره ، على بشر بن صفوان الكلبى[٧١] ، الذى ما أن وصل الى مقر عمله تاركا أخاه حنظلة بن صفوان على مصر ، حتى تتبع المتهمين فى مقتل يزيد بن أبى مسلم ، ولا ندرى هل قام بذلك طواعية ، أم كان محملا بأوامر الخليفة ، الا أننا نراه قد أخذ من بين هؤلاء ، ابنا من أبناء موسى بن نصير ، اختلف المؤرخون فى تحديد اسمه ، وان كنا نعتقد أنه عبد الملك بن موسى الذى قد ولاه على طنجه ، عند رحيله الى الشام مستدعيا من قبل الخليفة الوليد ابن عبد الملك .

ويبدو أن بشر بن صفوان خرج عام (١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) قادما الى دمشق ، يحمل الهدايا الى الخليفة ، ولكى يعرفه بأحوال البلاد ، إلا أن قدومه صادف وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك عام (١٠٥ هـ / ٧٢٤ م)[٧٢] ، فقدم ما معه للخليفة الجديد هشام بن

---

(٧٠) يذكر ابن عذارى ، ص ٤٩ أن محمد بن أوس الأنصارى ، كان غازيا بصقلية ، فلم يلبس الا يسيرا ، حتى قدم بغنائم قد أصابها فقلدوه افريقية .

(٧١) هو بشر بن صفوان ، بن نوفل بن بشر بن حنظلة بن علقمه ابن شرحبيل بن عزيز بن خالد الكلبى وكانت وفاته بالقيروان .

— ابن عذارى ص ٤٩ .

— الزركلى ، خير الدين الزركلى ، الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، بيروت ١٩٥٣ م .

(٧٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٥ .

— ابن عذارى ، ص ٤٩ .

عبد الملك الذى بدوره أعاده الى افريقيــة ، فلما قدمها ، ولى على الأندلس عنبسه بن سحيم الكلبى(٧٣) .

الحمــلات البحــرية :

من الواضح أن البحرية الناشئة فى تونس قد غدت قوة كبيرة لا يستهان بها مع بداية القرن الثانى الهجرى ، خاصة أن قائد تلك البحرية ، وصاحب النصر فى صقلية محمد بن أوس ، قد رشح لمنصب ولاية افريقية والمغرب عقب اغتيال يزيد بن أبى مسلم عام (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) ، فقد كان ذلك إيذانا باستمرار شن الحملات البحرية ، على جزر سردانيا ، وكورسيكا ، بل وغزو قبرص فطوال ولاية بشر ابن صفوان حتى وفاته عام (١٠٩ هـ / ٧٢٧ م) توالت الحملات البحرية على تلك الجهات ، بقيادة يزيد بن مسروق اليحصبى وعمرو ابن فاتك الكلبى ، وحسان بن محمد بن أبى بكر مولى بنى جمح ، وقد عادت تلك الحملات محملة بالغنائم(٧٤) .

وكانت أهم تلك الحملات التى قادها بشر بن صفوان بنفسه الى صقلية عام ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م وذلك بعد أن علم باستشهاد عنبسه بن سحيم الكلبى ، فسار بنفسه فى البحر بعد أن استخلف على القيروان

---

(٧٣) يذكر صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣١ ، أن عنبسه ولى فى عهد يزيد بن عبد الملك ، وأنه بعد عنبسة تتابعت ولاة الأندلس ، فوليها يحيى بن مسلمة الكلبى ، عثمان بن أبى سعيد الخثعمى ، حذيفة بن الأحوص القيسى ، الهيثم بن عفير الكنانى ، عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الذى استشهد فى بلاد الشهداء عام ١١٥ هـ وأن هؤلاء ولاهم بشر بن صفوان ، بدون أمر الخليفة استجابة لأهل الأندلس ويذكر ابن عذارى ص ٥ خلاف ذلك حيث يقول أن عبيدة ابن عبد الرحمن السلمى والى افريقية والمغرب ، أخذ عمال بشر وأصحابه فحبسهم وأغرمهم وعين حذيفة بن الاحوص القيسى عام ١١١ هـ وفى عام ١١٢ هـ عين الهيثم بن عبيد الكنانى .

(٧٤) د. سعد زغلول ، ص ٢٧٢ .

— جون جلوب ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

العباس بن باضعه الكلبى ، وعاد بشر الى القيروان محملا بسبى كثير[٧٥] الا أنه توفى بها وفى مرضه ترك أمر القيروان لنائبه نغاش بن قرط الكلبى[٧٦] حتى وصل وال من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك .

ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمى (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) :

وما أن وصل نبأ وفاة بشر بن صفوان الى دمشق أوائل عام (١١٠ هـ / ٧٢٨ هـ) حتى سارع الخليفة هشام بن عبد الملك بولاية افريقية والمغرب الى عبيدة بن عبد الرحمن السلمى[٧٧] فقدمها فى نفس العام ، فكان وصوله الى القيروان مفاجأة لنائب بشر بن صفوان الذى كان قد تهيأ لشهود الجمعة ولبس ثيابه ، فما أن علم بوصوله قال « لا حول ولا قوة إلا بالله ، هكذا تقوم الساعة بغتة ، وألقى بنفسه فما حملته رجلاه[٧٨] .

ويبدو أن سياسة الوالى الجديد لم تختلف عن سياسة سلفه بشر بن صفوان ، التى اتصفت بالشدة على الصعيد الداخلى واستمرار النشاط البحرى ضد الروم على الصعيد الخارجى .

فنراه بدأ فى أخذ عمال بشر وأصحابه فحبسهم وأغرمهم ، وعذب بعضهم[٧٩] ، كما نراه لم يتردد أيضا فى انزال العقاب الصارم ، بقائد الأسطول المستنير ابن الحبحاب الخرشى ، الذى قيل أنه أخطأ تقدير

---

(٧٥) ابن عذارى ، ص ٤٩ .

(٧٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ ، ويذكره ابن عذارى ، ص ٤٩ ، العباس بن باضعه الكلبى .

(٧٧) هو ابن أخى أبى الأعور السلمى ، صاحب خيل معاوية بصفين .
— ابن عذارى ، ص ٥٠ .
— يذكره ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ ، « عبيدة بن عبد الرحمن القيسى » .

(٧٨) ابن عذارى ، ص ٥٠ .

(٧٩) نفس المصدر والصفحة .

الوقت المناسب لعودته من حملة قام بها على صقلية عام (١١١ هـ / ٧٢٩ م) حتى هجم عليه الشتاء ، وثارت الأنواء بمراكبه فحطمتها ، فأمر بشد وثاقه وجلده ، وحبسه ، بل والتشهير به فى كل جمعة(٨٠) .

وزادت شدة وقسوة عبيدة بن عبد الرحمن ، فنراه أيضا قد أساء الى أحد زعماء اليمانية ، من عمال بشر بن صفوان السابقين وهو « أبو الخطار الحسام » بن ضرار الكلبى ، الذى كان أحد الرجال البارزين ، أيام بشر بن صفوان حيث تولى ولايات كثيرة ، الى جانب أنه شريفا فى قومه مع فصاحة ولياقة ، بجانب كونه شاعرا ، فلما عزل ونكل به ، ندد بموقف خلفاء بنى أمية من عصبيته الكلبية فقال :

أفأتم بنى مروان قيسا دماءنا
وفى الله ان كم تنصفوا حكم وعدل

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط
ولم تعلموا من كان تم له الفضل

فعاميتم عنا بعين حلية
وأنتم كذا ما قد علمنا لنا فعل

وبعث بهذه الأبيات الى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فأمر بعزل عبيدة بن عبد الرحمن من افريقية والمغرب ، واستخلف عقبة بن قدامة ، وذلك فى شوال عام (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) ، فكانت ولاية عبيدة بافريقية أربع سنين وستة أشهر وتوجه الى الشام بهدايا وتحف عظيمة وبقى

---

(٨٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ .

(٨١) يذكر ابن عذارى فى هامش ص ٥١ ، أبياتا تغير بعض ألفاظها مثل :

تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم   صديقا وأنتم ما رعيتم لنا فعل

خليفته على القيروان ستة أشهر(٨٢) الا أننا نستبعد أن تكون قصيدة أبى الخطار تلك التى بعث بها الى الخليفة كان لها علاقة بذلك الحدث • لأن الخليفة هشام بن عبد الملك لم يعف عقبة التجيبى نائب عبيدة الا بعد فترة مما يدل على أن عبيدة هو الذى طلب اعفاءه من منصبه •

ولاية عبد الله بن الحبحاب (١١٦ هـ / ٧٣٤ م) :

استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك والى مصر عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث(٨٣) على افريقية والأندلس ، وأمره بالسير اليها فوصلها عام ١١٦ / ٧٣٤ م ، واستخلف على خراج مصر ابنه القاسم واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى(٨٤) أما طنجة وما والاها من المغرب الأقصى فعين عليها ابنه اسماعيل ، ثم عمر المرادى(٨٥) •

وما أن وصل الى افريقية حتى انتهج كغيره من كبار القادة والولاة سياسة راشدة وقوية استهدف منها تأكيد هيبة العرب وسلطانهم وذلك باخضاع الأقاليم والقبائل بكافة المغرب اخضاعها نهائيا ، علاوة على حمل لواء الجهاد البحرى ، بشكل أكثر ترتيبا وتنظيما ، حتى

---

(٨٢) ابن عذارى ، ص ٥١ ، فى حين يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ ، أن عبيدة بن عبد الرحمن خرج الى الخليفة هشام بن عبد الملك محملا بالهدايا ، التى اشتملت على العبيد والاماء والجوار المتميزة سبعمائة جارية ، والخصيان والدواب والذهب والفضة والآنية ويذكر صاحب أخبار مجموعة ص ٣٢ ، أنه أقر بشر بن صفوان على افريقية وهذا مغاير للحقيقة .

(٨٣) مولى بنى سلول وكان رئيسا نبيلا واميرا جليلا ، بارعا فى الفصاحة والخطابة حافظا لأيام العرب ، وأشعارها ووقائعها ، وقيل انه كان واليا على خراج مصر بجانب الوليد بن رفاعه على الصلاة .
— ابن عذارى ، ص ٥١ .

(٨٤) يذكر ابن الأثير جـ ٥ ، ص ١٩ ، أنه ولى عام (١١٧ هـ — ٧٣٥ م) ويذكر ابن عبد الحكم ص ٢١٧ أنه عين بدلا من عبد الملك بن قطن .

(٨٥) ابن عذارى ، ص ٥١ ، ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩٠

تتحقق فى النهاية من جراء تلك الأفعال ، استقرار الأمور التى تؤدى الى تدفق الأموال اللازمة لسد مطالب واحتياجات الخلافة .

ففى مجال النشاط البدرى بدأ بالعناية بالبحرية الافريقية ، فنراه أخرج المستنير بن الحبحاب قائد الحملة السابقة على صقلية ، والتى لم تحقق أهدافها من حبس الوالى السابق وعهد اليه بولاية مدينة تونس[٨٦] بصفتها قاعدة للأسطول المكلف بالحملات البحرية فيما وراء البحار ، وبادر فى العام الأول من ولايته (١١٦ هـ / ٧٣٤ م) بتسيير أول صوائفه البحرية الى صقلية بقيادة عثمان بن أبى عبيدة ابن عقبة بن نافع ، ونجحت تلك الحملة ، وحققت نجاحا ملحوظا الا أنه فى طريق العودة ، أصاب البيزنطيون من المسلمين ، وأسروا بعضا من الأعيان ، أما العام التالى ١١٧ هـ / ٧٣٥ م ، فكانت الحملة وجهتها سردانية بقيادة حبيب بن أبى عبيدة الذى نجح فى مفاجأة بعض قرى الجزيرة وأنزل بأهلها هزيمة منكرة واستولى على العديد من الغنائم[٨٧] وفى عام (١١٨ هـ / ٧٣٧ م) سيرت حملة بحرية ثانية نحو صقلية وكانت بقيادة قثم بن عوانه الكلبى الذى نزل على مدينة « أوليه » ويظهر أن تلك الحملة باءت بالفشل[٨٨] ، ويبدو أن سوء الحظ قد لازم أيضا الحملة التى أغارت على سردانيا فى العام التالى (١١٩ هـ / ٧٣٨ م) والتى كانت بقيادة قثم بن عوانه ، فرغم ما حققته الحملة من نصر ، الا أنه قدر له الغرق أثناء العودة فى ظروف غامضة ، اما بسبب الأحوال الجوية ، أو تعرض الاسطول البيزنطى له فى طريق العودة وبعد توقف استمر عامان ، خرجت مسيرة بحرية أخرى عام (١٢٢ هـ / ٧٤١ م) بقيادة حبيب بن أبى عبيدة ، وبصحبته ابنه عبد الرحمن بن حبيب ، واستولوا على « سرقوسة » التى تعد من

---

(٨٦) ابن عبد الحكم ، ص ٣١٧ .

(٨٧) ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .

(٨٨) د. سعد زغلول عبد الحميد ، ص ٢٨١ .

أعظم مدن صقلية ، فصالحوا أهلها على الجزية[٨٩] ، فى وقت كانت أحداث الخوارج فى المغرب الأقصى قد بلغت الذروة فى نفس العام .

تقسيم المغرب الى ولايتين :

قسم ابن الحبحاب ما دون افريقية من المغرب الى ولايتين : أولاهما : السوس الأدنى وهو ما يعادل طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ، وجعل عليه اسماعيل بن عبيد الله ولده وجعل معه عمر بن عبد الله المرادى[٩٠] الذى ظل واليا حتى عام (١٢٢ هـ / ٧٤٠ م) . ثانيهما : السوس الأقصى ، حيث أرسل حبيب بن أبى عبيدة اليها غازيا[٩١] فبلغ أرض السودان ولم يقابله أحد ، الا ظهر عليه ، ولم يدع قبيلة بالمغرب ، الا داخلها وأصاب من السبى أمرا عظيما وأحمالا كثيرة من التبر[٩٢] .

أما والى طنجة وما والاها ، عمر بن عبد الله المرادى ، فقد أساء السيرة ، وتعدى على الصدقات والعشر ، وأراد أن يخمس البربر ، وزعم أنهم فى فىء المسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ، وانما كان الولاة يخمسون من لم يجب الى الاسلام ، فكان فعله الذميم هذا ، سببا فى وقوع الفتن والثورات التى أدت الى كثير من الضحايا[٩٣] والتى أدت كذلك الى ثورة البربر بالمغرب بأثره بعد ذلك . ومن المحتمل أن الذى دفع عبد الله بن الحجاب وعماله الى تلك الشـــدة مع أهل

---

(٨٩) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩١

(٩٠) سبق أن ذكر ابن عذارى ، ص ٥١ ، انه استعمل على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه اسماعيل ، ثم عمر بن عبد الله المرادى ، ويغلب على الظن أن تلك الرواية هى الأصح .

(٩١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ ، ويذكر ابن عذارى ، ص ٥١ ، أنه أصاب من السبى أمرا عظيما ووجد جاريتين ليس لكل واحدة منهما الا ثدى واحد ، ثم رجع سالما ظافرا .

(٩٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ .

(٩٣) ابن عذارى ، ص ٥٢ ، ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩١ .

المغرب ، كان الرغبة فى ارسال المزيد من الأموال والسبى الى الخلافة ، حيث كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طوائف المغرب ويبعثون فى طلبها الى عامل افريقية ، فيبعث البربريات السنيات فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب ، ساهم بالكثير ، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان ، فاضطر الى التعسف وسوء السيرة[٩٤] ، ومن ثم فان سوء السيرة تلك ، وسوء الادارة والعمل على استغلال البـــلاد والعباد ، لجمع الأموال ، دون العمل على رعاية مصالح أهل البلاد ، والعمـــل على وحدة الصف ، كل ذلك أدى فى النهاية الى ثورة عارمة ، قادها رجل بسيط يسمى « ميسرة »[٩٥] جرت اليها طاقـــة المغرب بأكمله ضد العـــرب .

مقـــدمات الثـــورة :

سار وفد من المغاربة ، يبلغ حوالى عشرين رجلا ، برئاسة ميسرة صاحب الثورة ، استهدف هذا الوفد لفت نظر الخلافة الى شكواهم ومطالبهم ، التى تتلخص فى أن والى المغرب ، عندما يغزو بالجنـــد العربى ومعهم المغاربة ، فانه يحرمهم من نصيبهم من الغنيمة ، ويقول : « هذا أخلص لجهادكم » واذا حاصروا مدينة قال « تقـــدموا وأخر جنده » وأرادوا أن يعرفوا أعن رأى الخليفة هشام أم عن رأى الوالى ، وعاد الوفد دون أن يحقق ما كان يريده ، فلا استطاع مقابلة

---

(٩٤) ابن عذارى ، ص ٥٢ ، ويذكر صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣٧ ، أن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة فى جلود الخرفان العسلية ، فتذبح مائة شاة ، فربما لم يوجد فيها جلد واحد ، وهو قول أهل البغض للخلافة .

(٩٥) يذكر ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٩١ ، أن اسمه ميسرة السقاء ثم المدغورى ، أما صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣٤ ، فيذكره ميسرة المحفوز المدغرى ، أما ابن عذارى ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، فيقول ميسرة المدغرى ، ثم يذكره ، ص ٥٧ الحقير ، أما ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، فيلقبه بالفقير ويلقبه ابن القوطية ، ص ٣٩ ، بالحقير .

الخليفة أو حتى تحقق من اطلاع الخليفة على شكايتهم التى تركوها بين أيدى الحجاب .

ثورة ميسرة وظهور المذهب الخارجى فى المغرب الأقصى :

قامت ثورة ميسرة تلك على مبادىء الصفرية[٩٦] ، التى تعتبر أشبه بفرق الوسط ، إذ تمثل مرحلة تطور المبادىء الخارجية ، بعيدة عن التطرف الذى تنتهجه الأزارقة[٩٧] .

ما أن عاد الوفد من ديار الخلافة ، حتى كان على يقين أن العمال يفعلون ما تمليه عليهم الخلافة ، أو تكون على علم بما يفعلون ، ومن هذا المنطلق قرروا السير على منهاج خوارج المشرق ، الذين رفعوا شعار المساواة بين جميع المسلمين دون تفرقة عنصرية ، وبذلوا مجهودا كبيرا ، ودعاية واسعة لمذهبهم داخل بلاد المغرب ، لا سيما بعدما لاقوه من عنف الدولة الأموية عليهم لا سيما أيام الحجاج بن يوسف الثقفى ، مما اضطرهم لاختيار أطراف الدولة البعيدة للجوء اليها ، كخراسان فى الشرق ، وأرض الجزيرة فى الشمال ، وجنوبا على سواحل الخليج « الفارسى » وأخيرا بلاد المغرب ؛ ومن منطلق شعار المساواة تلك وجد البربر فى هذا المذهب راحة معنوية وبذا بدأوا يخرجون من المعارضة الصامتة الى الثورة المسلحة ، التى غدت أول ثورة بالمغرب الأقصى وفى افريقية فى الاسلام[٩٨] .

انتهز ميسرة ورفاقه خروج أحد نائبى عبيد الله بن الحجاب فى المغرب الأقصى ، حبيب بن أبى عبيدة الفهرى فى حملة بحرية لغزو

---

(٩٦) يذكر ابن عـــذارى ، ص ٥٣ ، أن ميسرة المطفرى ، راس الصفرية ، أمير الغرب .

(٩٧) يذكر صاحب اخبار مجموعة ، ص ٣٧ ، أن الأزراقه واهل النهروان من أصحاب الراسبى عبد الله بن وهب ، وزيد بن حصن .

(٩٨) ابن عذارى ، ص ٥٢ .

صقلية[٩٩] وبدأت تلك الثورة فى اقليم طنجة « السوس الأدنى » فى رمضان (١٢٢ هـ / أغسطس ٧٤٠ م) فى مواطن مدغرة قبيلة ميسرة ، وسرعان ما انضمت الى قبيلته جميع قبائل المنطقة من غمارة ومكناسة وبرغوا طه ، وسار الثوار بقيادة عبد الأعلى بن جريج[١٠٠] نحـو مدينة طنجة حيث هزموا عاملها عمر بن عبـد الله المرادى وقتلوه واستولوا على المدينة[١٠١] ، وقتلوا أهلها ، حتى قيل أنهم قتلوا الصبيان والنساء[١٠٢] ولما أيقن ابن الحبحاب أن طنجة سـقطت فى أيدى الثوار أرسل الى واليه على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى يأمره بقمع الثورة ، واضطر عقبة الى المسير بنفسه الى طنجة ، الا أنه لم ينجح فى اخماد الثورة ، مما ترتب عليه ثورة أهل الأندلس ، حتى أنهم خلعوه واختاروا مكانه عبد الملك بن قطن[١٠٣] .

خرج الثوار من طنجة وعلى رأسهم قائدهم عبد الأعلى ، بصفته الامام والذى خوطب بأمير المؤمنين[١٠٤] ، متجهين نحو السـوس

---

(٩٩) يذكر ابن عذارى ، ص ٥٢ ، أن اسمه حبيب بن أبى عبده ، وانه خرج الى بلاد الروم ، فلما علم البربر بذلك نقضوا الطاعة لعبيد الله ابن الحجاب بطنجة وأقاليمها وتداعت برابر المغرب بأسره ، أما ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩١ ، وابن عبد الحكم ص ٢١٧ ، فيتفقان على أنه حبيب بن أبى عبيدة وأنه كان على رأس حملة بحرية الى صقلية عام ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م .

(١٠٠) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ أنه عبد الأعلى بن جريج الأفريقى وكان أصله روميا مولى لابن نصير .

(١٠١) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩١ ، ابن عذارى ، ص ٥٢ .

(١٠٢) أخبار مجموعة ، ص ٣٥ .

(١٠٣) ابن عذارى ، ص ٥٤ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ .

ويذكر صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣٥ ، أنه عبد الملك بن قطن المحاربى ، محارب فهر ، وثب على عقبة بن الحجاج فخلعه ، ولا أدرى أقتله أم أخرجه ، وملكها حتى عام ١٢٣ هـ . حتى دخل بلج بن بشر القشيرى ، ثم الكعبى بأهل الشام وما زال يذكر أيضا أن بشر بن صفوان هو عامل افريقية أثناء تلك الأحداث .

(١٠٤) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩١ .

الأدنى ، وهزموا قوات اسماعيل بن عبيد الله ، بل أنهم قتلوه أيضا[١٠٥] ، وعلى أثر ذلك الانتصار ، أشعل لهيب الثورة فى كل أنحاء المغرب ضد العرب فوثب كل قوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا[١٠٦] ، واجتمع شمل الثوار واتجهوا الى افريقية قاعدة العرب ، حيث عبيد الله بن الحبحاب الذى وجد نفسه فى موقف حتم عليه الاستعداد لمواجهة الثوار ، فأخذ فى تجهيز عسكر افريقية ، وأرسل الى حبيب بن أبى عبيدة ووجوههم يستدعيه من صقلية ، ليسير معهم ضد ميسرة[١٠٧] ، ولحين وصول حبيب من قبرص ولى ابن الحبحاب على عسكر افريقية وأشرافهم ووجوههم خالد بن أبى حبيب الفهرى ، الذى تقدم بجنده حتى وصل الى وادى « شلف » غير بعيد من مدينة تاهرت ، حيث تم اللقاء بينه وبين الخوارج ، واستبسل الفريقان فى حرب ضروس ، انتهت بانسحاب ميسرة فى ظروف غامضة[١٠٨] وانقسم أتباعه فرقتين فرقة عليها خالد بن حميد الزناتى والاخرى عليها سالم أبو يوسف الهوارى ، وواصل خالد بن أبى حبيب تقدمه فى اتجاه طنجه ، واشتبك مع البربر بالقرب من المدينة فى وقت اجتمعت كلمة أتباع ميسرة من جديد واعترفوا جميعا بامامة خالد بن حميد الزناتى ووضعوا أنفسهم تحت قيادته[١٠٩] ،

---

(١٠٦) ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٩١ .

(١٠٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ .

(١٠٧) ابن عذارى ، ص ٥٣ ، ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٩١ .

(١٠٨) يظهر من مجريات الأحداث ، أنه حدث شقاق بين ميسرة وأتباعه الذين أخذوا عليه الانسحاب دون الاستماتة فى القتال ، وانتهى الأمر بأن قتلوه . ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٩٢ ، ويذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، أن خالد بن ابى حبيب قتل وأصحابه لم ينج منهم احد فسميت تلك الغزوة غزوة الأشراف ، وولوا أمرهم عبد الملك بن قطن المحاربى ويبدو أنه قصد أهل الأندلس كما يذكر ابن عذارى ، ص ٥٤ .

(١٠٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، ابن عذارى ، ص ٥٤ .

وفى أثناء القتال الشرس بين الجانبين ، باغت خالد بن حميد وأتباعه الصفرية القوات العربية من الخلف وغلبوا عليهم ، فما كان من خالد الفهرى وأتباعه الا محاولة اعادة سيرة عقبة بن نافع ، أثناء القتال فى تهوده ، فألقوا بأنفسهم الى الموت « أنفة من الفرار » فقتل ابن حبيب ومن كان فى صحبته ، وذلك فى أواخر عام (١٢٢ هـ / ٧٤٠ م) .

ولاية كلثوم بن عياض (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) :

وعقب هزيمة الأشراف تلك اختلفت الأمور على ابن الحبحاب ، فاجتمع الناس فعزلوه ، وبلغ ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك[١١٠] ، فاختار لولاية افريقية شيخا من أعيان القيسية ، وهو كلثوم بن عياض القشيرى[١١١] ، فوصل اليها فى رمضان عام (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) على رأس قوات عربية تقدر باثنتى عشر ألفا من أهل الشام[١١٢] ، وجعل له نائبين يتوليان الامارة بالتوالى فى حالة تعرض كلثـوم لحدث ما ، هما : بلج بن بشر القشيرى[١١٣] ، وثعلبة بن سـليمة العامرى[١١٤] وكان هشام بن عبد الملك قد كتب الى الولاة بالخروج بمن معهم من المقاتلة ، فسارت عمال مصر وطرابلس وبرقة بمن معها

---

(١١٠) يذكر ابن عذارى ، ص ٥٤ ، أن الخليفة هشام بن عبد الملك ، عندما بلغت اليه أنباء الهزيمة وخلع ابن الحبحاب ، استدعاه الى دمشق ، وقال : « والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخرهم عندى » .

(١١١) يذكره ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، كلثوم بن عياض القيسى وكذلك ابن القوطية ، ص ٣٩ .

(١١٢) المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(١١٣) يذكر ابن عذارى ، ص ٥٤ ، أن بلج بن بشر ، ابن عم كلثوم ابن عياض ، فى حين يذكر صاحب اخبار مجموعة ، ص ٣٦ ، أنه ابن أخيه ، ثم يذكر فى ص ٤٢ ، أن كلثوم عمه ، أما ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، فانه يذكر بلج بن بشر ، دون تحديد صلة القرابة .

(١١٤) يذكره صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣٦ أنه ثعلبة بن سلامة العـــاملى .

وأصبح جيشه بعد ذلك حوالى الثلاثين ألفا من أهل الديوان سوى من تبعهم من الناس[١١٥] .

وكان الخليفة هشام بن عبد الملك ، قد أخرج مع كلثوم ، رجلين لهما معرفة بالمغرب والأندلس وأمره أن يطيعهما ، ويكونا مستشارين له[١١٦] وكتب الى عامله الى افريقية بالطاعة للوالى ، وتقديم العون له من الرجال والأموال .

وهكذا استعدت، القوات العربية لمعركة حاسمة للثأر لما ألم بها فى غزوة الأشراف حتى أن تلك القوات كما ذكر بعض المؤرخين[١١٧] بلغت حوالى سبعين ألفا بعد انضمام أهل طنجة من العرب ، وبشر كبير من أهل افريقية .

ورغم هذا العدد الكبير من الجنــود ، ورغم الاستعداد الكبير لخوض غمار الحرب المصيرية الا أن الانشقاق والانقسام قد دب فى صفوفه ، بشكل صعب على كلثوم بن عياض[١١٨] السيطرة على الموقف ، ويبدو أن أهل الشام أعجبتهم كثرتهم ، وأغرتهم تلك الصلاحيات التى أعطاهم اياها الخليفة ، فبدأوا ينظرون الى أهــل افريقية باستعلاء فاعتبروها معاملة غير كريمة ، لمن جاهدوا وحسن بلائهم[١١٩] ، ورغم

---

(١١٥) أخبار مجموعة ، ص ٣٦ .

(١١٦) هما ، هارون القرنى ، مولى معاوية بن هشــام (والد عبد الرحمن الداخل) ومغيث الرومى مولى الوليد — وصاحب موسى بن نصير — أخبار مجموعة ص ٣٧ .

(١١٧) أخبار مجموعة ، ص ٣٧ .

(١١٨) يذكره صاحب أخبار مجموعة هذه المرة ، ص ٣٧ بكلثوم ابن عمرو .

(١١٩) قيــل أن بلج بن بشر عندما وصل الى افريقية قال لأهلها (لا تغلقوا أبوابكم ، حتى يعرف أهل الشام منازلكم) ومع ذلك كلام كثير يغيظهم به ، فكتبوا الى حبيب بن أبى عبيدة ، فكتب بدوره الى كلثوم مستنكرا ما حدث من بلج .

— ابن عذارى ، ص ٥٤ .

المراسلات التى دارت بين كلثوم بن عياض ، وحبيب بن أبى عبيدة ، والتى انتهت بتسوية الموقف ، باعتذار الأخير عما حدث من بلج ، الا أن ذلك كان بداية للتصدع والفرقة بين القوات العربية الشامية القادمة ، والقوات المعاونة لها بافريقية ومعهم أهل مصر .

هزيمة جيش الخـلافة فى « بقدورة » :

كان كلثوم بن عياض قد أصدر أوامره الى حبيب بن أبى عبيدة أن يقيم « بشلف ولا يجاوزه حتى يقدم عليه[١٢٠] ، واستخلف على القيروان قاضى افريقية ، عبد الرحمن بن عقبة الغفارى على الصلاة ، ومسلمة بن سوارة القرشى على الحرب[١٣١] . وخرجت معه القوات الحربية الافريقية وعلى رأسها مغيث الرومى ، وعلى فرسانها هارون القرنى[١٢٢] ، وما لبث أن استهان بلج بن بشر بحبيب بن أبى عبيدة ، عند لقائهما بوادى « شلف » كما شتمه كلثوم بن عياض أيضا[١٢٣] ، وهنا أخذ الحماس عبد الرحمن بن حبيب وكان بصحبة والده ، وتدخل فى النزاع ، حتى كاد الأمر أن يكون فتنة[١٢٤] ، وصاح الناس السلاح ، فمال أهل افريقية ومصر فى ناحية ، الا أنه ظهرت بوادر صلح بين الطرفين ولكن جذور هذا الخلاف مع سوء رأى كلثوم بن عياض ، وبلج بن بشر قد أدت فى النهاية الى هلاكهم[١٢٥] وعلى كل ، خرج الجيش العربى متجها نحو أرض طنجة ، لتأديب الثوار الذين جمعوا

---

(١٢٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ ، ابن عذارى ، ص ٥٤ .

(١٢١) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ابن عذارى ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٢٢) أخبار مجموعة ، ص ٣٧ .

(١٢٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ .

(١٢٤) ذكر ابن عذارى ، ص ٥٥ ، وابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ ، أن عبد الرحمن بن حبيب قال « يا بلج هذا حبيب ، فان شئت فاعرض له بالمقابلة ، وصاح الناس السلاح » .

(١٢٥) ابن عذارى ، ص ٥٥ .

جموعهم ، تحت قيادة امامهم الجديد ، خالد بن حميد الزناتى[١٣٦] ، وتم اللقاء على الضفة الشمالية لأسافل وادى « سبو »[١٣٧] فى موضع يقال له بقدوره ، وكان لقاء هائلا ، استمات فيه الصفرية ، استماتة اخوانهم خوارج المشرق ، فى حروبهم مع جيوش الخلافة ، حتى قيل أنهم كانوا عراة الا من سراويلهم ، واحتالوا فى شل حركة الفرسان العرب ، حتى يجبروهم على الحرب ، رجالة مثلهم . فعمدوا الى الرمك الصعبة[١٣٧] فعلقوا فى أذنابها القرب ، والانطاع اليابسة ، ثم وجهوها نحو عسكر كلثوم ، فنفرت الخيل ، ونادى الناس ، فنزل أكثرهم ، وترتب على ذلك اضطراب صفوف جيش كلثوم ، وانقسم جيشه ، وأحاطت جموع البربر ببلج بن بشر ، ومعه عبد الرحمن بن حبيب ، بينما وجه خالد بن حميد الزناتى ، قواته الرئيسية نحو جيش كلثوم ، وقتل حبيب بن أبى عبيدة ، ومغيث الرومى ، وهارون القرنى ، وسليمان بن أبى المهاجر ، وكثير من وجوه العرب وفرسانها ، وانهزمت قوات افريقية من الخيالة والرجالة[١٣٨] ، أما عبد الرحمن بن حبيب فاكن باقيا مع بلج بن بشر ومن معه من القوات[١٣٩] .

أما كلثوم بن عياض ، فثبت ثباتا رائعا ، وجلس علـى منصته « ديدبانة » ترفرف عليه راية قيادته ، ودافع عن أصحابه ، وقيل أنه قتل وهو يتلو الآيات « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

---

(١٢٦) د. سعد زغلول عبد الحميد ، ص ٢٩٥ .

(١٢٧) ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٩٤ .

(١٢٧) الرمك : جمع رمكه ، وهى الفرس . اخبار مجموعة ، ص ٣٨ .

(١٢٨) ابن عذارى ، ص ٥٥ ، ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ١٩٤ ، اخبار مجموعة ، ص ٣٩ .

(١٢٩) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٠ ، أنه عندما زحفت رجالة البربر ، على اثر الخيل وخالطوا كلثوما وأصحابه ، أقسم حبيب على ابنه عبد الرحمن الا ينزل راجلا ، وأن يلزم بلجا ويكون معه .

وأموالهم .... »[١٣٠] « وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجــلا »[١٣١] .

وبمقتل كلثوم[١٣٢] فى واقعة بقدوره عام (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) انهزم الجيش الخــلافى واتجه نحــو افريقية وتبعه البربر يقتلون ويأسرون ، فثلث مقتول ، وثلث مهزوم ، وثلث مأسور[١٣٣] . أما بلج ابن بشر وفرسانه فكانوا فى المؤخرة ، وبصحبته ثعلبة بن ســلمة الجذامى وعبد الرحمن بن حبيب ، ومضوا يقاتلون قتالا شرسا ، بغية تحقيق نصر ما ، أو الحاق خسائر بقــدر الامكان فى صفوف أعدائهم إلا أن محاولته تلك باءت بالفشل أمام استماتتهم فى القتال حتى أنهم لم يمكنوه من اللحاق ببقية جيش كلثوم المهزوم . فاضطر الى اللجوء للجزيرة الخضراء محاولا دخول « طنجة » فلم يستطع فلجأ وأصحابه الى « سبتة » ، وبعد ما عانوه من شدة[١٣٤] عادوا الى توحيد صفوفهم واستطاعوا هزيمة جيش قاده اليهم زعيم الثوار الثانى بعد ميسرة ، سالم أبو يوسف الهوارى ، وكان مصيره القتل[١٣٥] وتوالت الجيوش على بلج بن بشر وأصحابه حتى بلغت حوالى خمسة أو ستة جيوش ، الا أن حصانة مدينة « سبتة » واستماتة بلج ورجاله ،

---

(١٣٠) سورة التوبة : مية ١١١

(١٣١) سورة آل عمران : آية ١٤٥

(١٣٢) يذكر صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣٩ ، أنه ضرب على رأسه بسيف فوقعت فروة رأسه على عينيه غردها ، ثم نادى أصحابه ، فذبوا عنه ذبا ضعيفا وأخذ يتلو القرآن .

(١٣٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١ ، ابن عذارى ، ص ٥٥ ، أخبار مجموعة ، ص ٣٩ .

— خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، نشر أكرم العمرى ، ص ٣٥٥ ، الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(١٣٤) أخبار مجموعة ، ص ٤٠ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٠ .

(١٣٥) خليفة بن خياط ، ص ٣٥٥ ، ابن الأثير ، ص ١٩٤ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٠ .

مكنتهم من الانتصار على تلك الجيوش(١٣٦) وظهرت تباشير النصر فى الأفق ، فلم يجد الثوار بدا ، أمام هزائمهم المتكررة التى سلبت منهم حلاوة النصر على قوات كلثوم بن عياض ، الا محاولة تجويع جيوش بلج بن بشر وقطع الميره عنهم ويبدو أن تلك الخطة التى أعدها الصفرية قد أثمرت ، فلما كانت الأرض فى تلك المنطقة عامرة بالخصب والنماء ، وحتى يتمكنوا من حرمان أعدائهم من التمتع بخيراتها ، قاموا باقفار وتخريب المنطقة على مسيرة يومين ، فشق ذلك على بلج ، حتى أنهم حولوا اهتمامهم العسكرى الى اهتمام للحصول على قوتهم ، فخرجت الغارات البعيدة من أجل الحصول على الطعام ، فكان هذا أمرا شاقا وصعبا ، فانقطع المعاش ، فجاعوا جميعا حتى أكلوا دوابهم ، وكل ما حملت الأرض من البقل والعشب(١٣٧) ، ولم يجدوا بدا سوى الفرار من سبته والتوجه الى الأندلس ، وكان كلثوم بن عياض ، قد كاتب عبد الملك بن قطن وأهل الأندلس يأمرهم امداده والخروج اليه ، فوافاهم بلج وقد جاوزوا الجزيرة الخضراء وعرضوا على ، عبد الملك ابن قطن السماح لهم بدخول الأندلس ، فلم يأذن بالدخول الا لعبد الرحمن بن حبيب(١٣٨) الذى قيل أنه أصدر أوامره الى عبد الملك ابن قطن بعدم السماح لبلج بدخول الأندلس ولا يطيعه(١٣٩) ، وبلغ الحقد على أهل الشام من عبد الملك بن قطن ، أنه رفض السماع لاستغاثتهم التى بينوا فيها أنهم ينتمون اليه بطاعة أمير المؤمنين والعربية ، الا أنه تغافل عنهم وسره هلاكهم ، وقيل أن رجلا من

---

(١٣٦) أخبار مجموعة ، ص ٤٠ .

(١٣٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٠ .

(١٣٩) يذكر ابن عذارى ، ص ٥٦ ، أن عبد الرحمن بن حبيب عندما جاوز الى الأندلس ، قال لأميرها ، عبد الملك بن قطن « هؤلاء أهل الشام يقولون : ابعث لنا مراكب نجوز فيها ، وهم ان جازوا اليك ، لم تأمنهم عليك ، فلما أجازهم ، ما لبثوا فيها الا سنة ، حتى وثبوا عليه مع بلج بن بشر » الا ان صاحب أخبار مجموعة ، ص ٤٣ ، يذكر أن ابن حبيب دخل الأندلس بعد سماح عبد الملك بن قطن لهم جميعا بالدخول .

لخم ، يقال له عبد الرحمن بن زياد الأحزم ، قد أمدهم بقاربين شحنهما بالشعير والإدام ، قد تعرض هذا الرجل ، لعقاب عبد الملك لفعلته تلك ، إلا أن ابن قطن ، قبل دخولهم بعد ذلك مرغما ، ومرد ذلك أن البربر ثاروا بالأندلس ، وافتـدوا بأصحاب ميسرة ، فحلقوا رؤوسهم ، وقتلوا العرب وأخرجوهم[١٤٠] فأخرجوا عرب « أسترقه والمدائن » الى خلف الدروب ، الا أن كثرة عرب « سرقسطه وثغرهم » حالت دون إخراجهم ، فى وقت عجز ابن قطن عن التصدى لهـؤلاء الثائرين وخاف أن يكون مصيره مصير أهل « طنجة » ولم ير شيئا أعز من الاستمداد بأهل الشام فأرسل اليهم سفنا تنقلهم ، محملة بالأطعمة والأدم ، إلا أنه اشترط عليهم ، أن يعطوه من كل جند من قوادهم عشرة رهن ، يضعهم فى جزيرة أم حكيم فى البحر ، فاذا انتهت الحرب أعادهم الى افريقية .

ويبدو أن أهل الشام ، رضوا بذلك ، حتى أنهم أعطوه عهـدا بذلك ، وأخذت الرهن ، وحجزت فى الجزيرة ، وبعدها دخل هـؤلاء الأندلس عام (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) فى وقت كان الثوار قد اجتمعوا فى مدينة طليطلة ، واضطر حيال ذلك عبد الملك بن قطـن من إعداد ولديه قطنا وأميه للانضمام الى عرب الشـــام أصحاب بلج وعرب الأندلس ، والتقوا بالبربر على وادى « سليط » وهزم البربر هزيمة منكرة ، فلم ينج منهم إلا من لاذ بالفرار ، وتفرقت الجيوش الشامية فى أرض الأندلس متعقبة فلول البربر ، وما أن انتهوا من مهمتهم تلك ، قرروا العودة الى قرطبة الا أن ابن قطن لم ينفذ وعده حيالهم بنقلهم مجتمعين ، مؤمنا لهم السفن التى تعود بهم ، بل طلب منهم الرحيل أرسالا على خيولهم ، إلا أنهم أصروا على الرحيل مجتمعين ، كوعده اياهم ، فلما وجدوا اصرارا منه على رأيه فى عدم الاستجابة لمطالبهم ، وثبوا عليه فأخرجوه من القصر ، وأدخلوا بلجا صاحبهم وبايعـوا

---

(١٤٠) نفس المصدر ، ص ٤٤ .

له[١٤١] ونزل ابن قطن دارا تسمى دار « ابن أيوب » ، وهرب ابناه ، فلحق أحدهم « بما رده » والآخر لحق « بسرقسطه »[١٤٢] فى وقت كان والى جزيرة أم حكيم قد منع الرهن من الحصول على ما يكفيهم من الطعام والماء فمات من الرهن أحد أشراف أهل الشام ، وما أن أخرجهم بلج منها حتى أتوا اليه شاكين ما آل اليهم على يد ابن قطن وما كان من أمر قتل صاحبهم ، وطلبوا القصاص منه ، إلا أنه طيب خاطرهم بأقوال لم ترضيهم[١٤٣] فثارت عليه اليمن واتحدت واتهموه بالانحياز بمضر بل والاحتماء بهم . ولما كان بلج قد خافهم وخاف الفرقة سارع الى اخراج ابن قطن من دار أبى أيوب ، وهو يومئذ قد جاوز التسعين من عمره والتف الجموع حوله وقتلوه[١٤٤] ، أما بلج ابن بشر كان مصيره القتل فى نفس عام وفاة ابن قطن (١٢٤ هـ / ٧٤١ م) والتف أهل الأندلس ، وولوا عليهم ثعلبة بن سلامة العاملى ، الى أن أرسل اليهم والى افريقية الجديد حنظلة بن صفوان ، واليا جديدا هو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى ، والخليفة بعد الوليد ابن يزيد[١٤٥] .

---

(١٤٣) قال لهم بلج بن بشر أنه رجل من قريش ، وربما يكون موت صاحبكم على شبه الخطأ ولكن امهلوا حتى نرى ما تصير اليه الأمور .
— أخبار مجموعة ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(١٤٤) يذكر صاحب أخبار مجموعة ، ص ٤٥ ، أنهم أخرجوه وهم ينادونه ، يا فال فررت من سيوفنا يوم الحرة ، ثم عرضتنا لأكل الكلاب والجلود طلبا بثأر الحرة ، ثم بعث جند أمير المؤمنين فأخرج الى رأس القنطرة وصلبوه عن يسار الطريق .

(١٤٥) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١ أن بلج بن بشر قد قتل على يد أعوان عبد الرحمن بن حبيب ثم يذكر أيضا فى نفس الصفحة ؛ (ويقال أن بلجا لم يقتل انما كانت ميتته ميتة طبيعية ثم يذكر أيضا ، حدثنا حى بن بكير عن الليث بن سعد قال : مات بلج فى سنة خمس وعشرين ومائة ، بعد قتله ، ابن قطن بشهر ، انظر أيضا رواية صاحب أخبار مجموعة ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

وسلك ابن الخطار بأهل الأندلس مسلكا حسنا ، فرضى به الشاميون والبلديون وأمن ابنى عبد الملك بن قطن الوالى المقتول[١٤٦] .

ولاية حنظلة بن صفوان (١٢٤ هـ / ٧٤٢ م) وانتقام الخلافة من الثائرين : -

ما أن حلت الهزيمة بجيش الخلافة وعاد قليل من فلهم الى الشام وتحقق الخليفة هشام بن عبد الملك من تلك الهزيمة ، ندم على اخراجه جيش الشام ، دون دعمه بأهل العراق وغيرهم لئلا يؤتى جيشه من قلة ، وانما أتوا من طريق القلة ، ولم يكن أمام الخليفة من شيء سوى أن يحلف « لئن بقى ليخرجن اليهم مائة ألف كلهم يأخذ العطاء ، ثم ليخرجن مائة ألف ، ثم ليخرجن ، حتى إذا لم يبق غير نفسه وغير بنيه ، أقرع بينه وبينهم ، ثم أخرج نفسه ان وقعت عليه القرعة[١٤٧] .

كانت انتصارات البربر المتوالية والرائعة على جيوش الخلافة الاسلامية بداية لاشتعال الثورة فى كل بلاد المغرب بداية من طرابلس حتى بلاد الأندلس ويعنى ذلك أن المذهب الخارجى فى حالة استمرار انتصاراته سيكون له آثاره الدائمة فى جميع البلاد ، خاصة أن القيروان أصبحت محصورة بين الثوار من الغرب والشرق حيث ثار الثوار فى اقليم نفزاوة ما بين سبرااته وقابس ، ففى قابس ثار عكاشة بن أيوب الفزارى الزناتى الخارجى الصفرى ، فى حين سار أخ له الى مدينة صبرة من طرابلس الذى وان كان قد نال الهزيمة على يد صفوان بن أبى مالك والى طرابلس[١٤٨] الا أنه استطاع اللحاق بأخيه بقابس

---

(١٤٦) أخبار مجموعة ، ص ٤٩ ، ويذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١ ، أن أهل الأندلس اجتمعوا على أربعة امراء حتى أرسل اليهم حنظلة بن صفوان الكلبى بأبى الخطار الكلبى .

(١٤٧) أخبار مجموعة ، ص ٤٠ ، ٤١

(١٤٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١

وشكلوا قوة لا يستهان بها وألقيت مسئولية مواجهتهم على عاتق النائب الثانى لكلثوم بن عياض فى افريقية ، وهو مسلمة بن سواده ، الا أنه لم يستطع أن يحقق نصرا ما ، بل عاد الى القيروان بعد أن فقد الكثير من أعوانه ، لم يجد الخليفة أمام تلك الأحداث سوى توجيه حنظلة ابن صفوان الكلبى والى مصر ، وأخى بشر بن صفوان ، وأمره بالسير الى ولايته بالمغرب فخرج من مصر فى ثلاثين ألفا ووصل الى افريقية عام (١٢٤ هـ / ٧٤٢ م)[١٤٨] ثم أتبعه الخليفة بعد ذلك بجيش قوامه عشرون ألفا فى وقت كان عكاشة بن أيوب الفزارى قد قويت شوكته وأعجبه ما حققه من انتصارات سابقة وأصبح فى وضع يهدد مدينة القيروان وان كان هذا التهديد الذى تعرضت له المدينة قد جاء أيضا من حليف جديد لعكاشة وهو عبد الواحد بن يزيد الهوارى ثم المدهمى وكان صفريا هو الآخر[١٤٩] .

وفيما يتعلق بعكاشة فسير اليه حنظلة ، عبد الرحمن بن عقبة الفزارى[١٥٠] الذى نزل بلاد الزاب ، وتمكن من هزيمة عكاشة ، ومن معه من الصفرية ، الا أن انضمام عبد الواحد بن يزيد الى عكاشة أدت الى استحالة صمود عبد الرحمن بن عقبة أمامهم بأهل الزاب ،

---

(١٤٩) يذكره ابن عبد الحكم ، ص ٢٣١ ، مسلمة بن سوادة الجزامى ، فى حين يذكره فى ص ٢١٨ ، ٢١٩ بالقرشى .

(١٤٨) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩٣ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١ ويذكر صاحب أخبار مجموعة أنه وصلها عام (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) .

(١٤٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ .

(١٥٠) يذكره خليفة بن خياط ص ٢٥٠ عبد الرحمن بن عقبة الغفارى ، ثم يقول فى نفس الصفحة عبد الرحمن بن عقبة بن نافع .

(١٥١) يذكر خليفة بن خياط ، ص ٣٥٥ أنه يوم الخميس للنصف من ذى القعدة سنة أربع وعشرين ومائة ، قتل عبد الرحمن بن عقبة بن نافع ، ومروان بن عثمان الغسانى ، ومحمد بن يوسف ، وقدم الفل القيروان على حنظلة ، انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ .

فانهــزم وقتل وذلك عــام (١٢٤ هـ / ٧٤٢ م) فى نفس عــام خروجه[١٥٢] .

ويبدو أن انتصار الثوار فى الزاب كان عاملا هاما فى الخــلاف الذى دب بين عكاشة وعبد الواحــد فى من تكون له الزعــامة ؛ فوجه عبد الواحد أنظــاره نحــو مدينة تونس وعــلى مقدمته أبو قــرة المغيلى[١٥٣] ، فى وقت سارع حنظلة بن صفوان بارسال ثابت بن خيثم ليقطع عليه الطريق الا آنه هزم على يد قوات عبد الواحد وقتل فى تلك المواجهة فى أول صفر عام (١٢٥ هـ / ٧٤٣ م) وتركت تونس لواليها المستنير بن الحبحاب الحرشى للدفاع عنها أو الجلاء اذا لزم الأمر الا أنه فضل القدوم الى القيروان ومعه عائلات الجند[١٥٣] .

وهكذا سقطت مدينة تونس بين يدى عبد الواحد وهناك بايعه أصحابه وسلموا عليه بالامامة ثم تقدم الى القيروان[١٥٤] فى وقت كان فيه عكاشــة يســتعد هو الآخــر لدخول القــيروان ويبــدو أن كلا الطرفين كان يعنى أن دخول القيروان أولا سوف تتيح له الزعامة ؛ فسار عكاشة اليها عن طريق مجانه وسار عبد الواحد على طريق جبال باجه منذرا حنظلة باخلاء القيروان ومن فيه فى وقت كان حنظلة أقام خندقا حول المدينة[١٥٥] .

وما أن علم أهل القيروان بزحف جموع ثوار البربر حتى ظنوا أن مصيرهم الفناء وأن مدينتهم على وشك السقوط فسرى الرعب

---

(١٥٢) ابن عذارى ، ص ٥٨ ، ويذكره ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ العقيلى .

(١٥٣) خليفة بن خياط ، ص ٣٥٥ ، يذكره المستنير بن الحارث الحرشى .

(١٥٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ يذكر سلم عليه بالخلافة وذكر ذلك خليفة بن خيــاط ، ص ٣٥٥ ، ويبدو أن المقصود الامامة كقول الخوارج .

(١٥٥) ابن عذارى ، ص ٥٨

والفزع فى المدينة[١٥٦] ، واستقر عسكر كل من عبد الواحد وعكاشة بالقرب من القيروان ، الأول على بعد مرحلة فى مكان يقال له « الأصنام » لوجود تماثيل وآثار قديمة فى هذا المكان ، والثانى على مسافة ستة أميال بموضع يعرف بالقرن[١٥٧] وهاب حنظلة من الموقف وفكر فى طلب المدد من الخلافة ، الا أن مستشاريه[١٥٨] نصحوه بالخروج وملاقاة العدو فكتب الى عامله على طرابلس معاوية بن صفوان يأمره بالخروج بأهل طرابلس لمعونته[١٥٩] .

موقعة الأصنام :

انتهز حنظلة فرصة الخلاف وعدم الاتفاق بين غريميه ، وعزم على أن يقاتل كلا منهما على انفراد قبل أن يعودا ويتفقا عليه من جديد . فراسل عكاشة وأخذ يهدده ويمنيه ، وأخرج حنظلة كل ما كان فى الخزائن من السلاح ، والأموال وفرقها فى أهل القيروان الذين أقبلوا جماعات على الانخراط فى القوات المحاربة ، حتى اجتمع عليه فى ليلة المعركة خمسة آلاف دارع ، وخمسة آلاف نابل ، خلاف من وفد اليه من المتطوعة[١٦٠] ، وهكذا استعدت قوات أهل القيروان لقتال

---

(١٥٦) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ ، أن أهل القيروان ظنوا أنهم سيسبوا حتى أن الرسول لم يكن يخرج من عند حنظلة ليأتيه بالخبر فلا يخرج الى مسيرة ثلاثة أميال الا بخمسين دينارا .

(١٥٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢ ، ابن عذارى ، ص ٥٨ .

(١٥٨) يذكر ابن عذارى ، ص ٥٨ ، أنه قال لأصحابه « نستمد أمير المؤمنين ، فقال له شاب جميل الوجه بل تخرج الى عدونا حتى يحكم الله بيننا » فعزم حنظلة وخرج .

(١٥٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .

(١٦٠) يذكر ابن عذارى ، ص ٥٨ ، أنه عند استعداد حنظلة لقتال الثائرين كان أول من دخل عليه ، رجل من يحصب فقال له : ما اسمك ؟ قال : « نصر بن ينعم ، فتبسم حنظلة كالمكذب له ، وقال له : يا لله أصدق ، قال والله مالى اسم غير ما قلت لك فتفاءل به وقال « نصر وفتح » .

عبد الواحد وعلى رأسهم محمد بن عمرو بن عقبة(١٦١) وبدأ حنظلة بأقرب وأخطر أعدائه عبد الواحد والذى سبق أن طلب منه اخلاء القيروان ، واستمات أهل القيروان فى حرب مصيرية وهم واضعون نصب أعينهم ، أما كسب المعركة من الصفرية وأما خسارة كل شىء من ذرارى ونساء وأموال ، ولعب العلماء دورا لا بأس به فى رفع روحهم المعنوية فى القتال ، والتحم القتال ، وتداعى الأبطال ، ولزم الرجالة الأرض ، فلا تسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، وتقابض الأيدى بالأيدى ، وبدأت المعركة بهجوم ميمنة العدو على ميسرة حنظلة فكسرتها الا أن ميسرة عبد الواحد انكسرت أيضا على أيدى أهل القيروان ، ثم هجموا على الميمنة المنتصرة فحطموها ، فكانت هزيمة عبد الواحد(١٦٢) وقتله وسيقت رأسه الى حنظلة ، ونادى المنادى بالأمان(١٦٣) .

موقعـــة القـــرن :

وما أن انتهى حنظلة من الانتصار على عبد الواحد وجيوشه حتى سارع للقضاء على عكاشة فى موضع القرن ، قبل أن يعلم بمصرع رفيقه وحليفه السابق ، ولما كانت نشوة النصر ما زالت فى قلوب أهل القيروان فانهم زحفوا بنفس روح القتال المستميت تجاه عكاشة الذى ألجمته المفاجأة ، الا أنه حاول الصمود فباءت محاولاته بالفشـــل وانتهى مصيره بالفرار من أرض المعركة ، ثم أسر وأخذ الى حنظلة فقتله فى نفس عام مقتل عبد الواحد (١٢٥ هـ / ٧٤٣ م) .

---

(١٦١) يذكر ابن الحكم ، ص ٢٢٢ ، أنه خرج معه قوم من أهل القيروان وهم يائسون من الحياة خوفا من سبى الذرارى وذهاب النساء والأموال .

(١٦٢) ابن عذارى ، ص ٥٨ ، ٥٩

— ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٢

— ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٩٤ .

(١٦٣) خليفة بن خياط ، ص ٣٥٥ .

وبعدها خر حنظلة لله ساجدا[١٦٤] . وبهذا الانتصار ثأر العرب لأنفسهم وهكذا فان النصر الذى أحرزه حنظلة فى موقعة « الأصنام » قد كلل بالظفر فى موقعة « القرن » وذلك فى أواخر عام (١٢٤ هـ / ٧٤٢ م) وهكذا ثأر العرب لأنفسهم من البربر فى طنجة والأشراف وبقدورة[١٦٥] .

ويذكر المؤرخون أن خسائر البربر تجاوزت مائة وثمانين ألفا[١٦٦] فعم الفرح فى المشرق حتى أن فقيه مصر فى هذا الوقت الليث بن سعد اعتبر هذا النصر من انتصارات الاسلام الفاصلة وشبهها بغزوة بدر وقال : « ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها ، بعد غزوة بدر ، أحب الى من غزوة القرن والأصنام[١٦٧] . ولما كان حنظلة بن صفوان قد سبق أن طلب من واليه على طرابلس المدد فما أن وصل الى قابس

---

(١٦٤) ابن عذارى ، ص ٥٨ ، خليفة بن خياط ، ص ٣٥٥ .

— يذكر صاحب أخبار مجموعة ص ٤١ ، أن موقعة القرن تسبق موقعة الأصنام فقال : نزل حنظلة بموضع يقال له القرن فقتله ، ثم مضى الى العسكر الآخر ، وكان نزوله بموضع الأصنام فقتلهما فى عقب سنة أربع وعشرين ومائة ، فكتب الى الخليفة هشام بالفتوح .

أما ابن عذارى ، ص ٥٨ ، فيقول فرأى حنظلة أن يعجـــل قتال عكاشة ، قبل أن يجتمعا عليه فزحف عليه بجماعة أهل القيروان ، فالتقوا بالقرن ، وكان بينهم قتال شديد ، فهزم الله عكاشة ومن معه ، وقتل من البربر ما لا يحصى كثرة واخذوا عكاشة اسيرا ، ثم يعود يقول سيق الى حنظلة رأس عبد الواحد .

(١٦٥) أخبار مجموعة ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ويذكر أيضا انه عقب النصر استشار حنظلة الخليفة بعد أن بلغه بالنصر فى أمر التقدم فى ارض البربر ، فأتى كتابه وهو يجود بنفسه ، فمات الخليفة هشام فى شعبان سنة خمس وعشرين ومائة ، انظر ابن عذارى ، ص ٥٩ .

(١٦٦) يذكر ابن عذارى ، ص ٥٩ ، أن حنظلة أراد أن يحصى من قتل ، وأمر بعدهم ، فما قدر على ذلك ، فأمر بقصب ، فطرح قصبة على كل قتيل ، ثم جمعت القصب ، فكانت القتلى مائة الف وثمانين الفا ، وكانوا صفرية يستحلون النساء وسفك الدماء .

(١٦٧) المصـــدر السابق .

أتته أخبار الانتصارات فى الأصنام والقرن[١٦٨] ثم أوامر حنظلة بقتال خوارج بربر نفزاوة ، وكانوا قد سبوا أهل ذمتها ، فسار اليهم بمن معه فقاتلهم حتى قتل بعد أن استنفذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمة فلما علم حنظلة بذلك سارع فى ارسال زيد بن عمرو الكلبى فانصرف بهم الى طرابلس[١٦٩] .

وبذلك بر هشام بن عبد الملك بقسمه ، وثأرت الدولة من الخارجين عليها فى المغرب الا أن هذا النصر لم يدم طويلا ، فهشام كان آخر عظماء خلفاء بنى أمية خلفه عدد من الضعفاء الذين لم يرتفعوا الى مستوى الأحداث ، ففى الوقت الذى كانت فيه الدولة تقضى على خصومها فى المغرب ، كانت الدعوة الى آل البيت فى المشرق تقوى وتخرج من دور المعارضة الصامتة الى دور الثورة الشاملة وكان انشغال خلفاء بنى أمية فى صراعهم ضد العباسيين فى الشرق أن تركت بلاد المغرب تلقى مصيرها ، فانقطعت العلاقة بينهم وبين دمشق وتغلب على أقاليمها المتغلبون من خوارج ومغامرين وغيرهم[١٧٠] .

تغلب عبد الرحمن بن حبيب الفهرى على افريقية :

هكذا استقرت الأحوال الى حد بعيد فى بلاد المغرب ، وهنا سنحت الفرصة لوالى افريقية حنظلة بن صفوان لتلبية رغبة عقلاء الأندلس لارسال وال يستطيع اعادة السلم والهدوء داخل البلاد خاصة أن أمور بلاد الأندلس قد اضطربت منذ ثورة البربر بها عام (١٢٢ هـ / ٧٤٠ م) ومنذ نزول أهل الشام بها بقيادة بلج بن بشر ، فأرسل أحد أبناء عصبيته أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى والخليفة بعد الوليد بن يزيد ، فقدم الأندلس فى رجب عام (١٢٥ هـ /

---

(١٦٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .

(١٦٩) نفس المصدر والصفحة .

(١٧٠) د. سعد زغلول عبد الحميد ، ص ٣١٠ .

٧٤٣ م) ونجح بفضل كبر سنه وحكمته من كسب احترام وولاء الجميع[١٧١] وما أن تسلم مقاليد الحكم حتى بادر باخراج من وجد أنه متورطا فى الأحداث الداخلية الغير مستقرة بالأندلس ومن بين هؤلاء عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة ، وثعلبة بن سلمة العاملى اللذان كانا مع بلج فى سبتة ، ثم عبرا معه الى الجزيرة الخضراء ، سار ابن حبيب فى البحر الى افريقية مستترا فنزل تونس ؛ فى جماد الأولى (١٢٦ هـ / ٧٤٤ م)[١٧٢] أما ثعلبة فقد استقر به المقام بجانب حنظلة فى القيروان ، وذلك فى أواخر عام (١٢٥ هـ / ٧٤٣ م) أى قبل مقتل الخليفة الوليد بن يزيد ، وما أن وصلت أنباء مصرع الخليفة الى افريقية ؛ حتى خرج ثعلبة وكبار قواد أهل الشام بافريقية الى المشرق[١٧٣] أما عبد الرحمن بن حبيب فقد كان له رأى آخر ، حيث وجد أن أحداث الشام فرصة مواتية له لمحاولة تحقيق ما فشل فيه فى الأندلس ، فى بلاد المغرب ؛ حيث كان لأبيه مقام محمود ومرموق فيــه .

الاستيلاء على القيروان :

ما أن استقر له المقام فى تونس حتى قام عبد الرحمن بن حبيب بالدعوة لنفسه فأجابوه بالطاعة ومكنه ذلك من جمع قوات لقتــال حنظلة ، بل أنه خطط لطرده من افريقية ، فلم يجد حنظلة أمامه سوى

---

(١٧١) يذكر صاحب اخبار مجموعة ص ٤٨ ، انه كان رجلا من خيار أهل الشام من أهل دمشق ورضى بقدومه الاندلس الشاميون والبلديون وكان قد بويع أميرا لفترة فى قابس بعد محنة كلثوم بن عياض .

ويذكر ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٢٧٣ أن الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م هو الذى طلب من حنظلة بن صفوان تولية أبا الخطار الأندلس .

(١٧٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ ، ويذكر ابن عذارى ص ٦٠ ، أن ذلك كان عام ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م .

(١٧٣) ابن عذارى ، ص ٦٠ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .

التفكير للتصدى لهذا المغتصب القادم من الأندلس ، الا أن تقواه وورعه دفعه الى استخدام السياسة والحوار فى اقناع خصمه للامتثال للطاعة واجتناب الفتنة التى قد تؤدى الى تجدد ثورات الصفرية بقوة ومن جديد(١٧٤) ، فاختار وفدا من خمسين رجلا من أعيان القيروان وأوفدهم الى تونس لمفاوضة عبد الرحمن الا أن الوفد عندما أشرفوا على أبواب تونس ، بلغهم تولى مروان بن محمد الخلافة ، ولما كان هذا يعنى بداية الاستقرار فى عاصمة الخلافة مما سوف يكون له أثر كبير على سائر ولاياتها آثروا العودة من الطريق الذى أتوا منه وما أن علم عبد الرحمن بنية الوفد فى الرجوع الى القيروان(١٧٥) أرسل من لحق بهم وأعادهم الى تونس مكبلين فى الأغلال(١٧٦) ويبدو أن حبيب قد رأى أن ذلك بمثابة خيانة للعهود والمواثيق ، فأصدر أوامره باساءة معاملتهم وامعان فى تلك الاساءة ، أخذهم مكبلين واتجه الى القيروان وعسكر خارجها(١٧٧) بل وأنذر حنظلة أن يخلى القيروان وأن يخرج منها وامعانا فى الضغط عليه حدد له أياما ثلاثة لتنفيذ تلك الأوامر ، ثم كتب الى صاحب بيت المال ألا يعطيه دينار ولا درهم إلا ما حل له من أرزاقه(١٧٨) بل أنه وجه كلامه الى أهل القيروان محذرا إياهم « أن من تعرض لأحد من أوليائهم ولو بقذفه بحجر قتلهم »(١٧٩) . أما حنظلة فقد آثر السلامة وقرر أن يحقن دماء المسلمين فلم يجد

---

(١٧٤) ابن عذارى ، ص ٦٠ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ ، ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٣١١ .

(١٧٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ .

(١٧٦) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ ، ان هذا الوفد قد كاتبوه سرا من حنظلة فلما بلغتهم ولاية مروان نزعوا عن ذلك وان صح هذا النص فيعنى ان زعماء القيروان قد بايعوا سرا لعبد الرحمن بن حبيب قبل أن تصلهم أنباء خلافة مروان بن محمد .

(١٧٧) ابن عذارى ، ص ٦٠

(١٧٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(١٧٩) ابن عذارى ، ص ٦٠

أمامه سوى دعوة القاضى والعدول ، وفتح بيت المال ، فأخذ منه ألف دينار ، وترك الباقى وقال « لا أتلبس منه إلا بقدر ما يكفينى ويبلغنى »[١٨٠] وخرج جماعة من أصحابه من القيروان غير آسف فى اتجاه الشام كما فعل أهل الشام قبله .وكان ذلك فى جمادى الأولى عام (١٢٧ هـ / ٧٤٥ م)[١٨١] ودخلها عبد الرحمن بن حبيب ، ومنع الناس من المسير مع حنظلة أو الخروج لوداعه[١٨٢] .

ثورات الأقـــاليم :

وهكذا دانت الأمور فى افريقية لابن حبيب الذى بدأ العمل على استقرار البلاد وتثبيت أقدامه وأقدام بنيه من بعده ، الا أن ذلك لم يكن بالسهولة بمكان . حيث الاضطرابات فى افريقية كانت ما زالت مشتعلة علاوة على أن ثورات البربر وحركات الخوارج تزداد يوما بعد يوم ، وربما ساعد على الاستمرارية تلك الأحداث المتلاحقة التى تعرضت لها الخلافة الأموية التى أصبحت تسير الى مصير مجهول ، وربما أيضا ولاية ابن حبيب الغير شرعية جعلت غيره من المغامرين محاولة السير على منواله ؛ حتى أن كثيرا من المدن والأقاليم أخذت تستعد للاستقلال ، حدث ذلك فى تونس وفى باجه ، وفى جبال البربر (أوراس) وفى قابس وفى طرابلس ، ولم تأت تلك الثورات من جانب البربر[١٨٣] فقط بل شاركهم العرب أيضا ، حتى أن عبد الرحمن بن

---

(١٨٠) نفس المصدر والصفحة .

(١٨١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ .

(١٨٢) ذكر ابن عذارى ، ص ٦٠ ، وابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٣١٢ : أنه لما أقبل عبد الرحمن القيروان ، نادى مناديه لا يخرجن أحد مع حنظلة ، ولا يشيعه أحد ، فرجع عنه الناس خوفا من عبد الرحمن ، ولما قفل حنظلة الى المشرق ، دعا على عبد الرحمن وعلى أهل افريقية ، وكان مستجاب الدعوة ، فوقع الوباء والطاعون بافريقية سبع سنين ، لا يكاد يرتفع الا مرة فى الشتاء ومرة فى الصيف .

(١٨٣) سعد زغلول ، ص ٣١٧ .

حبيب الذى لم تبق له سوى القيروان فى وقت من الأوقات كان عليه أن يحاول جاهدا اخضاع هؤلاء الثائرين الراغبين فى الانفصال واقتطاع أجزاء من البلاد يكونون بها امارات[١٨٤]

اضطراب الأقاليم الساحلية :

ففى تونس خرج عليه عروة بن الوليد الصدفى واستولى على المدينـــة[١٨٥] ومنها انتشرت الى عرب الســـاحل « ما بين ســـوسة وسفاقس » حيث ثار هؤلاء العرب وعلى رأسهم ابن عطاف الأزدى ، وفى باجه ثارت قبيلة صنهاجه وعلى رأســـها ثابت الصنهاجى[١٨٦] واستولى على المدينة وانضم اليه ثائر بربرى آخر هو عبد الله بن سكرديد ، وثار أيضا بربر الجبال[١٨٧] وأخيرا خـــرج عليه رجلان بطرابلس هما عبد الجبار بن قيس المرادى ، والحارث بن تليـــد الحضرمى ومعهم جموع كثيرة[١٨٨] .

ويبدو أن ثورة البربر كانت أشد ضراوة ، ويرجع ذلك الى الطابع الدينى الذى أخذته حركاتهم العنيفة وحاول عبد الرحمن بن حبيب اتباع سياسة الخداع والمراوغة الا أنه اضطر لاستعمال العنف ، فما أن اندلعت ثورة باجه واستيلاء الثوار عليها حتى سارع بارسال أخيه الياس بن حبيب فى ستمائة فارس وكانت خطتهما اعمال الحيلة حتى يمكن استرجاع المدينـــة دون خسائر[١٨٩] وأرســـلت الجواسيس

---

(١٨٤) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ .

(١٨٥) ابن عذارى ، ص ٦١ .

(١٨٦) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ .

(١٨٧) ابن عذارى ، ص ٦١ ، ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ .

(١٨٨) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ ، ويذكر أنهم كانوا من الاباضية الخوارج ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ .

(١٨٩) يذكر ابن عذارى ، ص ٦١ ، انه ربما لم يخرج اليهم ، بل اعمال الحيلة مع أخيه فى ذلك .

لاستطلاع الأمر لدى ثوار الساحل وعندما عادوا اليه وأخبروه أن القوم آمنون غافلون فاجأهم الياس بعسكره وقتل ابن عطاف وأصحابه وذلك عام (١٣٠ هـ / ٧٤٨ م)[١٩٠] وأتبع الياس ذلك بمفاجأة حيث قتل عروة بن الوليد وأعادها الى سلطانهم وأقام فيها[١٩١] .

ثورات الاباضية فى طرابلس :

وكان أهم ما صادف عبد الرحمن بن حبيب من ثورات بربرية كان فى اقليم طرابلس حيث قتل أحد زعماء الأباضية ، عبد الله بن مسعود النجيبى عام (١٢٨ هـ / ٧٤٨ م) وكان ذلك على يدى أخيه الياس ، الذى سبق أن عهد اليه بولاية طرابلس[١٩٢] وكان على الاباضية حين اجتمعت عام (١٣١ هـ / ٧٤٩ م) عبد الجبار بن قيس المرادى ومعه الحارث بن تليد الحضرمى[١٩٣] وحاول عبد الرحمن بن حبيب علاج الموقف باستخدام السياسة والمهادنة بدلا من العنف فاستبدل أخاه بوال آخر هو حميد بن عبد الله العكى ، الا أن الاباضية لم يعطوه الفرصة للتفاوض أو التفاهم وانتهى الأمر بلقائهم فى بعض قرى طرابلس ، وبجيش قد وقع فيه الوباء[١٩٤] فلم يجد أمامه سوى التفاوض مع الثوار والذى انتهى بموافقته على الخروج بمن تبقى من أصحابه آمنين من طرابلس ، ورغم هذا الاتفاق فان عبد الجبار ابن قيس ، أخذ أحد كبار أصحاب حميد والذى قيل أنه أتهم بالتحريض

---

(١٩٠) يذكر ابن عذارى ، ص ٦١ ، أن عبد الرحمن بن حبيب أمعن فى قتل البربر ، وامتحن الناس بهم ، وابتلاهم بقتل الرجال صبرا ، يؤتى بالاسير من البربر ، فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله ، فيقتله ، وكانت بافريقية حروب ووقائع يطول ذكرها .

(١٩١) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ .

(١٩٢) ابن عذارى ، ص ٦١ .

(١٩٣) ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ .

(١٩٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ .

على قتل ابن مسعود الأباضى فقتله به[١٩٥] ، وعقب ذلك اشـــتدت شكيمة الثوار واستولى عبد الجبـــار على أرض زناته ، فســـارع عبد الرحمن بن حبيب باسناد ولاية طرابلس الى يزيد بن صفوان المعافرى ، ووجه مجاهد بن مسلم الهوارى الى عصبته قبائل هواره ليستأنف الناس ، ويقطع على عبد الجبار هواره وغيرهم ، فأقام فيهم أشهرا يدعوهم الى ذلك الا أن مهمته تلك لم تحقق غايتها وانتهى الأمر بطرده[١٩٦] فلحق بيزيد بن صفوان بطرابلس ، ولم يجد ابن حبيب بدا إلا العودة الى استعمال العنف ، فأرسل جماعة من خيالته على رأسهم محمد بن مفروق ، وكتب الى والى طرابلس بالسير معه لحرب الثوار ، فخرجوا فى جمعهم هذا واحتشدت قوات عبد الجبار متعاونة مع قوات الحارث بن تليد فى مكان من أرض هوارة ، فدارت الدائرة على أهل القيروان ، وهزموا هزيمة كبيرة ، حيث قتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مفروق ، أما مجاهد بن مسلم فعاد منسحبا بمن تبقى معه عبر أرض هواره[١٩٧] أما ابن حبيب فلم ينقطع رجائه فى احتمال النصر على الثوار من جديد ، فالتف حوله الناس مرة أخرى ، فاختار تلك المرة عمرو بن عثمان لقيادة المعركة إلا أنه هزم أيضا على أرض زنانه[١٩٨] أمام قوات عبد الجبار وحليفه الحارث بن تليد وبذلك تمكن الثوار الاباضية من الاستيلاء على طرابلس كلها .

---

(١٩٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ، يذكر أن اسمه نصير بن راشد الأنصارى « بالولاء » .

(١٩٦) نفس المصدر والصفحة .

(١٩٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ .

(١٩٨) زنانة هم أولاد جانا بن يحيى بن صولات بن ورتتاح ، ابن ضرى بن سفكو بن قيد واد ، ابن شعبا ، ابن مارغيس بن هود ، ابن هرسق بن كداد بن مازيغ .

— ابن عذارى ، ص ٦٥ .

ويبدو أن عمر بن عثمان حاول أن يخوض جولة جديدة عله يحقق نصرا على الثائرين ، فخرج وبصحبته مجاهد بن مسلم فى اتجاه دغوغا ، إلا أنه هرب عبر الصحراء ، عندما جد الحارث بن تليد فى متابعته ، ثم سار الى سرت ، فأدركته خيل الحارث ، فقتل العديد من أصحابه ، ونجا عمرو بنفسه جريحا ، بعد أن احتوى الحارث على بقية عسكره(١٩٩) .

وظهر جليا أن الثورة بدأت تحصد أمامها كل القوى المستميتة ، التى حاولت قمعها ولولا ما حدث من خلاف ونزاع بين الحليفين عبد الجبار والحارث ، أدى فى النهاية الى مصرعهما(٢٠٠) لما عرف المصير الذى كانت ستكون عليه بلاد المغرب .

واختار الاباضية لأنفسهم زعيما جديدا هو اسماعيل بن زياد النفوسى ، فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب فى وقت كان اسماعيل متحصنا فى قابس (من أرض افريقية) بعد أن استولى عليها وعندما وصل عبد الرحمن اليها سير ابن عمه شعيب بن عثمان على رأس جماعة من الخيالة نحو الخوارج فالتقى بهم ، وانتصر أهل القيروان وقتل اسماعيل وهزم أصحابه وأخذ الكثير من الأسرى ولما كان عبد الرحمن مقيما فى معسكره لم يشهد الواقعة ، فانه ما أن علم بالنصر ، حتى كتب الى عمرو بن عثمان فقدم اليه من أرض سرت ، وسار بجيشه الى سوق طرابلس ومعه الأسرى دون أن يلقى مقاومة تذكر ، وانتقم عبد الرحمن من ثوار البربر الاباضية انتقاما عظيما(٢٠١) وبعد أن تم لعبد الرحمن هذا النصر عهد بولاية طرابلس

---

(١٩٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٥ .

(٢٠٠) ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٣١٣ .

(٢٠١) يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٥ ، أن عبد الرحمن بن حبيب قدم الأسرى فضرب أعناقهم وصلبهم واستعمل على طرابلس عمرو بن سويد المرادى وأمره أن ينفل .

الى عمرو بن سويد المرادى ، وأمره بالشدة على العصاة ، واعطاء العسكر ما يستحقونه من المغانم ، وأخذ طريقه الى القيروان[٢٠٢] .

موقف عبد الرحمن بن حبيب من الأمويين والعباسيين :

وهكذا استطاع عبد الرحمن بن حبيب بعد أربع سنوات من القضاء على الثوار والخصوم وأكد شرعيته كوال للبلاد ، كتب بعد هذا النصر الى الخليفة مروان بن محمد ، وأهدى اليه الهدايا ، فكتب اليه مروان بالقدوم اليه (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م) فى وقت كان الخليفة يتعثر فى قتاله للعباسيين وأنه ربما يحتاجه للوقوف بجانبه فى تلك الفترة الحرجة التى تمر بها الخلافة برغم كونه بعيدا فى افريقية[٢٠٣] .

وخلاصة القول أن عبد الرحمن عندما تأكد من انتصار العباسيين والبيعة للخليفة أبى العباس السفاح ، بادر بالاعتراف بخلافته ، ووافق أبو العباس من جهته على اقراره فى ولايته[٢٠٤] .

---

(٢٠٢) يذكر ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٣١٣ أنه بعدها عمر سور طرابلس .

(٢٠٣) ابن عذارى ، ص ٦١ .

(٢٠٤) يذكر ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٣١٣ ، أن مروان بن محمد قتل وزالت دولة بنى أمية وعبد الرحمن بافريقية ، فخطب للخلفاء العباسيين واطاع السفاح .

ولاة افريقيــة لبنى أميــة

١ ــ عقبــة بن نافــع .

٢ ــ أبو المهاجر دينـــار .

٣ ــ عقبة بن نافع « للمرة الثانية » .

٤ ــ زهير بن قيس البلوى .

٥ ــ حسان بن النعمان الغسانى .

٦ ــ موسى بن نصــير .

٧ ــ محمــد بن يزيد .

٨ ــ اسماعيل بن عبد الله .

٩ ــ يزيد بن أبى مسلم الثقفى .

١٠ ــ محمد بن أوس الأنصــارى .

١١ ــ بشر بن صــفوان .

١٢ ــ عبيده بن عبد الرحمن السلمى .

١٣ ــ عبد الله بن الحبحاب .

١٤ ــ كلثــوم بن عيــاض .

١٥ ــ حنظلة بن صــفوان .

١٦ ــ عبد الرحمن بن حبيب القرشى .

١٧ ــ اليــاس بن حبيــب .

١٨ ــ حبيب بن عبد الرحمــن .

المصـــــادر والمراجـــع

١ ــ ابن الأثير : عز الدين أبى الحسن بن أبى الكرم (ت ٦٣٠ هـ)
الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ٠

٢ ــ ابن خـــلدون : عبد الرحمن بن خلدون

العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٥٨ م ٠

٣ ــ خليفـــة بن خياط : (ت ٢٤٠ هـ) :

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم العمـــرى ،
الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ٠

٤ ــ ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر :

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيـــق عـــلى
البخارى ، القاهرة د٠ت ٠

٥ ــ ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، ١٩٣٠ م ٠

٦ ــ عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب

القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م ٠

٧ ــ ابن عذارى المراكشى : أبو عبد الله محمـــد

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب

تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت د٠ت ٠

٨ — الطبـــرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠)

تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م •

٩ — ابن قتيبـــة : أبو عبد الله محمد بن مســـلم (ت ٢٧٦ م)
الامامة والسياسة ، القاهرة ١٣٢٨ هـ •

١٠ — ابن القـــوطية : أبو محمد بن عمر

تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، بيروت د•ت •

١١ — الزركـــلى : خير الدين ، الاعـــلام ، بيروت ١٩٩٠ م •

١٢ — جون جلوب : امبراطورية العرب ، تعريب خيرى حماد ، بيروت ١٩٥٣ م •

١٣ — د• حسن أحمـــد محمـــود :

١ — الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، القاهرة ١٩٨٦ م •

٢ — قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٦ م •

١٤ — د• سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ م •

١٥ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

الجـديد .. فى وثائق الجنيزة الجـديدة ؟؟

أ. د. عطيـة احمد القوصى
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

تعنى كلمة « جنيزة » فى اللغة العبرية « حجرة الدفن » التى تتخذ كمخزن ملحق بالمعبد اليهودى ، أو عن أى مكان تخزن فيـه الأوراق المسطر عليها كلام بالخط العبرى . ويعتقد يهود العصور الوسطى ، بأن الأوراق التى كتب عليها بالعبرية تكتسب القداسـة من هذه اللغة التى يتكون اسم الله من حروفها ، ويجب ألا تمزق هذه الأوراق ، المكتوبة بالأحرف العبرية ، أو تحرق ولكنها تكرم وتدفن كما يدفن الميت . ومن هنا جاءت حجرات الجنيزة التى كانت تجمـع فيها هذه الأوراق التى استنفدت غراضها ، وكانت ملحقة بمعـابد اليهود ، وكانت بمثابة سلة مهملات كبيرة حفظت فيها أوراق تحوى العديد من الموضوعات . وحين كانت حجرة الجنيزة تمتلىء بالأوراق تغلق وتتخذ حجرة أخرى مكانها لنفس الغرض . ومع مرور الزمن اندثرت هذه الحجرات واختفت معالمها ولم يهتم أحد بأمرها إلا فى التاريخ الحديث حين حاول مؤرخو اليهود وكتابهم البحث عن تاريخهم القديم وبيان دورهم فى الحضارات الانسانية القديمة فقاموا بالبحث عن هذه الجنيزات . ولقد كان لليهود بالفسطاط (مصر القديمة) معبدهم الكبير (ابن عزرا) لذلك تركز التنقيب عن جنائز هذا المعبد فى أواخر القرن التاسع عشر . ولقد نجح المنقبون فى التوصل الى كشف جنيزة كنيس ابن عزرا وجنيزة جبانة البساتين اللتين عرفتا ضمناً باسم جنيزة الفسطاط أو جنيزة القاهرة .

ويقول المؤرخ « جوايتاين » ، الذى تخصص فى دراسة هذه الوثائق واستفاد استفادة كبيرة من مادتها ، أنه كانت هنالك حوالى ربع مليون ورقة ذات الطابع الوثائقى كانت فى الجنيزة تحتوى على

معلومات أدبية ويوجد فى بعضها ، أو متداخل فيها ، كتابات كثيرة تحتوى على معلومات تاريخية وحضارية هامة • وإذا ما حصرنا العدد المقبول فإن مجموعه صل تقريبا الى عشرة آلاف ورقة محصورة ما بين قطع يحتوى كل منها على ثلاثة أو أربع أسطر وما بين رسائل وخطابات كاملة تشتمل على ما بين مائة ومائة وخمسين سطرا •

ولقد كتب غالبية هذه الوثائق باللغة العربية وبالأبجدية العبرية • ولم تكن كل هذه الوثائق قد كتبت فى مصر المكان الأصلى للجنيزة ، ولكن عدداً كبيرا منها جاءها من خارج مصر : من المغرب والأندلس ، ومن الشام والعراق ومن اليمن والهند ومن بيزنطة وأوربا الغربية المسيحية • ويرجع تاريخ كتابة هذه الوثائق الى القرون الرابع والخامس والسادس والسابع الهجرية (العاشر والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر الميلادية) ، وهنالك عدد قليل منها يرجع الى الفترة المتأخرة من العصور الوسطى (الفترة ما بين سنوات ١٢٥٠ — ١٥٠٠ ميلادية) ، وإذا ما أسقطنا من حسابنا الاوراق الحديثة العهد ، وهى كثيرة ، فإن وثائق الجنيزة القديمة تعد بحق المصدر الرئيسى للتاريخ الاجتماعى والاقتصادى لمصر فى العصرين الفاطمى والأيوبى •

وعن محتويات مادة وثائق الجنيزة نستطيع القول بأن نصف هذه المادة يتكون من خطابات ومكاتبات خاصة أو عامة ومكاتبات خاصة بالمعاملات • وتتكون المجموعة الكبرى منها من حجج وعقود لصفقات بيع أو شراء أو تمليك أو تأجير ، وايصالات لسلفيات أو قروض أو اتفاقات مشاركات تجارية ، ووصايا وعطايا ، وعقود زواج وقسائم طلاق وقوائم عفش العرائس • كذلك وجدت ضمن هذه الوثائق مضابط محاضر لجلسات محاكم بكل ما يتم فيها من اجراءات ومرافعات واعترافات المتخاصمين وشهادات الشهود • واحتوت هذه الوثائق أيضا على قوائم بالدخول وكشوف ضرائب وبعض الوصفات الطبية والأحجبة والتعاويذ ، إضافة إلى الردود الدينية •

ولقد اهتمت وثائق الجنيزة ، بصورة خاصة ، بالتجارة الخارجية ،

وأعنى بها تجارة المرور العالمية بين الشرق والغرب وأمدتنا بمادة طيبة بصدد هذه التجارة إذ أن معظم الخطابات التى حفظت فى الجنيزة كانت لتجار هذه التجارة أرسلوها أثناء سفرهم الى بلاد الهند • وقد احتوت هذه الخطابات على تفاصيل البضائع المنقولة عبر هذه التجارة وبخاصة البضائع الخفيفة الحمل والمرتفعة القيمة مثل التوابل من فلفل وبهار وخلافه والحرير والبخور والعطور والأحجار الكريمة •

كذلك ورد فى هذه الوثائق أسعار هذه السلع والمكوس المدفوعة عليها فى الموانى ، كذلك تحدث كاتبوها عن مسافة الرحلة التى يقطعونها فى البحر الأحمر والمحيط الهندى وعن المخاطر والأهوال التى تعترض طريقهم وعن الحنين الى الوطن • ولقد أعطتنا هذه الوثائق صورة طيبة عن « تجار الكارم » ، أشهر تجار العالم فى العصور الوسطى وأغناهم ، ودور هؤلاء التجار الاجتماعى والاقتصادى والسياسى فى بلدان العالم الاسلامى آنذاك •

ولم تغفل وثائق الجنيزة جانبا هاما من جوانب الحياة الاجتماعية فى مصر الاسلامية ، وهو جانب الحياة العائلية وعلاقة الرجل بالمرأة وبالأسرة عموما ، ودور المرأة فى المجتمع وحظها من العلم والتعليم آنذاك •

ونجد المعلومات التاريخية السياسية والعسكرية متفرقة فى وثائق الجنيزة فى إشارات مقتضبة فيما له صلة بحياة السكان آنذاك وما يتعرضون له من مصاعب أو كوارث ، مثل غزو المرابطين والموحدين لبلاد المغرب ، والحروب البحرية المستمرة والقرصنة فى البحر المتوسط • كذلك نجد إشارات وبعض المديح لشخصيات تاريخية إسلامية هامة من حكام وسلاطين وقواد من كل بلاد العالم الاسلامى صححت بعض المعلومات التى وردت فى المصادر التاريخية عن هذه الشخصيات • وأبرز الأمثال لذلك تصحيح ما ورد بصدد الخليفة الفاطمى « الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ) الذى أجمعت كل المصادر التاريخية التى تحدثت عن خلفاء الفاطميين على اضطهاده

للمسيحيين واليهود فى عهد حكمه • فقد عثر ضمن هذه الوثائق على طومار عبرى يرجع تاريخه الى عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م يمتدح الحاكم ويشبهه بالمسيح فى عدالته ويصفه بالحامى لغير المسلمين والمدافع عنهم ضد أى كيد يتعرضون له • كذلك أشارت هذه الوثائق الى الامتيازات الهائلة التى كانت للبيت « التسترى » فى مصر حتى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م • كذلك ورد ضمن وثائق الجنيزة خطابان هامان يشيران الى غزو الصليبيين لبيت المقدس سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م قام جوايتاين بنشرهما ، وترجع أهمية هذين الخطابين الى أنهما أرسلا إلى مصر من القدس مكان الحادث وقت وقوعه • كذلك ورد ضمن وثائق الجنيزة خطابان لشاهدى عيان للهجوم الذى قام به حاكم جزيرة كيش (قيس) على عدن سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م • وهنالك ضمن أوراق الجنيزة خطاب هام ورد من عدن يرجع تاريخه الى سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٢ م يذكر الأحداث التى وقعت فى اليمن حين كان يحكمها الملك المعز ابن أخ السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ويروى ظروف اغتيال هذا الأمير الأيوبى وحلول أخيه الطفل مكانه فى الحكم تحت وصاية الأتابك « سنقر » الحاكم الحقيقى للبلاد آنذاك • وهنالك أيضا خطاب ضمن وثائق الجنيزة ورد إلى مصر من الموصل وسطر فى سنة ٦٣٤ هـ (ديسمبر ١٢٣٦ م) يصف هجوم المغول الوحشى على تلك المدينة ويصف الرخاب والدمار الذى سببه لها •

هذه الأمثلة للأحداث السياسية والتاريخية التى وقعت عبر ثلاثة قرون فى عدة أقطار اسلامية مختلفة كفيلة بأن تبين مدى أهمية المعلومات التى يمكن جمعها من جنيزة القاهرة فيما يتصل بمجرى التاريخ الاسلامى العام والحضارة الاسلامية •

ولقد سبق لى أن تعاملت مع وثائق الجنيزة أثناء اعدادى لكتابى (تجارة مصر فى البحر الأحمر) وكتابى (اليهود فى ظل الحضارة الاسلامية) وقد أفدت كثيراً من هذه الوثائق واستخلصت منها مادة طيبة لموضوعات كتبى ، وكنت أترقب الكشف عن جنيزات أخرى تزودنى

بوثائق جديدة تحمل معلومات جديدة عن تاريخ مصر الاسلامية .
ولقد سعدت ، منذ أيام ، بتلقف مطبوع جديد لدليل لوثائق جديدة للجنيزة ، جاء تحت عنوان : « دليل وثائق وأوراق الجنيزا الجديدة » ، أصدره مركز الدراسات الشرقية لكلية الآداب جامعة القاهرة عن الوثائق التى قامت مصلحة آثار مصر القديمة والفسطاط ومفتشوها بأعمال حفائرها واستخراج موادها المدفونة فى حوش الموصيرى بالبساتين بمصر القديمة . وكم كانت فرحتى كبيرة بتحقيق أملى فى الكشف عن وثائق جديدة للجنيزة ، وتوقعت أن أجد فى هذا الدليل الاشارة الى وثائق جديدة تتصل بفترة الوثائق الأولى التاريخية وقد نجت من يد السارقين والمتاجرين فى هذه الأوراق ، مع علمى بأن أيادى هؤلاء اللصوص والتجار قد نهبت وبددت كل ما فى الجنيزة واستحوذت عليه وباعته لمكتبات ومتاحف أوربا وأمريكا ولم يبقوا لمصر غير حوائط جدران الجنيزة . وأن عملية النهب هذه الأوراق ووثائق الجنيزة استمرت لسنين طويلة وواكبت فترة الاحتلال البريطانى لمصر ، ذلك الاحتلال الذى سهل لهؤلاء اللصوص والتجار عملية النهب للجنيزة مثلما سهل لنفسه نهب آثار مصر وتراثها وبقية خيراتها .

والحقيقة أننى حين تصفحت الدليل الجديد صدمت بما يحتويه لأننى لم أجد فيه ضالتى ووجدته يحتوى على أوراق لا تصل قيمتها على الاطلاق الى قيمة وثائق الجنيزة القديمة التى عرفتها وتعاملت مع مادتها ولا تستحق المجهود الذى بذل من أجل ابرازها واخراجها : لأنها لا تحتوى على مادة جديدة تضيف الجديد للبحث التاريخى ولكنها تضمنت مجموعة أوراق وجد مثلها وكثر منها فى الجنيزة (القديمة) لم يهتم الدارسون الأجانب بدراستها لقلة قيمتها . والوثائق الجديدة للجنيزة تتحدث عن الحياة الخاصة للجالية اليهودية فى مصر فى العصر الحديث (القرون ١٨ ، ١٩) وهى لا تضيف جديدا لتاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى لا فى التاريخ الوسيط ولا فى التاريخ الحديث . وتاريخ مصر الحديث غنى بمصادره التى تغطى كل جوانبه وليس فى حاجة لمثل هذه الوثائق التى لا نستطيع أن ننسبها أصلا للجنيزة لمجرد أنها

(خضعت لنفس اجراءات الجنز وجنزت بنفس المراسم التى كانت تتبع فى الجنيزة المكتشفة فى معبد ابن عزرا) ، كما تقول مقدمة الدليل المطبوع •

ولا يمكن أن نعتبر هذه المخلفات الورقية التى عثر عليها فى حوش الدفن الخاص بعائلة موصيرى بمنطقة البساتين بمصر القديمة وثائق جنيزة بمعنى الكلمة ولا يمكن أن نقارنهـا بوثائق الجنيـزة (القديمة) ونستخلص منها نتائج لها نفس الأهمية فى دراسة تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى •

ولو استعرضنا محتويات الدليل الجديد لوثائق الجنيزة الجديدة لوجدناها أوراق غير ذات قيمة أعطى لها الدليل عناوين كبيرة مثل :

١ — وثائق خاصة بالتعليم ، وهى عبارة عن مجموعة شهادات دراسية حصل عليها بعض طلاب اليهود من مدارس مصر فى القرن العشرين ، وبعض الاعلانات الصادرة عن لجنة مدارس الطائفـة الاسرائيلية بالقاهرة لأولياء أمور الطلاب •

٢ — وثائق الشئون الدينية ، وهى عبارة عن بعض الأسـئلة والفتاوى الدينية اليهودية حول المسائل الأسرية ، وبعض الأدعية والشروح الدينية والتراتيل والصـلوات والتوسـلات والأحـكام والاستغفارات ، وبعض التعليمات الخاصة بالذبح • وهى موضوعات وجد الكم الكثير بصددها فى الجنيزة القديمة وليس بها من جديد •

٣ — وثائق أطلق عليها : وثائق خاصة بالحياة الاجتماعية ، وهى عبارة عن مجموعة خطابات شخصية حديثة تتناول الحياة العادية لليهود كجالية مقيمة بمصر لها كافة الحقوق وليس عليها أية قيـود من أى نوع ، إضافة الى بعض عقود زواج وبعض شهادات ميلاد •

٤ — وثائق أطلق عليها : وثائق النظم الاقتصادية ، وهى مجموعة خطابات خاصة بالتعاملات التجارية بين تجار اليهود وغيرهم ،

إضافة الى بيانات بأسعار السلع وايجارات البيوت وايصالات أمانة وكمبيالات وفواتير وكشوف حسابات وقيمة اشـــتراكات • وهى معلومات ورد مثلها فى جميع المصادر والمراجع التى تحدثت عن تاريخ مصر الاقتصادى فى العصر الحديث ولم تأت بذلك هذه الوثائق فيها بجـــديد •

وعلى العموم ، فإن وثائق الجنيزة (الجديدة) ، من واقع ما يحتويه الدليـــل الجديد • لم تقـــدم لتاريخ مصـــر الاجتماعى والاقتصادى أى جديد ، وإن تحقيق هذه الوثائق وابرازها لا يستحق كل هذا الجهد الذى بذل من أجله • ولقد كنا نفضل أن تبذل هيئة الآثار المصرية ، متضامنة مع مركز الدراسات الشرقية لجامعة القاهرة مثل هذا الجهد فى الكشف عن جنيزات جديدة أخرى لمعابد يهودية كثيرة كانت قائمة فى مصر ، مثل معبد ابن عزرا ، وانتشرت من قوص والفيوم جنوبا حتى مدن الدلتا شمالا وكان لها بالقطع جنيزات هناك • وإذا ما تم لنا ذلك نستطيع أن نتحصل على معلومات تفيدنا فى دراسة تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى وهى المادة التى يحتاجها الدارسون لتاريخ مصر الاسلامية وتسد ثغرة نحن فى أمس الحاجة لسدها فى الدراسة التاريخية ، ونكون بذلك قد بذلنا المال والجهد فى الموضع والهدف المناسب •

* * *

المراجعات والتقارير وعرض الكتب

Elizabeth Malmut : Les Iles de l'Empire Byzantin, VII e — XII e Siecles (Preface D'Helene Ahrweiler. [Publication de la Sorbonne, Universite de Paris 1., Serie Byzantina Sorbnensia, 8. Centre de recherches d'histoire et de Civilization byzantine] Paris 1988.

« اليزابث مالموت : جزر الامبراطورية البيزنطية خلال القرون من السابع حتى الثانى عشر ، تقديم هيلين أرفيلر — مطبوعات جامعة السوربون ، جامعة باريس واحد ، سلسلة الدراسات البيزنطية السوربونية رقم ٨ ، مركز بحوث التاريخ والحضارة البيزنطية ، باريس ١٩٨٨ — عرض وتلحيل أ. د. سيد أحمد على الناصرى » .

عرض ونقــد وتحليــل
أ. د. ســـيد أحمد على الناصرى

هذه الدراسة كما تقول الاستاذه مالمو كانت فى الاصل أطروحة الدكتوراه التى قدمتها لجامعة باريس واحد عام ١٩٨٤ تحت اشراف أستاذتها ايلين أرفيلر أشهر أساتذة أوربا العصور الوسطى الفرنسيين المعاصرين والرسالة ضخمة ولذا نشرت فى مجلدين المجلد الأول ويقع فى ٣٧٤ صفحة (من ص ١ الى ص ٣٧٤) والمجلد الثانى وقع فى ٣٣٨ صفحة (من ص ٣٧٥ الى ص ٧١٢) وقد صدرت عن مركز بحوث التاريخ والحضارة البيزنطية جامعة باريس .

والأن الاستاذة اليزابيث مالمو تشغل حاليا مدير المركز القومى للبحوث الاجتماعية فى باريس فقد اتخذت خطا يتماشى مع اهتماماتها وتخصصها ، فقد اهتمت اهتماما خاصا بالعوامل الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والديموجرافية لسكان جزر شرق البحر المتوسط خاصة قبرص ورودس وجزر بحر إيجه ووظفت نتائج دراسة هذه الجوانب لفهم الأحداث التاريخية لتلك الفترة . وهذا يمثل مدرسة التاريخ

الشـــامل Histoire Comprehensive وتقول المؤلفة أنها اختارت أغنى فترات تاريخ الدولة البيزنطية (دولة الروم) وتاريخ شرق البحر المتوسط وهى الفترة التى تقع ما بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر • فقد شهدت هذه الفترة الفتوحات الاسلامية العربية فى الشرق الأدنى وظور الأساطيل العربية فى مياه البحر المتوســط تتحدى أساطيل الروم مما أحدث انقلابا فى موازين القوى فى البحر المتوسط ، ونتيجة لذلك فقد توسع العرب على حساب الروم شرقا وعلى حساب الرومان (العالم اللاتينى) غربا • وهى نفس الفترة التى شهدت انقسام الكنيسة الى كنيستين متعاديتين : الأرثوذكسية اليونانية فى الشرق ، والكاثوليكية اللاتينية فى الغرب ووصل الانشقاق الى حد الاقتتال بينهما وتدلل على ذلك بالحملة الصليبية الرابعة حيث وصلت الكراهية والعداء بين الكنيستين الى درجة تفوق الوصف •

وخلال مؤلفها حرصت مدام مالمو على تقديم الصورة التاريخية لهذه الجزر داخل الاطار الجيوبوليتيكى (من ص ٢٥ — ص ١٢٤) ، ثم تناولت الوضع الديموجرافى لسكانها (١٢٥ — ١٧٩) بل تحدثت عن أهم معالمها الأثرية وحركة الهجرة والتنقل لسكانها بعد دخولها الى حوزة دولة الروم من القرن الثــامن الى القرن الثــانى عشر (ص ١٨١ — ٢٩٤) ، ثم انتقلت بعد ذلك لتعالج نظام الادارة لهذه الجزر سواء من الناحية المدنية أو الكنسية (من ٢٩٥ — ٣٧١) ، بعد ذلك تناولت الحالة الاقتصادية المميزة لكل جزيرة (من ص ٣٨٣ — ٤٦٩) ، وفى ضوء ذلك عالجت باستفاضة ظروف مجتمعات هذه الجزر وخصائصها (٤٧١ — ٥٣٣) كما تناولت علاقة هذه الجزر مع باقى جزر دول شرق البحر المتوسط (من ص ٥٣٥ — ٦١٢) • وبعد أن وضحت المؤلفة مظاهر تنوع وتباعد وانتشار هذه الجــزر ، وعراقة أصولها الحضارية خرجت المؤلفة بثلاثة ملاحظات هى : (أ) أن لهذه الجزر خصوصية مميزة من الناحية الجغرافية والســكانية • (ب) أن لعامل الانتشار والاستقلال والتباعد وفى نفس الوقت عامل الانفتاح التجارى والحضارى مع العالم الخارجى أثرا كبيرا فى تطور

الأحداث فى هذه الجزر ويعطى لتاريخها خصوصية مميزة • (ج) أن تاريخ هذه الجزر خلال تلك الفترة يمثل صلب وجوهر تاريخ امبراطورية الروم وركن الزاوية فى تاريخ أوربا العصور الوسطى •

وعموما بصرف النظر عن التفاصيل التى قد لا تهم الباحث السياسى كثيرا إلا أن هذه الدراسة دراسة شاملة دقيقة ومفصلة مما يجعلها أشبه بالموسوعة الحضارية ، ولا غنى عنها للباحث فى تاريخ هذه الجزر وتاريخ العلاقات بين المشرق الاسلامى والرومى من ناحية والغرب اللاتينى من ناحية أخرى • كتاب ننصح بالاطلاع عليه خاصة طلاب الدراسات العليا فى تاريخ الروم وتاريخ أوربا العصور الوسطى •

أ• د• سيد أحمد على الناصرى

القســـم الأجــنبى

rn n ḥwrw ḥr nb.f[106] a poor man's name is pronounced for his master's sake لكرم الفقير علشان سيده ". When one is faithful in allegiance to his sovereign, it is proverbially said that "he is upon his - i.e. sovereign - water *ḥr mw.f*[107] على ميته . When one is illegally tempted to seize something from another it is said "it is desirable to his heart *c3byw ḥr ib.f*[108] حليت على قلبه ".

In Arabic, the word مصر "misr" indicates the whole land of Egypt. However, in the modern Egyptian colloquial this word is also attached to the capital i.e. Cairo where it is said "I descend upon Egypt أنا نازل على مصر ". This conception is shown by *Ḫw - Inpw* who, as a native of Wadi al-Natrun to the west of the Delta, informed his wife saying "*mt wi m h3t r Kmt*[109] behold I am going to Egypt i.e. to the capital Ahnas in Middle Egypt[110].

---

(106) Sethe, Les., 20,5-6.

(107) Sethe, Les., 7,2.

(108) Sethe, Les., 18,17.

(109) Sethe, Les., 17,14-15.

(110) This meaning is assured in the following explanatory sentence "*šmt pw irw.n sḫty pn m ḫntyt r Nni-nsw* this peasant went south toward Hnes", Sethe, Les., 18,11-12; M. Lichtheim, op. cit., p. 170, note (3).

from what is recalled ti him. Such satirical idioms are similarly said in the modern Egyptian colloquial i.e. العمى فى وشه blindness (is) in his face"; "الطرش فى ودانه deafness (is) in his ears";" ضميره تاه his consience[100] strays". Similarly with glorification idioms attached to kings, courtiers, great officials etc. Sinuḥe described king Sn-Wsrt saying "he is a god *nn snw.f*[101] without peer - lit. there is not his brother مالقيش لخوه ; *nn ky ḫpr ḥr h3t.f*[102] no other comes before him مالقيش حد قبله ; *prt h3t ḫft wd̲.f*[103] going out and coming in are at his command الخروج والدخول بأمره

The Middle Egyptian sarcastic and symbolic proverbs, which traditionally diffused in modern Egyptian, are common to all styles of colloquial speech. On hearing nonsensical speech, one sarcastically repeats "*in p3 pw ḫn n mdt d̲dw rmt̲*[104] is this the saying people say ده كلام الناس تقوله ". One should be accurate when he talks because his tongue is balance "*mh3t pw nyt rmt ns.s*[105] the tongue is men's stand-balance اللسان ميزان . The poor is honoured for his master's sake "*dm.tw*

---

(100) Assuming that the heart *ib* represents the moral sense of right and wrong in ancient and modern Egypt, this translation seems to be more suitable than that of "his heart strays.".

(101) Sethe, Les., 6,8.

(102) Sethe, Les., 6,8-9.

(103) Sethe, Les., 6,10.

(104) This proverb was said by *D̲ḥwty-nḫt* when *Ḫw-Inpw* informed him that he was robbed in his nome, Sethe, Les., 20,4-5.

(105) In his ninth petition *Ḫw-Inpw* said this proverb to Rnsi, Sethe, Les., 24,11-12.

soul fainted away(94) روحي راحت ; *ḫm.n.i wi m-b3ḥ.f*(95) I did not know my self before him نسيت نفسي قدامه "; *ḥc.i 3dw*(96) my limbs trembled جسمي تنفض "; and "*rh.i cnh r mwt*(97) I knew life after death عرفت الحياة بعد الموت "(98).

Contrary to what a fair ruler should be Rnsi was unjust and oppressor. Ḥw-Inpw described him saying "*ḥr.f sp̌(w) r m33t.f ; sḥ(w) r sḏmt.f ; th ib(.f) hr sh̬3y.tw n.f*(99) his face is blind to what he sees ; deaf to what he hears; his heart strays

---

(94) M. Lichheim's translation "my *b3* was gone" op. cit., p. 231, agrees with K. Sethe's reading *sbi* or *sbt* which means go or travel, Les. 14, Ann. f. Howver, my this translation depends upon both the existence of this colloquial saying " روحي راحت my soul fainted away" which is still being repeated when one is delightfully or grievously shocked, and the occurrence of verb *sbi* with this determinative [hieroglyph] exressing faint or perish R.O. Faulkner, A. Concise Dictionary., 219. This clearly shows that the Arabs were quite aware of this meaning when they conveyed this Pharaonic saying into Arabic.

(95) Sethe, Les., 14,10-11.

(96) Sethe, Les., 14,13.

(97) Sethe, Les., 14,13-14.

(98) This translation appears to be more convenient to the original text which K. Sethe presented for this sentence [hieroglyphs] than that which was given by both A. Erman "I wist not whether I were alive or dead" op. cit., p. 26, and M. Lichtheim "I did not know life from death" op. cit., p. 231.

(99) Sethe, Les., 23,20;24,1.

Calamitous travelling with its dangers and unlucky prospects, is proverbially shown in the modern Egyptian saying "what is that which brought me here " انا ايه اللى جابنى هنا ". The same saying was recited by Sinuhe when he described to the ruler of Upper Rtnw his distressed travelling saying "*n rḫ.i in wi r ḫ3st tn*(88) I did not know what brought me to this country". Sinuhe's saying "*rdi.n wi ḫ3st*(89) land gave me to land" may be proverbially compared with the modern colloquial "a land carried me to a land بلد سلمتنى لبلد "(90). In his description of the royal preparation which was made on the occasion of his return, Sinuhe said "*ś md m iwt ś md m šmt ḥr sbi wi r cḥ*(91) ten men came and ten men went to usher me into the palace". This same saying is usually repeated in modern colloquial when multitudes celebrate variant occasions "الناس رايحة وجاية people are going and coming". The majority of the proverbial idioms, with which Sinuhe described the physical changes which appeared on him when he faced the above indicted troublous situation, are still being repeated in the modern Egyptian colloquial e.g. "*ḥ3ty.i nn tw.f m ẖt.i*(92) my heart, was not in my body قلبى راح منى " ; "*b3.i sbi(w)*(93) my

(88) Sethe, Les., 5,15.

(89) Sethe, Les., 5,4.

(90) Or as it is frequently repeated in colloquial tales بلد تشيله وبلد تحطه a land carries him - i.e. the traveller - and a land puts him".

(91) Sethe, Les., 14,5-6.

(92) Sethe, Les., 14,13.

(93) SEthe, Les., 14,12.

metonymically marked with its black fertile soil i.e. *Kmt*(82) which the Egyptians love "*t3-mri* the Beloved land"(83). The strategic locality of Memphis on the apex of the Delta is significantly shown in its metonymical attribute "the life of the tow lands *cnḫ t3wy*"(84).

Certain Egyptian motional verbs are used to express metonymical abstract senses which are similarly conceived in Arabic and in modern Egyptian colloquial. Of these verbs, there are *mkh3* turn the back to or ignore(85); *3wy* extend the arm or generously offer(86); *wšr* dry up or be barren (of women)(87) etc.

Another rhetorical characteristic of the Middle Egyptian prosaic literature, which similarly diffused in the modern Egyptian colloquial, is the common use of significant proverbs through which tragic and comic situations are symbolically or sarcastically depicted.

---

(82) Wb. V, 126.

(83) Wb. V, 223; this attribute is originally attached to the fertile black soil which is made by the Nile flood and which was still being known by the Egyptian villagers - before the building of the High Dam - as the "Dameerah الدميرة ".

(84) Wb. I, 203,13.

(85) Wb.II,163,7f.;R.O.Faulkner,A.Concise Dictionary., 119.

(86) Wb. I,5; R.O.Faulkner, Concise Dictionary., 1.

(87) Wb. I, 374, 18; Faulkner, A. Concise Dictionary.,70.

and the fraternal perfidy which he had face, are apparent in his other surname "*wrdw ib*(75) the weary - hearted". The role played by his eldest son Horus as an avenger of his father and a protector of his widowed mother is apparent in his metonymical attribute "*iwn mwt.f*(76) the pillar of his mother"(*). Anubis' care of the dead made him the responsible keeper of the Netherworld with its secrets *hry sst3*(77). The divine uraeus is metonymically known as "she who is on his-i.e. the Pharaoh - front *imt.f*(78). Human beings are called the "noble cattle *cwt spst*"(79). The Pharaoh, who is regarded as the unblemished egg of Imn *swht ikrt nyt Imn*"(80), ought to be acquainted with what Itn - i.e. the sun- encircles *snnt Itn*"(81). The metonymical attributes, which are attrached to countries, town, seas, etc., are significantly chosen by the Egptians. As a land, Egypt is

---

(75) Wb. I, 338,7.

(76) Wb. I, 53, 15; A. Gardiner, Egyptian Grammar, p. 269, no.1.

(*) Until now the son is commonly regarded as the pillar of his parents. This understanding is colloquially expressed in the modern Egyptian proverb "الولد سند" the son (is) pillar".

(77) A. Gardiner, op. cit., Sign list, E15-16.

(78) A. Gardiner,op. cit., Sign list, E15-16.

(78) R.O. Faulkner, Concise Dictionary., 19.

(79) Ibid., 39.

(80) Ibid., 31.

(81) The common translation of this idiom is topographically concerned with the Pharaoh's acquaintance with the affairs of the foreign countries surrounding Egypt, Wb. IV, 490.

justified"[65] are mythically attached to the deceased who is known as "he who is going to his soul *hpi n k3.f*"[66]. His sarcophagus, which is euphemistically regarded as the "lord of life *nb cnh*"[67], ought to be hidden in his burial chamber which is metonyically called "the hidden *hnt*"[68]. His tomb, which represents a "house of Eternity *pr (n) nhh*"[69], is situated in the "city of Everlasting-or the necropolis-*niwt nyt nhh*"[70] which, as a "place of truth *st m3ct*"[71], is "possessed - or managed - by the god *hr (t) - ntr*"[72].

Many of the Egyptian major deities have metonical surnames which either depict their fictitious power of creating the universe and managing its affairs, or symbolically relate the mythical events dealing with their own existence and the supernatural power they have. The great fame of Osiris, whom the Pharaohs are thought to be his inheritors[73], has been shown in his surname "*Nb-r-dr* the lord of all"[74]. His troublous life

---

(65) Wb. II, 15,1-7.

(66) R.O. Faulkner, A. Concide Dictionary., 188.

(67) Wb. II, 228, 13-14.

(68) R. O. Faulkner, A. Concise Dictionary., 201.

(69) R.O.Faulkner, A. Concise Dictionary., 89; Wb. I, 514,2.

(70) Wb. II, 211,16.

(71) Wb. IV, 6-7.

(72) R.o. Faulkner, A. Concise Dictionary., 204.

(73) Lexikon der Agyptologie, IV, Kol. 625 f.

(74) This attribute of Osiris is implicated in another title attached to the holy city of Abydos or the "primaeval place of the Lord of all *p3wt tpt nyt Nb-r-dr*" R.O. Faulkner, A. Concise Dictionary., 87; Wb II, 230.

Egyptian, death is metonymically tasted just like any drink (or food). Sinuhe whose throat burned of thirst, talked to himself saying "*dpt mwt nn*[60] this is the taste of death". The West *Imnt* - where the dead ought to be buried - mythically representsthe condemned cell to which the dead are terribly taken to their last judgement[61]. The Pharaohs are mythically thought to defend people from the dangers of their doom. Having granted his amnesty Sinuhe thanked king Sn-Wsrt saying "*nẖi pw n b3k-im n nb.f šdw m imnt*[62] this is the prayer of this servant for his lord who saves from the West". In addition, there is a liking for the use of metonymical attributes qualifying funeral affairs, deities, divine cities and individuals, personal customs, etc.[*] The most conspicuous instance of attaching such attributes to persons is found in the surname given to Sinuhe on the occasion of his return to the Egyptian court. King Sn-Wsrt, who tried to console Sinuhe's troublous expatriation and fear, comforted him saying "*md.tw rn.k snḏw n ḫsf*"[63] your name is called "Fearful of punishment". Epithets like *wḥm cnḫ* "living again"[64], and *m3c ḫrw*"

(60) Sethe, Les., 4,17.

(61) T.G.H.James, Ancient Egypt, The Land and its Legacy, London, 1988, pp. 148 ff.; the dead is also known as *imnti* Wb. I, 86.

(62) Sethe, Les., 12,17-18.

(*) A few of these attributes occur in the Middle Egyptian tales investigated in this treatise.

(63) Sethe, Les., 14,19;15,1.

(64) Wb. I, 341,3.

wi m ḏrt mwt(55) truly good is the kindness that saves me from the hand of death"(56).

Assuming that rhetorical resemblance and metaphor are directly used to clear meanings and expressions, Arabic metonymy is often employed when there are reasons to hide such meanings or to express them symbolically. With this understanding Egyptian rhetoricans of the middle Kingdom presented their metonymical structures and attributes.

Death played a great part in the secular beliefs and activities of the ancient Egyptian whose wordly life is metonymically regarded as a significant voyage. The day of his death is that of his landing. Sinuhe described his last years at court awaiting his death saying "*iw.i ẖr ḥst nyt nsw ḥr(r) ? iwt hrw n mni*(57) I was in the favor of the king until the day of landing(58) came". In Arabic,(59) as in modern colloquial

---

(55) Sethe, Les., 12,3-4.

(56) This compound preposition is read *m-ḏrt*, Cf. Wb. V, 583,2; or *m-c* Cf A. Gardiner, op. cit., § 178.

(57) Sethe,Les., 17,8-9.

(58) A. Erman's translation of this sentence (i.e. until the day of death comes, op. cit., p. 29) depends upon the occurrence of verb *mni* with the derterminative of death . However, it is reasonable to regard the above indicated translation of M. Lichtheim, op. cit., p. 233 note (26), which is based on the original meaning of *mni* i.e. mooring or landing Wb. II, 72.

(59) In the Holy Qur'an, Sura III-or Ali Imran-185 (من سورة آل عمران ، آية ١٨٥), there is "Every soul shall have a taste of death"

كل نفس ذائقة الموت

without being contingent with the above indicated principles of the rhetorical resemblance. A sentence like "I saw lion" metaphorically means that I saw a man whose courage and power are like those of a lion. As it has pointed out, the Pharaoh is mythically regarded as god whose death is metaphorically considered a divine ascent to his horizon *3ḫt.f*[50] i.e. "his tomb" (p. 6). In a reference to Horus - the falcon god and the heir of Osiris - the corwn prince is metaphorically regarded as the divine falcon. With this prince Sn-Wsrt was depicted as "the falcon who flew with his attendants *bik ʿẖ.f ḥnc šm sw.6*[51] to seek out the bloody events at court. In a distinguished metaphorical resemblance king Sn-wsrt, who was talking to Sinuhe about his wife the queen[52], depicted her as Sinuhe's heaven that was still living in the palace prosperous *pt.k tn ntt m cḥ mn.s rwḏ.s m min*[53]. As in Arabic death is metaphorically regarded as a human being whose grasp fiercely attacks its victims[54]. With this metaphorical resemblance Sinuhe depicted his feelings when he received the royal amnesty saying "*ḫr ḥm nfr w3ḥ-ib nḥm(w)*

---

(50) Sethe, Les., 5,12.

(51) Sethe, Les., 3,15.

(52) Inthe royal amnesty which Sinuhe had received from king Sn-Wsrt, Sethe, Les., 10, 12 ff.

(53) Literally "This your heaven in the palace lives and prospers to this day", Sethe, Les., 11,2-3.

(54) In Arabic it is always said "grasp of death" يد الموت ; or "hand of death".

his flight as a dream *iw mi šsm rswt*(45); or as a foolish adventure(*) which happened through a severe pain "*htr pw wnn.s m ht.i mi shpr wcrt s3yt*(46) it is the terror which is in my body like that which caused the fateful flight. In a unique rhetorical resemblance *mi* was followed by a significant proverb which symbolically depicts to what extent the foreigners(47) fear Pharaohs. The ruler of Upper Rṯnw who tried to comfort Sinuhe, asked him saying "*wnn irf t3pf mi m-hmt.f ntr pf mnh wnnw snd.f ht ḫ3swt mi Shmt rnpt idw*(48) how then is land witout excellent god, fear of whom was throughout the lands like Sḫmt of (or in) the year of plague.

Metaphor, with its modern definition, whether in English(49) or in Arabic, is very common in the prosaic rhetoric of hte Middle Kingdom. The Arabic metaphor is mainly regarded as a special assimilation which is allegorically formed

---

(45) Sethe, Les., 12,20;13,1.

(*) It was when Sinuhe related to king Sn-Wsrt the events that happened to him in his fateful escape.

(46) Sethe, Les., 15,3-4.

(47) It seems more logical to assume that, as a foreigner, the ruler of Rtnw talked of the fear from king Sn-Wsrt throughout the foreign land (i.e. *ḫ3swt* Cf. Gardiner, Egyptian Grammar, Sign-list, N25) and among the Egyptians.

(48) Sethe, Les., 6,4-6.

(49) According to the English Concide Oxford Dictionary Metaphor is an application of name or descriptive term to an object to which it is not literally applicable (e.g. a glaring error), 1968.

Arabic and Egyptian resemblances, which may be formed without these prepositions or particles, are rhetorically presented as metaphorical and metonymical patterns(pp.10-12).

In, a characteristic rhetorical sarcasm, *Ḫw - Inpw* assimilated *Rnsi* with things that lost its essence. Both *m* and *mi*, which similarly mean "like", introduce many similarities that grammatically stand as predicate for the pronominal subject *tw* referring to *Rnsi*. *Ḫw - Inpw* says *mk tw niwt nn ḥḳ3 - hwt.s ;mi ẖt nn wr.s ; mi dpt nn sḫry im.s (mi) sm3yt nn ssmw.*(42) you are like a town without a mayor; like a troop without a leader; like a ship without a captain. (like) a company without a chief. Sometimes the assimilative *m* is used to describe noun clauses. When Sinuhe returned to the residence and entered the royal palace king Sn-Wsrt shouted for his wife saying "*mt s3-nht iw m c3m*(43) behold Sinuhe is coming as an Asiatic. Such virtual clauses, which often follow the assimilative particles *mi* and *m*, may be directly co-ordinated to the preceding resemblance structure. Sinuhe assimilated his sudden escape across Sinai as a fateful or destined task. He says "*n rḫ.i in wi r ḫ3st tn ; iw mi sḫr nṯr ; mi m33 sw idḥy m 3bw; ś n ḫ3t m t3 sty*(44). I did not know what brought me to this country; it is like a god's will; as if a Delta-man sees (or finds) himself in Yebu; a march-man in Nubia. In another persuasive rhetorical resemblance Sinuhe assimilated

(42) Sethe, Les., 24,1-2.

(43) Sethe, Les.,15,6.

(44) Sethe, Les., 6,2-4.

queen uttering a very great cry *wdi.s sbḥ 3cwrt;* and the king's children shrieking altogether msw m diwt w t. In their drama-tical terror and surprise, they shouted to the king "it is not really he ! *n ntf pw m-m3ct*"; and the king replied "it is really he *ntf pw m-m3ct*".

The arabic rhetorical resemblance with its familiar working principles[39] has been similarly used in the ancient Egyptian literary works. In both languages, this rhetorical resemblance represents a predicable similarity[40] between two persons or things which ought to have a real or a figurative liking for each other. As in other comparative status, certain modifiable prepositions and verbs are ideally necessary to the full form of any rhetorical resemblance. These prepositions (i.e. the Arabic ك Ka and the Egyptian *m*) are similarly modified into particles (i.e. كأن Kaanna and *mi*[41]) which often mean equal (or similar) to. As it will be seen, certain

---

(39) Of the existing works of Arabic rhetoric which I have investigated Dr. B. A. Taban's " ʿelm al-Bian" - or Science of Rhetoric - , Cairo, 1967, has proved the most enlightening and suggestive for the object of this treatise.

(40) Modern English has nothing analogous to this Egyptian and Arabic rhetorical resemblance. However, English sentence structure conveying the above indicated Arabic or Egyptian resemblance is generally formed by "like" which is grammatically regarded as a conjunction, C.T. Onions, Modern English Syntax, London, 1971, 97.

(41) A. Gardiner, op. cit., § 162,6; § 170

who would give water at dawn to a goose that will be slaughtered in the morning[34]?

On the other hand, certain tragic and melodramatic situations are illuminated through what may be defined as a rhetorical temptable dialogue. *Ḫw - Inpw* tempted *Rnsi* to be just with him saying "*ir m3ct ḥsy ḥss ḥsyw*[35] do justice, O praised one who is praised by the praised". Sinuhe realized that he had terrified the ruler of Upper Rtnw when he informed him that king *Sn - wsrt* would smite both the Asiatics and the Sand-farers[36]. For that reason Sinuhe urged him to be in contact with his majesty who will not fail to do good to the land that will be on his water[*] - or loyal to him - *nn tm.f ir bw nfr n ḫ3st wnn.ty.fy ḥr mw.f*[37].

Certain dramatic dialogues are depicted in theatrical speech. Sinuhe's appearance as an Asiatic nomad in the royal palace, has been theatrically shown[38]. The writer, who dramatically portrayed the horror with which the members of the royal family appeared when they saw Sinuhe, depicted the

---

(34) Such a meaning is similarly implied in the colloquial proverb " الضرب فى الميت حرام " it is vain to beat the dead.

(35) Sethe, Les., 22,13-14.

(36) Sethe, Les., 6,19-21.

(*) The proverbial significance of this saying, which is commonly used in the modern Egyptian colloquial, is discussed in p. 24.

(37) Sethe, Les., 7,2.

(38) Sethe, Les., 15,6 ff.

Sinuhe's shocking state (p. 8) was rhetorically illuminated through the physical changes that captivated his heart which either grew faint *ib.i 3hd;* or was no longer in his body *ḥ3ty.i nn tw.f m ẖt.i*[29]. In the modern Egyptian colloquial the heart is abstractly regarded as the human guidable motive. This meaning has been significantly indicated by Sinuhe when he said "*in.n.f wi ḥr w3t nyt wcrt*" it - i.e. his heart-carried me away upon the path(s) of wastes[30].

The Peasant's reproach to *Ḏḥwty - nḫt*[*] shows what may be rhetorically regarded as a sarcastic inquiry. The Peasant asked *Ḏḥwty - nḫt* saying *ntf grt ḥsf cw3 nb m t3 pn r-ḏr.f in ʿw3.tw.i m sp3t.6*[31] he - i.e. Rnsi the owner of the field in which *Ḫw-Inpw* the Peasant was robbed-punishes every robber in this whole land, shall I be robbed in his domain?. Here again, this meaning is variably expressed through the Egyptian colloquial proverb 'حاميها حراميها' i.e. its protector (is) its stealer. In his fear of the reception awaiting him at court, the high official[32] despondently and sarcastically talked to the ship-wrecked sailor inquiring *in m rdit mw n 3pd ḥḏ-t3 nsft.f dw3*[33]

---

(29) Sethe, Les., 5, 14.

(30) Sethe, Les., 5,14-15.

(*) Although M. Lichtheim and others prefere the reading *Nmty - nht*, op. cit., I, p. 170, note 4.

(31) Sethe, Les., 20,3-4.

(32) This high official ought to have been optimist after he had listened to the tragedy of that shipwrecked sailor.

(33) A. M. Blackman, op. cit., 48,1-2.

dried up[26]. A fictitious exaggeration has been mentioned by king Snfrw(**) when he asked his courtiers to fetch him twenty women, who, despite their well formed bodies, breasts, and braids, are described as those "who have not yet given birth *nty n wp.tw.sn*(?) *m mswt*[27].

An idiomatic competence enables the rhetoricians of these Middle Egyptian tales to recapitulate certain tragic situations with variant and sufficient idioms. The death of king *Imn - m - ḥ3t* has been rhetorically modified by Sinuhe(*) as a departure to the horizon *wḏ3w r 3ḫt*[28]. This time,

---

(26) Erman's translation of this sentence - i.e. my throat burned; Die Literatur., Translated by A. M. Blackman, London, 1927, p.17- depends on the other meaning of verb *hm* - i.e. warm or burn-which is determined by a brazier with flame rising from it . And since the verb is plainly defined with the sail , it is reasonable to accept the above indicated translation which remarkably agrees with the colloquial proverb " ريقى نشف " i.e. my saliva is dried.

(**) In the first story of the "three Tales of Wonder" (p. 1) which is marked by M. Lichtheim as "The Boating Party", op. cit., I, p. 216 f.

(27) Sethe, Les., 26,22-24.

(*) When he recapitulated to the ruler of Upper Rtnw the above indicated bloody events which happened in the royal palace (p. 6).

(28) Sinuhe informed the ruler of Upper Rtnw that king *sḥtp-ib R wḏ3w r 3ḫt* departed to the horizon, Sethe, Les., 5,11-12.

news of that plot reached his ears. Having realized the result of that conspiracy, Sinuhe described the state he was in saying *"psḫ ib.i ; sš ᶜwy.i ; sd3 ḫr (w) mct.i nbt"* [22] my heart fluttered; my arms spread out; a trembling dropped across all my limbs".

In many cases, such exaggerative idioms are recited in common sayings the significances of which are still being realized in modern colloquial proverbs. The verb *c3g,* with either determinative , clears the way with which spikes of corn are thrashed, either by foot or by a handly grasped stick[23]. This verb was used by *Ḫw* - Inpw when he described the severe way he was beaten by *Ḏḥwty-nḫt "cḥc.n ṯ3w.n.f n.f i33yt nyt isr w3ḏ r.f cḥc.n c3g.n.f hr t.f nb im.s*[24] then he - i.e. *Ḏḥwty - nḫt* - took a stick of green tamarisk to him and thrashed all his - i.e. *Ḫw - Inpw* - In his risky escape to Upper Rtnw Sinuhe relates his suffering caused by want of drink saying: *ḫr.n ibt 3s.n.f wi; nḏ3 kwi; ḫḫ.i ḫmw*[25] then[*], thirst, it overtook me; I was parched;my throat

---

(22) Sethe, Les., 3,19-20.

(23) Wb. I, 168, 8; A. Gardiner, Egyptian Grammar, Sign - list, D40, 56.

(24) Sethe, Les., 20,7-8.

(25) Sethe, Les., 4,16-17.

(*) As a non-enclitic particle *ḫr* means "so" or "then", A. Gardiner, op. cit., § 239.

the farm which was granted to him by ruler of Rtnw(16), and the shipwrecked sailor's portray of the boons of the island on which he was cast(17). Sinuhe seems to have simulated when he said that "the wine of that farm was more than water *wr n.f irp r mw*" (18); and "all kinds of fruit were on its trees *dkrw nb hr ḫtw.f*"(19). This latter sentence was expressed by the sailor who exaggeratively declared that "there was nothing that has not been there - i. e. in that island - *nn ntt nn st m-ẖnw.f.*(20).

Exaggerative idioms like *cr* ascend, *shr* mount up, *ẖnm* unite, and *3bḫ* merge, are very common in depicting the Pharaoh's ascension to heaven after his death, and the way he blends with his fathers the gods. Meanwhile structures like *ẖnw m sgr* the residence (is) in silence. *ibw m gmw* the hearts (are) in grief; *rwty wrty ḫtm (w)* the two great portals are shut; *snyt m tp hr m3st* the courtiers (are) head - on - knee; *pct m im*(21) patricians (are) in moan, plainly show the rhetorical exaggeration with which Sinuhe depicted the grievous effect of the assassination of king *Imm - m - ḥ3t* on the residence and its courtiers. With such exaggerative idioms Sinuhe described the troublesome situations which he had faced since the terrible

(16) Sethe, Les., 7, 6 ff.

(17) A. M. Blackman, Middle-Egyptian Stories, Part I (Bibliotheca Aegyptiaca, II), Brussels, 1932, 43, 1 ff.

(18) Sethe, Les., 7,8-9.

(19) Sethe, Les., 7,9-10.

(20) A. M. Blackman, op. cit., 43,3.

(21) Sethe, Les., 3,5-7.

their kings with this divine nature. A characteristic rhetorical exaggeration appears in Sinuhe's account of king Sen-Wsrt who - as Sinuhe d scribes him - was fated to be the Pharaoh with whom Egypt rejoices *rš wy t3 pn ḥḳ3.n.f* (10); and the one who took-inheritance or kingship - since he was in the egg *iṯt.n.f m swḥt* (11). This exaggeration went beyond all limits of truth when Sinuhe was given his amnesty. He expressed his heartfelt thanks to Sen-Wsrt saying : *whm snḏ.k m t3w ḫ3swt wcf.n.k šnnt itn* (12) "may the fear of you resound in lowlands and highlands, for you have subdued all that the sun encirles". He adds *mi wi m ẖnw mi m hnw mi wi m st tn ntk is ḥbs h3st tn wbn itn n mrt.k* (13) "whether I am at the residence, whether I am in this place, it is you who covers this horizon, the sun rises at your pleasure". A characteristic exaggeration is usually represented by the courtiers and champions when they describe the gifts and possession which are granted to them by the Pharaohs(14). Sinuhe unimaginable described the funeral procession which was planned to be made to him on the occasion of his return to Egypt by king Sn-Wsrt and his family(15). However similar descriptions occur in other variant occasions like those of Sinuhe's depiction of the splendour of

---

(10) Sethe, Les., 6,18-19.

(11) Sethe, Les., 6,16-17.

(12) Sethe, Les., 12,16-17.

(13) Sethe, Les., 13,8-18.

(14) A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1966, pp. 94 ff.; 168 f.

(15) Sethe, Les., 11, 4 ff.

has been rhetorically depicted as a travelled falsehood which misleads its way and causes misadventures and sterility to those who are accompanying it. He declares *ir sm grg iw.f tum.f - nd3.n.f m mhnt - ss3.n.f* [5] "when falsehood walks it goes astray - it does not cross in the ferry - it does not progress"; *ir hwd hr.f nn msw.f - nn iw w.f tp t3 - ir skd hr.f n s3h.n.f t3 - n mni.n dpwt.f r dmi.s* [6]. "he who is enriched by it (i.e. flasehood) has no children - has no heirs on earth - he who sails with it does not reach land - his boat does not moor at its landing place. *Hw - Inpw*'s summons to *Rnsi*'s judicial court has been rhetorically depicted as that of "a thirsty man's approach to water *hsfw n ib n mw* [7]; and an infant's mouth reaching for milk *d3t r n hrd n sbnt m irtt* [8]".

As an elocutionary term, exaggeration occurs when a rhetorical description of person, thing, or situation goes beyond limits of truth either manificently or despicably. In the prosaic literature of Middle Egyptian, elocutionary exaggeration is frequently represented through rhetorical accounts or by using what could be regarded as exaggerative idioms.

Since a very early period the Pharaoh mythically regarded as the son of Rc and his first born upon the throne of Geb[9]. Both the courtiers and the commoners regard and treat

(5) Sethe, Les., 24,13-15.

(6) Sethe, Les., 24,15-18.

(7) Sethe, Les., 25,1-2.

(8) Sethe, Les., 25,2-3.

(9) R. O. Faulkner, The Acient Egyptian Pyramid Texts, I, Oxford, 1969, I ff.

With this aim and understanding Eloquence has been successfully realized by both the writers of these Middle Egyptian stories, and the erudite Egyptians who are concerned with rhetoric. The writer of the story, of the Eloquent Peasant presented both *Ḫw-Inpw* - the petitioner - and *Rnsi*(*) - the steward who received the complaints of the peasant - as learned citizens with an advanced experience of eloquence(3). In his first petition *Ḫw - Inpw,* who tries to gain *Rnsi*'s compassion and justicė, describes the judical court as a lake - or sea - into which descends. He says *h 3 . k r š n m3ct* (4) "when you descend to the lake - or sea - of justice". And when he realized the failure of his persuasive manner of urging *Rnsi* to keep law and justice, *Ḫw - Inpw* used , in his ninth petition, what could be a rhetorical admonition hoping to be treated in a fair way. *Rnsi*'s oppression towards *Ḫw - Inpw*

(*) Proper names are pronounced in their transliteration. The only exception is that of *S3-nht* which is presented here with his famous writing Sinuhe.

(3) Rnsi spoke to his king about Ḫw-Inpw saying "*iw gm.n.i wcm nn n sḫty(w) nfr mdw n wn - m3c* I found one among those peasants whose speech is truly beautiful" Sethe, Les., (=K. Sethe, Agyptische Lesestucke zum Gebrauch im akademischen Unterricht-Textes des mittleren Reichs-, Darmstadt, 1959), S. 22, 1923, I. The English translations of the Egyptian texts which are investigated here are those which are presented either in M. Lichtheim, op. cit. I, Berkely, 1975, or in A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, translated by A. M. Blackman, London, 1927.

(4) Sethe, Les., 22, I.

ptian modes of speech. It is too easy, for an Arabic speaking Egyptologist of Egyptian birth, to recognize certain Pharaonic Auxiliaries and elliptical phrases which are still being used in the here-called Egyptian-Arabic sentence. Acc-ordingly, many of these proverbs occurring in these tales are retranslated with new interpretations.

A literary work ought to be distinguished from other formal writings or statements. In such a literary work, the importance of the rhetorical language is due to its being the presuasive and impressive manner of expressing a writer's (or a speaker's) internal happy or pessimitic feelings to his readers (or listeners). According to the ancient and modern scholars, who are specially concerned with eloquence, the tremendous impression of this retorical language on the reader's mind is mainly estimated by the writer's linguistic and rhetorical abilities with which he exposes his feelings and the elliptical changes illustrating the tragic or comic situation of his literary work. They also added that a writer's clear vision and profound understanding of his characters, enables him to reach the depth of his reader's mind and feeling. In view of this aim of eloquence, rhetoricians endeavoured to determine the general bases - or the working principles - through which any rhetorical language ought to be presented. Eloqutionary terms like concision, convenience, divisions, implication, and similarity are ideally necessary to all arts of the narrative prose. The apt use of these trms depends also upon other indispensable rhetorical structures which are similarly, metaphorically or metonymically designed.

guage of these tales shows, Egyptian scholars had a considerable acquaintance with the familiar working principles of the modern rhetoric. On thre other hand, certain metaphorical and metonymical idioms, which are adopted in these tales, have corresponding forms in Arabic. If it is difficult to assume a direct etymological connexion between Egyptian and Arabic, one cannnot neglect the suggested linguistic affinity relating both tongues to the famiily of the Semitic languages(2). A study of what could be a rhetorical continuity of certain Pharaonic eloquent expressions and proverbs in the to-day vernacular of the Egyptians is here presented. This Egyptian vernacular retains, in its quick spoken from, a peculiar colloquialism exhibiting, in most cases, the modern Arabic sentence structure with something of the ancient Egyp-

---

=

compositions, Lexikon der Agyptologie,III, Kol. 1067 ff. The scarcity of the literaty works dealing with the Ancient Egyptian rhetoric, is often ascribed to the assumption that eloquence with its classical sense - as one of the most distinguished branches of the Graeco - Roman Knowledge which continued to characterize European literature until the Middle ages - is not found in the Ancient Egyptian works of literature, Lexikon der Agyptologie, V, Kol. 250 ff.

(2) Gardiner, Egyptian Grammer, 3rd edition, London, 1966, p. 2; T.W. Thacker, The Relationship of the Semitic and Egyptian Verbal Systems, Oxford, 1954, pp. XXIff.; Abd-el Mohsen Bakir, An Introduction to the Study of the Egyptian Languane, "A Semitic Approach", I, Middle Egyptian, Cairo, 1978, p. I f.

READINGS IN THE RHETORICAL LANGUAGE OF SOME MIDDLE EGYPTIAN TALES

Dr. Ahmed Abd El-Kader Galal
Faculty of Archaeology
Cairo University

The object of this treatise is to present the main elements of the ancient Egyptian eloquence as engaged in some Middle Egyptian tales[*]. This aim appears to be useful because of the scaricity of the literary studies which mainly deal with the rhetorical characteristics of these tales[1]. As the rhetorical lan-

---

(*) Dealing mainly with the different types of literature (i.e. the real and the fictitious narration), stories like those of Sinuhe ; Three Tales of Wonder (or King Kheops and the magician) ; The Shipwrecked Sailor, are internationally selected. The fourth tale (i.e. The Eloquent Peasant) represents a particular type of the didactic literature in the form of a personal accident which is dramatically narrated with a remarkable eloquence that was never found in other contemporaneous literary work.

(1) The Ancient Egyptian literature is presented in separate anthologies including the literary material classified according to their compositions (i.e.) tales, instructive teachings, hymns, songs, rhymed prose etc., M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, 3 vols, Berkeley, 1975. Concise analytic treatises were also devoted to the study of the social and religious significances, side by side with the political events and the instructive aims of these literary

All Correspondence to be directed to :
Editor - in - Chief : PROF . S. A. EL - NASSERY,
Cairo University, Faculty of Arts,
Orman, Giza, A. R. E.

رقم الإيداع : ٧٣١٧ / ٨٨
الترقيم الدولي ٩ - ٢٦. - ٢٣٨ - ٩٧٧

Cairo University
Faculty of Arts

THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN HISTORY CIVILIZATION

A BIANNUAL PUBLICATION OF
THE DEPARTMENT OF HISTORY

Editor - in - Chief : Prof. S.A. EL - NASSERY

Volume 10 (JANUARY 1993)

No 10 Jan - 1993



جامعة القاهرة

كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد العاشر
يناير ١٩٩٣

اولا : القسم العربى :

١ ـ الأبحاث والدراسات :

٢ ـ عرض الكتب :

ثانيا : القسم الاجنبى :

محتـــوى العــــدد

الصفحة

ثانيا : القســم الأجنبى :